جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الوصف والغزل
في شعر الوأواء الدّمشقي

إعداد
محمد عايش محمد يامين

إشراف
د. عبد الخالق عيسى

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
2012م

الوصف والغزل
في شعر الوأواء الدّمشقي

إعداد

محمد عايش محمد يامين

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2012/5/31م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. د. عبد الخالق عيسى / مشرفاً ورئيساً	.....
2. د. حسام التميمي / ممتحناً خارجياً	.....
3. د. رائد عبد الرحيم / ممتحناً داخلياً	.....

الإهداء

إلى سر وجودي في هذه الحياة، إلى مَن حرقا سني عمريهما ليضيئا لي الطريق، إلى مَن غرسا في نفسي حُبَّ العلم والمعرفة والحياة، ومعاني التضحية والصبر . . .

إلى أبي الحبيب وأمي الحبيبة

إلى سندي وسلاحي وعوني وعضدي، إلى مَن اختلط دمي بدمهم . . .

إلى إخوتي الدكتور أحمد، ومالك، وعمرو، وإلى أختي العزيزة (أميرة)

إلى الأمل الباسم في حياتي، إلى شريكتي في فرحي وحزني، إلى مَن علمتني معاني الحب والوفاء والإخلاص . . .

إلى غاليتي (سلام)

إلى طلاب العلم أينما كانوا

إلى كل مَن يعشق لغة الضاد

أهدي ثمرة جهدي

الشكر والتقدير

بعد حمد الله والثناء عليه،

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الأصيل إلى أستاذي الدكتور عبد الخالق عيسى الذي تحمّل العناء الشديد بتفضّله بالإشراف على هذه الدراسة، وبقراءتها والتعليق عليها ، فلولا توجيهاته السديدة وسعة صدره لما كان لها أن تتم .

والشكر موصول إلى أستاذَيّ الدكتور رائد عبد الرحيم، والدكتور حسام التميمي اللذين تفضلا بمناقشة هذا البحث، وبتقديم الإرشادات القيمة حتى يخرج على أحسن صورة .

فجزاهم الله عنّي كل خير، وبارك في جهودهم، وأدامهم ذخرا للعلم والمعرفة، وعونا لكل متعطش للارتواء من بحور العربية وآدابها .

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الوصف والغزل
في شعر الوأواء الدّمشقي

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـــا تمـــت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية، أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: **اسم الطالب:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الإقرار	هـ
المحتويات	و
الملخص	ح
المقدمة	**1**
التمهيد	**3**
الفصل الأول: الوصف في شعر الوأواء الدمشقي	**11**
المبحث الأول: وصف الطبيعة	13
أولاً: وصف الرياض	13
ثانياً: وصف الكواكب والنجوم	24
المبحث الثاني: وصف مظاهر الحضارة	31
المبحث الثالث: وصف الممدوح	36
المبحث الرابع: وصف الخمر	49
الفصل الثاني: الغزل في شعر الوأواء الدمشقي	**59**
أوّلا: الغزل المعنوي العفيف	61
ثانياً: الغزل الحسِّيّ	89
أ. الغزل الحسِّيّ الفاحش	90
ب. الغزل الحسِّيّ غير الفاحش	96
الفصل الثالث: السِّمات الفنيّة للوصف والغزل في شعر الوأواء الدمشقي	**107**
المبحث الأول: البناء الفنّيّ للقصيدة	108
المبحث الثاني: اللغة	118
المبحث الثالث: ظواهر أسلوبية	129
أولا: الطباق والمقابلة	129
ثانياً: التّناصّ	136
المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية	148

الموضوع	الصفحة
أولاً: الموسيقى الخارجية	148
أ. الوزن الشعري	148
ب. القافية	152
ثانياً: الموسيقى الداخلية	156
أ. الجناس	156
ب. التكرار	159
ج. التّصريع	165
د. التدوير	167
المبحث الخامس: الصورة الفنية	171
أولاً: مصادر الصورة ومنابعها	172
ثانياً: محاور الصورة وأشكالها	179
ثالثاً: التشخيص	200
خاتمة البحث ونتائجه	**206**
قائمة المصادر والمراجع	**209**
Abstract	**b**

الوَصفُ وَالغَزَلُ في شِعرِ الوأواءِ الدِّمشقِيّ

إعداد

محمد عايش محمد يامين

إشراف

د.عبد الخالق عيسى

الملخص

تَتَناوَلُ هَذِهِ الدِّراسَةُ فَنَّي الوَصفِ وَالغَزَلِ في شِعرِ الوأواءِ الدِّمَشقِيِّ مِن حَيثُ مَضامِينُهُما، وَمَظاهِرُهُما، وَاتِّجاهاتُهُما، وَقَد جاءَتْ مُشتَمِلَةً عَلى تَمهيدٍ، وَثَلاثَةِ فُصُولٍ، وَخَاتِمَة، أَمَّا التَّمهيدُ، فَخَصَّصتُهُ لِلتَّعريفِ بالشَّاعِرِ الوأواء، وَتَحَدَّثتُ فيهِ عَنِ سِيرَتِهِ وَحَيَاتِهِ، وَعلاقَاتِهِ، وَمَذهَبِهِ الدِّينِيّ، وَشِعرِهِ، وَأَهمِّ الآراءِ التي قِيلَت فِيه.

وَأَمَّا الفصلُ الأوّلُ، فَعَالجتُ فيهِ الوصفَ بمعناه الشُّمولِيِّ العامِّ في شِعرِهِ، وَبَيَّنتُ بِشَيءٍ مِنَ التَّفصيلِ الأمورَ وَالظَّواهِرِ التي وَصفَها، وَطريقَتَه في وَصفِها، وَقَد جعلتُهُ فِي أَربَعَةِ مَبَاحِث، هِيَ: وَصفُ الطَّبيعة، وَوَصفُ مَظاهِرِ الحَضارةِ، وَوَصفُ الممدُوحِ، وَوَصفُ الخمرِ.

وَدَرَستُ فِي الفصلِ الثَّاني غَزَلَ الوأواءِ، وَصَنَّفتُه اعتِماداً عَلَى مَضامِينِهِ وَمَوضُوعاتِهِ وَاتِّجاهاتِهِ إِلى صِنفَين: الغَزَلِ المَعنويِّ العَفِيف، وَالغَزَلِ الحِسِّيِّ الفَاحِشِ وَغَيرِ الفَاحِش.

وَعَرَضتُ في الفصلِ الثَّالِثِ السِّمَاتِ الفنِّيَّة فِي شِعْرِه، مِن حَيثُ البناءُ الفنِّيُّ للقصِيدَة، وَاللُّغَةُ وَظَوَاهِرُهَا، وَالأسلَوبُ، وَالموسيقى الشِّعرِيَّة وَعَناصِرُها، وَالصُّورةُ الفنِّيَّة، مِن حيثُ مَصادِرُها، وَمَحَاوِرُها وَأَشكَالُها.

وَأَجملتُ في الخاتِمَةِ أَهمَّ النَّتائِجِ التي تَوَصَّلتُ إِلَيها.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِ الأنبياءِ وَالمُرسَلينَ، الهادِي الأمينِ مُعَلِّمِ البَشَرِيَّةِ جَمعاء، مُحَمدِ بنِ عَبدِ اللهِ، وَعَلى آلِهِ وَصحبِهِ أَجمَعِينَ، وَبعدُ:

فَهَذَا بَحثٌ بِعنوان: الوَصفُ وَالغَزَلُ في شِعرِ الوأواءِ الدِّمشقِيّ، وَتَنبُعُ أَهَمِّيَّتُهُ مِن أَنَّهُ يُعَرِّفُ بالشَّاعِرِ الوأواء، وَيُعَالِجُ فَنَّي الوَصفِ وَالغَزَلِ فِي شِعرِهِ، فَيُبَيِّنُ مَضَامِينَهُمَا، وَمَظَاهِرَهُمَا، وَاتِّجَاهَاتِهِمَا، وَمَحَاوِرَهُمَا، وَأَشكَالَهُمَا، وَطَرِيقَتَهُ فِي تَنَاوُلِهِمَا، وَأَهَمَّ السِّمَاتِ الفَنِّيَّةِ التي يَتَّسِمَانِ بِها.

وَيَعُودُ اختِيَارِي لِهَذا المَوضُوعِ إلى إعجَابِي –مُنذُ المَرحَلَةِ الجَامِعِيَّةِ الأولى– بالعَصرِ العَبَّاسِيِّ وَشُعَرَائِهِ أَوَّلا، وَإعجَابِي بالوأواءِ وَشِعرِهِ ثَانِيَاً، وَذَلِكَ بَعدَ حُصُولِي عَلَى دِيوانِهِ وَقِرَاءَتِهِ، فَحِينَهَا تَوجَّهتُ إلى أُستاذِي الدُّكتور عبد الخالق عيسى –حَفِظَهُ اللهُ وَأَطالَ عمرَه–، وَعَرضتُهُ عَلَيه، وَبَعدَ مُناقَشاتٍ طَوِيلَةٍ اهتَدَينا إلى هذا المَوضُوع.

وَفِيما يَتَعَلَّقُ بالدِّراسَاتِ السَّابِقَةِ التي عُنِيَت بالوأواءِ، وَبِشِعرِهِ، فَأَهَمُّهَا دراسةُ وليد خالص: الوأواء الدمشقي حياته وشعره، وَدراسةُ جمال زاهر: شعر الوأواء الدمشقي–دراسة فنية، وَدراسةُ عصام لطفي صبّاح: الصورة الفنية في شعر الوأواء الدمشقي، وَدراسةُ عوض بن غنيمات الحربي: التشكُّل الإيقاعي في شعر الوأواء الدمشقي، وَدراسةُ آلاء طلال حسن النجّار: خصائص البناء التركيبي في شعر الوأواء الدمشقي–دراسة تحليلية.

أَمَّا المصادِرُ وَالمَراجِعُ التي اعتَمَدتُ عَلَيها، فَكَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعةٌ مُتعدِّدَةٌ، وَيُمكِنُ إجمالُها في كُتُبِ التَّراجِمِ وَالأعلامِ، وَكُتُبِ تاريخِ الأدَبِ، وَكُتُبِ التَّارِيخِ، وَالمَعاجِمِ، وَكُتُبِ البَلاغَةِ، فَضلاً عَن عِمادِ هَذِهِ الدِّراسَةِ وَأَساسِها، وَهُوَ: ديوان الوأواء الدمشقي.

وَفِيما يَخُصُّ المَنهَجَ الذي اتَّبَعتُهُ، فَهُوَ المَنهَجُ الوَصفِيُّ التَّحلِيلِيُّ الفَنِّيُّ، حَيثُ تَمَّ الاعتِمَادُ عَلَيهِ فِي دِراسَةِ النُّصوصِ الشِّعرِيَّةِ، وَتَصنِيفِها، وَتَحلِيلِها، وَبَيانِ مَضامِينِها وَمَظاهِرِها، وَفِي تَفصِيلِ القَولِ في السِّمَاتِ الفَنِّيَّةِ لِغَرَضَي الوَصفِ وَالغَزَلِ فِي شِعرِهِ.

وَهيكَلُ هَذهِ الدِّراسَةِ يَتَكَوَّنُ مِن تَمهيدٍ، وَثَلاثَةِ فُصُولٍ، وَخَاتمَةٍ، أَمَّا التَّمهيدُ، فَخَصَّصتُهُ لِلتَّعريفِ بالشَّاعِرِ الوأواءِ مِن حَيثُ سِيرَتُهُ وَحَيَاتُهُ، وَعلاقَاتُهُ، وَمَذهَبُهُ الدِّينِيُّ، وَشِعرُهُ، وَآراءُ النُّقّادِ وَالمُؤَرِّخينَ وَالأدَبَاءِ فيهِ.

وَأَمَّا الفَصلُ الأوَّلُ، فَتَحَدَّثتُ فيهِ عَنِ الوَصفِ بِمَعناه الشُّمولِيِّ العَامِّ فِي شِعرِهِ، وَقَد جَاءَ فِي أَربَعَةِ مَباحِثَ، عَالَجتُ في المَبحَثِ الأوَّلِ وَصفَهُ لِلطَّبيعَةِ، رِياضِها، وَوُرودِها وَأَزهارِهَا، وَكَواكِبِها وَنُجُومِها، وَاستعرضتُ فِي المَبحَثِ الثَّانِي وَصفَهُ بَعضَ مَظاهِرِ الحَضارَةِ وَمُخرَجاتِها التي شَاعَت فِي عَصرِهِ وَزَمانِهِ، وَهِي: الشَّمعَةُ، وَالدَّواليبُ وَالنَّواعِيرُ، وَالعُودُ وَالنَّاي.

وَبَيَّنتُ فِي المَبحَثِ الثَّالِثِ الصِّفَاتِ التي خَلَعَها عَلَى مَمدُوحَيْهِ الشَّرِيفِ العَقِيقِيِّ، وَالأمِيرِ الحَمدَانِيِّ سَيفِ الدَّولَة، وَطَرِيقَتَهَ في مَدحِهِمَا، وَبَيَّنتُ –كَذَلِكَ– المِثاليَّةَ الخُلُقِيَّةَ التي رَسَمَهَا لَهُمَا، وَاستَعرَضتُ فِي المَبحَثِ الرَّابِعِ وَصفَهُ الخَمر، مِن حَيثُ لَونُهَا، وَما يَطرأُ عَلَيها من تغَيُّرٍ عِندَ مَزجِهَا بالماءِ، وَتأثيرُها فِي نُفُوسِ شَارِبيهَا وَعُقولِهم.

وَأَمَّا الفَصلُ الثَّانِي، فَقَد تَنَاوَلتُ فِيهِ الغَزَلَ فِي شِعرِهِ، وَتَحَدَّثتُ عَن مَضَامِينِه، وَمَوضُوعَاتِه، وَمَظَاهِرِه، وَاتِّجاهاتِه، وَبِناءً عَلَيهِ، صَنَّفتُهُ إِلى صِنفَينِ اثنَين، هُمَا: الغَزَلُ المَعنَوِيُّ العَفِيف، وَالغَزَلُ الحِسِّيُّ الفاحِشُ وَغيرُ الفاحِشِ.

وَأَمَّا الفَصلُ الثَّالِثُ، فَخَصَّصتُهُ لِدِراسَةِ السِّمَاتِ الفَنِّيَّةِ لِلوَصفِ وَالغَزَلِ فِي شِعرِهِ، وَيَشتَمِلُ عَلَى خَمسَةِ مَباحِثَ، تَنَاوَلتُ فِي الأوَّلِ البناءَ الفَنِّيَّ لِلقَصِيدَة، وَفِي الثَّاني: اللغة، دَرَستُ أَبرَزَ الظَّوَاهِرَ اللُّغَوِيّةَ فِي شِعرِهِ، وَفِي الثَّالِثِ: ظواهر أسلوبية، تَنَاوَلتُ الطِّبَاقَ وَالمُقَابَلَةَ، وَالتَّنَاصَّ، وَفِي الرَّابِعِ: المُوسِيقى الشِّعرِيّة، عَرَضتُ لِلمُوسِيقى الخَارِجِيَّةِ وَعُنصُرَيهَا: الوَزنِ وَالقَافِيَة، وَلِلمُوسِيقى الدَّاخِلِيَّة، وَمُكَوِّنَاتِهَا، وَهِي: الجِنَاسُ، وَالتِّكرارُ، وَالتَّصرِيعُ، وَالتَّدوير، وَفِي الخَامِسِ: الصُّورَة الفَنِّيَّة، تَحَدَّثتُ عَنِ مَصادِرِ الصُّورَةِ، وَمَحَاوِرِهَا وَأَشكالِهَا، وَعَنِ التَّشخِيصِ فِي شِعرِهِ.

وَفِي الخاتمَةِ، أَجمَلتُ أَهمَّ النَّتائِجِ التي خَلصَتِ الدِّراسَةُ إِلَيهَا.

التمهيد

الوأواءُ الدِّمشقيّ، سِيرَتُهُ وَحَياتُهُ:

هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغسَّاني الدِّمشقي[1]، وقيل محمد بن محمد[2]، وبهذا يتَّضحُ أنّ نَسَبه ينتهي –باتِّفاق مَن ترجموا له– إلى الغساسنة، مِمَّا يَعني أنّهُ عَرَبيُّ المَحتِدِ والأرومَةِ، حيثُ "أجمعت الدراسات على أن أصل الغساسنة من أزد اليمن القحطانيين"[3] الذين كانوا يسكنونَ شبهَ الجزيرةِ العَرَبِيَّة. أمّا قولُهم الدِّمشقيّ، فَيفيدُ أنَّه رُبَّمَا وُلِدَ في مدينةِ دِمشق، وفيها تَربَّى حتّى شَبَّ واشتدَّ عودُه وتَمَكَّنَ مِنَ الاعتمادِ على نفسِه، أو أَنَّهُ زَارَهَا، وَمَكَثَ فِيهَا طَويلاً، فَنُسِبَ إِلَيهَا.

إنَّ دمشقَ –تلك المدينة التي كثُرَ الكلام عنها وعَن حُسنِها وسِحرِها وجَمالِها في بُطونِ الكُتبِ والمُؤَلَّفات– لَم تَكتَفِ باحتِضانِ الشَّاعِرِ وَتَنشِئَتِه، بَلْ أَسهَمَت –كَذَلِكَ– في تَفتِيقِ شَاعِرِيَّتِهِ

---

[1] يُنظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري: **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، القاهرة: مطبعة السعادة، 1956، 1/ 288. ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي: **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، تح: مُحب الدين أبي سعيد عمر بن غُلامة العمروي، ط1، دار الفكر، 1997، 175/51. القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف: **المحمدون من الشعراء**، تصحيح وتعليق محمد عبد الستار خان ايم، ط1، جيد آباد الدكن– الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1966، 45/1. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، اعتناء س.ديدرينع، ط2، فيسبادن: دار النشر فرانز شتايز، 1974، 53/2. الكتبي، محمد بن شاكر: **فوات الوفيات والذيل عليها**، مج3، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1974، ص 240. ابن منظور، محمد بن مكرم: **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تح: سكينة الشهابي، ط1، دمشق: دار الفكر، 1990، 323/21. الزركلي، خير الدين: **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980، 312/5. العاني، سامي مكّي: **معجم ألقاب الشعراء**، ط1، دبي–دولة الإمارات العربية المتحدة: مكتبة الفلاح، 1982، ص247–248. الفاخوري، حنّا: **الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)**، ط1، بيروت: دار الجيل، 1986، ص872. الوأواء، أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي: **ديوانه**، تح: سامي الدّهان، ط2، بيروت: دار صادر، 1993، مقدمة المحقق، ص9. الطريفي، يوسف عطا: **شعراء العرب (العصر العباسي)**، ط1، عمان–الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 2007، ص358.

[2] يُنظر:الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 53/2. ابن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات**، مج3، ص240.

[3] المستريحي، قطنة أحمد: **الشعر في بلاط الغساسنة**، ط1، عمان–الأردن: دار حمورابي، 2009، ص13.

إلى حَدٍّ كَبيرٍ وَوَاضِحٍ، حيثُ كانت مُلهِمَةً لهُ في نظمِ العديدِ مِنَ القَصائدِ والمَقطوعاتِ التي تَغَنّى فيها بجمالِ رياضِها وأزهارِها وورودِها المتعددةِ الألوانِ والأنواع.

وَلَقَدِ اشتهرَ أَبو الفَرَجِ الغَسَّانِيّ بِلَقَبِهِ (الوأواء) أَكثر مِنِ اشتهارِهِ باسمِه، ويَبدو أَنَّ سببَ إِطلاقِهِ عليهِ عَائِدٌ إِلى طبيعةِ العَمَلِ الذي كان يَقتاتُ منهُ وَيسُدُّ به رمَقَه في بدايةِ حياتِه، حيثُ كانَ يعملُ مُنادِياً في دارِ البطيخ[1]، يُنادِي على الفَواكِهِ[2]، ويبدو أَنَّ نداءَه كانَ مُمَيَّزاً، وأَنَّ صوتَه قَوِيٌّ واضِحٌ جهوريٌّ كصوتِ ابنِ آوى، هذا ولمّا كانَ مصطَلَحُ الوأواء يَعني صِياحَ ابنِ آوى[3]، رَبَطَ النَّاسُ بَينَهُ وَبَينَ هذا الحَيَوانِ، بِجَامِعِ قُوَّةِ الصَّوتِ وَوُضوحِهِ، فَأَطلقوا هذا اللَّقبَ عَلَيه.

وفي هذا المقامِ تَجدرُ الإِشارَةُ إِلى أَنَّ هناكَ شاعِراً عَبّاسِيّاً آخرَ لُقِّبَ بالوأواءِ، و"اسمه أبو الفرج عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين الشيباني الحلبي"[4]، وَقَد عَاشَ في القَرنِ الهِجرِيِّ السّادس[5]، ولَم يشتَهِر كَالشَّاعِرِ الدِّمشقِيّ.

علاقاتُهُ:

لا تُخبِرُ المصادِرُ والمَراجِعُ التي تَرجَمَتْ للوأواءِ الشَّيءَ الكثيرَ عَنْ حَياتِه، إِذ لَمْ تَذكُرْ تَاريخَ مِيلادِه، ولَمْ تَتَحدَّثْ عن والدِهِ وَوالِدَتِهِ وعائِلَتِه، وَلا تشتَمِلُ أَشعارُهُ عَلَى أَيَّةِ مَعلُومَةٍ تَتَعلَّقُ بهذه الأُمور، ولَم يَستَطِع أَحَدٌ مِنَ الدَّارِسِينَ وَالبَاحِثِينَ أَن يَتَوَصَّلَ إِلى شَيءٍ مِن ذَلِك.

وَبِمَا أَنَّ الوأواءَ كانَ في بِدايَةِ حياتِهِ يَعمَلُ مُنادِياً في دار البطيخ بدمشق، ينادي على الفاكهة ويدَلِّلُ عليها، فَهذا يَعني أَنَّهُ رُبَّما وُلِدَ ونشأَ في أُسرةٍ فقيرةٍ مُعدَمَة، فَاضطُرَّ بسببِ فَقرِهِ

---

[1] هو مصطلح يطلق على "الموضع الذي تُباع فيه الفواكه". ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، مراجعة وتنقيح محمد عوض إبراهيم بك وعلي الجارم بك، ط2، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، (د.ت)، ص223.

[2] لقد ذكرت معظم كتب التراجم ذلك، ومن بينها: الثعالبي: **يتيمة الدهر**، 288/1، القفطي: **المحمدون من الشعراء**، 45/1.

[3] مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، ط2، استانبول-تركيا: المكتبة الإسلامية، 1972، مادة (وَأوَأ).

[4] العاني: **معجم ألقاب الشعراء**، ص247.

[5] المرجع السابق، ص247.

إلى العَمَلِ في هذهِ المِهنةِ البَسيطَةِ؛ ليحصُلَ على بَعضِ الأَجرِ كَي يَسدَّ بــهِ حاجاتــهِ وحاجــاتِ أُسرَتِه. ويَبدو أَنَّه خلالَ هذه المَرحلَةِ مِن حَياتِهِ عَشِقَ الشِّعرَ، ومَالَ إليهِ مَيلاً كبيراً وَأُعجِبَ به، فَشَعَرَ بِضَرورَةِ التَّعلُّمِ والتَّثقُّف؛ كَي يَمتَلِكَ أَداةَ هذا الفَنِّ الذي يجهلُه تَمام الجَهل، فَقَد ذَكَر القِفطِيُّ فيما نَقَلَه عَن ابن عبد الرَّحيم في طبقاتِ الشُّعراءِ أَنَّ الوأواءَ في بدايةِ حياتِهِ "لم يكن مــن أهــل الأدب ولا ممن يعرف بقول الشعر"[1]؛ لِذَلِكَ، وتحقيقاً لِطموحِهِ الذي يَرنو إليهِ قَسَم وقتَــه إلــى فَترَتَين، أُولاهُما للعَمَلِ في دارِ البطِّيخِ لِكسبِ المال، وثانيتُهُما لِلتَّعلُّمِ والتَّثقُّف، حيثُ كان يرتــادُ حَلقاتِ الدُّروسِ في المَساجِدِ والكتاتيبِ والمدارِس، فَيَقرأُ دواوينَ الشُّعراءِ السَّابقينَ والمُعاصِرين؛ حَتَّى يَكتَسِبَ السَّليقَة، ويحذِقَ في هذا الفَنِّ الذي استهواهُ واستَمالَه[2].

ويبدو أَنَّه تَمكَّنَ مِن هذا الفَنِّ، وامتلَكَ ناصيتَهُ، وَبَدأَ ينظِمُ الشِّعرَ، فكانــت أَوَّل قصــيدةٍ اشتهرَ بها في مدح الشَّريفِ العقيقِيِّ[3]، وَقَد أَشارَ القفطِيُّ إلى ذلكَ بِقَولِه : "وكان –الوأواء– أول شيء عمله منه –أي من الشعر– قصيدته في أبي القاسم العقيقي العلوي الميمية التي أولها:

[البسيط]

تَظَلَّمَ الوردُ مِن خَدَّيهِ إذ ظَلَمَا

فاستحسنها فأعطاه عشرين ديناراً وتسامع الناس بها، فانتشر بينهم ذكره، فاستطابوا طريقته في شعره، فتوفر على ذلك وفارق ما كان فيه"[4]، وبذلِكَ تَفَرَّغَ الوأواءُ لِفنِّهِ الجديــدِ، وَجَعلَــهُ بابــاً

---

[1] القفطي: **المحمدون من الشعراء**، 47/1.

[2] يُنظر: جويجاتي، رفيق: **الوأواء الدمشقي**، مجلة مجمع اللغة العربيــة بدمشــق، مــج 68، 1993، 599/4–601. الوأواء: **ديوان الوأواء الدمشقي**، مقدمة المحقق، ص11.

[3] هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، أبو القاسم الحسيني الشريف العقيقي الدمشقي. كان من وجوه الأشراف بدمشق وأولــي المراتــب العاليــة والممدوحين فيها, وكان عالما بالتفسير والقرآن واللغة، كريما جوادا معطاء، وقد توفي في الرابع من جمادى الأولى ســنة ثمانٍ وسبعين وثلاثمئة، فأُغلقت البلد حزنا عليه، وحضر جنازته كبار الأشراف وأصحاب المراتب العليا في زمانه، وعلى رأسهم بكجور صاحب دمشق ووالِيها. يُنظر: ابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جَرَادة: **بغية الطلــب في تاريخ حلب**، تح: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، 633/2–637.

[4] القفطي: **المحمدون من الشعراء**، 47/1.

لِلرِّزقِ يعيشُ منهُ[1]، فأَخَذَ يمدحُ الأميرَ العقيقِيَّ، حيثُ نَظمَ فيته ثلاثَ قصائدَ أُخرَيات، ولعَلَّ مَنْ يقرأُ مِدحَتَهُ التي يستَهِلُّها بقولِه:[2]

[الخفيف]

زَمَـــنٌ مثـــلُ زَورة الأحبـــابِ بعــدَ يــأسٍ مِــن مُغــرَمٍ باجتنــابِ

يَستَشعِرُ حالَةَ الفقرِ الشَّديدِ الذي يعاني منهُ، فهو يَستَجدي مَمدوحَهُ العقيقِيَّ، وَيَطلُبُ إِلَيــهِ أَنْ يمنَحَهُ ثياباً جديدةً صالِحَةً للاستعمال، فثيابُهُ باليةٌ قديمةٌ تَثيرُ لومَ اللائِمين، يقول:[3]

[الخفيف]

حَـــالَتي تَقتَضِـــيكَ دُونَ اقتِضَـــائِي أَن يَكُـــونَ الثَّـــوابُ دَسْـــت الثِّيـــابِ
كُلَّمَـــا لامَنِـــي خَبِيـــثٌ بِعَتَـــبٍ قَـــامَ لِبسِـــي لَـــهُ مَقَـــامَ الجَـــوابِ
فَتَبَـــيَّن عنـــوانَ حَـــالِي فَـــالعُن وانُ يُنبِـــي بِكُـــلِّ مَـــا فِـــي الكِتَـــابِ

ويبدو أنَّ الوأواءَ تَمَكَّنَ مِنْ الاتِّصالِ بسيفِ الدَّولَةِ الحمدانيِّ[4] عندَ زيارةِ هذا الأخيرِ إلى دمشقَ بَعدَ سيطرتِهِ عليها والقضاءِ على حُكمِ الإخشيديينَ لها سنةَ 334ه[5]، فمدحَهُ وحَصَلَ على عطائِهِ ونوالِه، وتَمَكَّنَ بعدَ ذلكَ مِن الاتِّصالِ بِهِ في حلب العاصِمة السَّيفِيَّة، فَصَارَ مِــنْ شــعراءِ

---

[1] يبدو أنَّ الوأواء اتخذ المدح وسيلة للتكسب، والحصول على المال، ومما يؤكد ذلك أنه لم يرث أيّاً من ممدوحَيهِ ولو ببيت واحد من الشعر، إذ لو أنه مدحهما من باب الإعجاب بهما وبأخلاقهما، لرثاهما بعد وفاتهما، كما مدحهما في حياتهما، ومما يؤكده أيضا فلسفته في المدح، فهو يعلن صراحة أن المدح للتكسب والاستجداء، وأن الممدوح ليس إلا لئيما مالكا للمــال، وفي ذلك يقول: **[الكامل]**

وَالأُفْــقُ أَحلَــكُ مِــن خَــوَاطِرِ كَاسِــبٍ بالشِّــعرِ بَســتَجدي اللِّئَــامَ وَيَرتَجِــي

الوأواء: **ديوانه**، ص263.

[2] المصدر السابق، ص11.

[3] المصدر السابق، ص15-16.

[4] هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان، كان سيِّدَ بني حمدان وأميرهم، اتَّصفَ بالقوة والشجاعة والكرم، خاض ضدَّ الروم حروبا كثيرة. وكان أديبا بليغا شاعرا يتذوَّق الشعر ويُجزي عليه، فأقبل عليه الشعراء من كل حدبٍ وصوب، حتــى قيل إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك -بعد الخلفاء- ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر. يُنظر: الثعالبي: **يتيمة الدهر**، 27/1-47.

[5] يُنظر: الطّبّاخ، محمد راغب بن محمود بن هاشم الحلبي: **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، تنقيح محمد كمال، ط2، حلب: دار القلم العربي، 1988، 231/1.

بلاطِهِ، وَيَبدُو أَنَّه حَصَلَ مِنْهُ على أَموالٍ باهظَةٍ مِن النَّوالِ والجزاء، تُمكِّنُهُ مِنَ العَيشِ بِرَفاهيَّةٍ ونعيمٍ وتَرَف[1]، ولَيسَ ذلكَ بغريبٍ على سيفِ الدَّولة، فَقَد كانَ مُهتَمَّاً بالشِّعرِ، مُقَدِّراً للشُّعراءِ كريماً سَخِيَّاً علَيهم، وَقَد تَعدَّدتِ الرِّواياتُ التي تُثبِتُ ذلكَ، مِنها أَنَّه "أمر بضرب دنانير للصِّلات، في كل دينار منها عشرة مثاقيل، وعليه اسمه وصورته"[2]، ومِنها أَنَّه أَعطى شاعِرَهُ المُتَنَبِّيَ ضيعَةً بالمَعَرَّةِ اسمُها (صف) هديةً له[3].

وَقَدِ انقَطَعَ الوأواءُ عَن سَيفِ الدَّولَةِ بعدَ أَنْ مَدَحَهُ بثلاثِ قصائِدَ، ولَم تَذكُر كُتُبُ التَّاريخِ السَّبَبَ الذي دَفَعَهُ إِلى ذَلِك، وَيَبدُو أَنَّه عادَ مِنْ حَلب إِلى مدينَتِهِ دمشق، وَأَخذَ يَنعَمَ بالأموالِ التي حَصَلَ علَيها مِنْ مَمدوحَيْهِ، فَانقَطَعَ لِلعَيشِ في الرِّياضِ، ومُعاقَرَةِ الخَمرِ، ومُلاحَقَةِ الجَوارِي والقِيانِ وَالتَّغَزُّلِ بِهِنّ.

مَذهبُهُ الدِّينيّ:

عَلى الرّغمِ مِنْ أنَّ كُتُبَ التَّراجِمِ لا تُعطِي صورَةً واضِحَةً جَلِيَّةً عَن المَذهَبِ الدِّينيِّ الذي كانَ الوأواءُ يَعتَنِقُهُ، فَإِنَّ شعرَهُ يَشتَمِلُ على بعضِ الإِشاراتِ التي تَكشِفُ عَنْ أَنَّهُ كانَ يَمِيلُ إِلى المَذهَبِ الشِّيعِيِّ وَيَنحازُ إِلَيه، وَمِن ذلكَ قولُهُ في مَدْحِ العَقيقيِّ:[4]

[الخفيف]

((عَلَوِيٌّ)) مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ تَعالَوا، دُونَ أَقدارِهِمْ، عَلَى ((الأَقدارِ))

وَقَولُهُ مُتَغَزِّلاً:[5]

[الكامل]

إِنِّي سَأَلتُكَ بالنبيِّ محمدٍ وَ((وَصِيَّهِ)) ((الهادِي)) الأَمينِ ((المهتدي))

---

[1] تجدر الإشارة في هذا المقام إلى رأي الدكتور جويجاتي في هذه القضية فهو يرى أنَّ الوأواء لم يحصل من العقيقي والأمير الحمداني إلا على النُّزر اليسير والشيء القليل من العطاء. يُنظر: جويجاتي: **الوأواء الدمشقي**، ص614-615.

[2] الثعالبي: **يتيمة الدهر**، 32/1.

[3] يُنظر: الطَّبَّاخ الحلبي: **إعلام النبلاء**، 1/ 260-262.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص96.

[5] المصدر السابق، ص89.

وَقَولُهُ في البَدر:[1]

[مجزوء الكامل]

ولَهِـــي عَلَيْـــهِ أَشَـــدُّ مِـــنْ ولَـــهِ ((البَتُـــولِ)) عَلَـــى ((الحُسَـــيْنِ))

وَقَولُهُ مَادِحاً:[2]

[المنسرح]

قُـــلْ لِسَـــمِيِّ ((الوَصِـــيِّ)): يَـــا ثَـــا نِـــيّ القَطْـــرِ، وَيَـــا ثَالِـــثَ الـــرَّبِيعَينِ

وَيَبدو أَنَّهُ لَم يَكُنْ مِنْ غُلاةِ الشِّيعَةِ المُتَشَدِّدينَ في تَشَيُّعِهِم، إِذْ لا يَشتَمِلُ دِيوانُهُ عَلَى أَشعارٍ سِياسِيَّةٍ تُؤَيِّدُ حَقَّ العَلَوِيِّينَ في الخِلافَةِ، وَتُدافِعُ عَن مُعتَقَداتِهِم وَأَفكارِهِم، وَتُسَوِّقُ لَهَا بَينَ النَّاس.

وَيَرَى كُلٌّ مِن جَمال زَاهِر وَعِصام لُطفِي أَنَّ الوأواءَ لَم يَكُن في يَومٍ مِنَ الأَيّـامِ مُعتَنِقَـاً لِلمَذهَبِ الشِّيعِيّ، وَعَلَّلا وُرُودَ الأَلفَاظِ الشِّيعِيَّةِ فِي شِعرِهِ بِأَنَّهَا مُحاوَلَةٌ مِنهُ لِإِرضَـاءِ مَمدُوحَيـهِ المُتَشَيِّعَين[3]، لَكِنَّ مَن يَنظُر نَظرَةً مُتَأَنِّيَةً مُتَأَمِّلَةً فِيها، يَجِد أَنَّهَا لَم تَرِد فِي مَدَائِحِهِ حَسْب، وَإِنَّمَـا مِنهَا مَا وَرَدَ فِي غَزَلِيَّاتِهِ، فَكَيفَ سَيُرضِي مَمدُوحَيهِ فِي شِعرِهِ الغَزَلِيّ؟

شِعرُهُ:

لَقَد نَظَمَ الدِّمشقِيُّ شِعراً كثيراً جَاءَ عَلى هَيئَةِ قَصائِدَ، وَمَقطوعَاتٍ، وَنُتَـف[4]، وَأَبيـاتٍ مُفرَدَةٍ، وَقَد جُمِعَتْ هذِهِ الأَشعارُ في ديوانٍ صَغيرِ الحَجْمِ، ذَكَرَهُ الثَّعالِبِيُّ في يَتيمَةِ الدَّهر[5]، تَوَفَّرَ عَلى تَحقيقِهِ الدُّكتور سامي الدَّهّان بِدَعمٍ وَرِعايَةٍ مِنْ مَجمَعِ اللغَةِ العَرَبِيَّةِ بِدِمشق، لكنَّهُ لَم يَكتَـفِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص238.

[2] المصدر السابق، ص222.

[3] يُنظَر: زاهر، جمال: **شعر الوأواء الدمشقي: دراسة فنية**، ط1، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، 2007، ص25–27. صبّاح، عصام لطفي: **الصورة الفنية في شعر الوأواء الدمشقي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعـة الشرق الأوسط، الأردن، 2011، ص13.

[4] جمع نُتفة، وهي مصطلح يستعمل إذا نظم الشاعر بيتين من الشعر لا ثالث لهم. يُنظر: أبو عمشة، عـادل: **العـروض والقافية**، ط1، نابلس: مكتبة خالد بن الوليد، 1986، ص38.

[5] يُنظر: الثعالبي: **يتيمة الدهر**، 288/1.

بالأَشعارِ الواردَةِ في مَخطوطاتِ الدِّيوان، فَذَيَّلَهُ بالأَشعارِ المَنسوبَةِ إلى الوأواء، التي لَمْ تَرِدْ في هذِهِ المَخطوطاتِ، وَبِناءً عَلَيه، فَإِذا مَا أُجرِيَ مَسحٌ إحصائِيٌّ بسيطٌ لِهذِهِ الأَشعارِ، فَإِنَّهُ يَقُودُ إِلى أَنّها تَتَألَّفُ مِن خَمسٍ وَثَلاثِين قَصيدَةً، وَمِئَتَين وَتِسع مقطوعاتٍ، وَثَمَانٍ وَثَمَانينَ نُتفَةً، وَبَيتَينِ اثنينِ مِنَ الأبياتِ المُفرَدَة. وَهُنا تَجدُرُ الإِشارَةُ إِلى أَنَّ الوأواءَ "أكثر ما يجيد في البيت والبيتين لذلك قيل –الوأواء في مقطعاته أشعر منه في قصائده–"[1].

أَمَّا الأَغراضُ والفنونُ الشِّعريَّةُ التي طَرَقَها الوأواءُ فَهِيَ وُصفُ الطَّبيعَةِ، وَوَصفُ مَظاهِرِ الحَضَارَةِ، والمدحُ، والخمرُ، والغزلُ، وَلَهُ في الهِجاءِ قصيدةٌ واحدةٌ، وَفِي الفخرِ أَبياتٌ قليلةٌ معدودةٌ مُتفَرِّقةٌ في ديوانِه. وَلَم يَنظِمْ في الرِّثاءِ والزُّهدِ والفلسفَةِ والسِّياسةِ شيئاً.

آراءُ النُّقَّاد والمؤَرِّخين والأُدباء فيه:

لَقَد أُعجِبَ النُّقّادُ والمؤرِّخونَ القُدامى بالوأواء إِعجاباً واضِحاً تَكشفُ عنهُ آراؤُهُم وأقوالُهُم، وَمِن أَبرَزِها أَنَّ أبا منصور الثعالبي وَصَفَهُ بقولِه: "من حَسَنَات الشام، وَصَاغَةِ الكَلام ... وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه، ووقع فيه ما يروق، ويشوق ويفوق، حتى يَعْلُو العَيُّوق[2]"[3].

وَقَالَ عنه الصَّفدي: "شاعر مطبوع منسجم الألفاظ عذب العبارة حسن الاستعارة جيد التشبيه"[4].

وَلَم يقتَصِر الإعجابُ بِهِ على القُدَماء، فَقَد أُعجِبَ به المُحدثونَ أَيضاً، حيثُ تَعدَّدَت الآراءُ التي تكشفُ عَنْ تميُّزه وشاعِرِيَّتِهِ وَقُدرَتِهِ الفَنِّيَّةِ على القول، فَيَرى سعود عبد الجابر أَنَّه

---

[1] النكدي، عارف: **الوأواء الدمشقي وديوانه**، مجلة المجمع العلمي العربي (لغوية علمية تاريخية)، مج4، 1924، 344/8.

[2] العيُّوق "كوكب أحمر مضيء بحيال الثُّريَّا في ناحية الشِّمال، ويطلع قبل الجوزاء، سمي بذلك لأنه يَعُوق الدِّبران عن لقاء الثُّريَّا". ابن منظور: **لسان العرب**، القاهرة: دار الحديث، 2003، مادة (عوق).

[3] الثعالبي: **يتيمة الدهر**، 288/1.

[4] الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 53/2.

"يعد من أشهر شعراء عصره في الخمريات والروضيات والغزل"[1]، ويقول : "ومن شعراء الغزل الذين سَلُس غزلهم وجاشت عواطفهم الوأواء الدمشقي الذي يعد إمام الغزليين في بلاط سيف الدولة وكان بارعاً في تصوير تباريح العشق واللوعة"[2].

وقد أُعجِبَ مصطفى الشكعة بتشبيهاتِه، حيثُ يرى أنَّه "إذا ذكرت التشبيهات في الشعر العربي كانت تشبيهات الوأواء في الصدارة منها"[3]، ثُمَّ صَرَّحَ عَنْ إعجابِهِ بِغَزَلِه، مِن خِلالِ قَولِه: "ومن شعراء الغزل الذين رقت عواطفهم وسلس غزلهم أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الملقب بالوأواء الدمشقي وكانت له قدرة خارقة على تصوير اللوعة وذكر تباريح العشق"[4].

وقد وُصِفَ شِعرُهُ بِأنَّه "شعر الصفاء، والرُّواء، والنعومة العاطفيّة والخياليّة البعيدة عن كل تعقيد وتعسُّف. إنّه شعر الجمال المركّب تركيبَ بديعٍ وفنٍّ وأناقة، وهو شعر السلاسة والسُّهولة والذَّوق"[5].

ويرى رفيق جويجاتي أنَّ الوأواءَ كانَ "شاعراً ومفكراً معاً، ولهذا جاء شعره مزيجاً من الملهاة والمأساة: يطرق باب المدح فيمدح المُثُل، فيما يتظاهر بمدح ذوي الجاه؛ ويطرق باب الرثاء[6]، فيرثي تهافت المُثُل على أرض الواقع الأليم؛ ويطرق باب الوصف، فيصف جمال الطبيعة وعبوسها، وفرحة الحبّ وعنته، كما يصف الطباع: الكريم منها وغير الكريم؛ بريشة رسّام متمعّن ساخر معاً، متأنٍّ لاهٍ معاً"[7].

يُستَنتَجُ من هَذِهِ الآراءِ أَنَّ الوأواءَ شَاعِرٌ مَطبُوعٌ مَشهُورٌ مُفَلِّقٌ، احتَلَّ مَكَانَةً مُتَقَدِّمَةً فِي عَالَمِ الشِّعرِ، جَعَلَتِ النُّقَّادَ وَالدَّارِسِينَ يُعجَبُونَ بِه، وَيُعلُونَ مِن شَأنِهِ وَمَكانَتِه.

---

[1] عبد الجابر، سعود محمود: **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني**، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981، ص170.

[2] المرجع السابق، ص245.

[3] الشكعة، مصطفى: **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، القاهرة: مطبعة المعرفة، 1958، ص149.

[4] المرجع السابق، ص232.

[5] الفاخوري، حنّا: **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، ص872.

[6] يبدو أنَّ الأمور اختلطت على الدكتور جويجاتي، فقد أشرنا في الصفحة التاسعة من هذه الدراسة إلى أنَّ الوأواء لم ينظم في فن الرثاء.

[7] جويجاتي: **الوأواء الدمشقي**، ص619.

الفصل الأول

الوصفُ في شِعرِ الوأواءِ الدِّمشقِيِّ

الفصل الأول

الوَصفُ في شِعرِ الوأواءِ الدِّمَشقِيِّ

يُعَدّ الوصفُ أَشمَلَ الأَغراضِ الشعريَّةِ التي عُرِفَت في الأَدَبِ العَرَبِيِّ، وَيَبــدُو أَنَّ ابــنَ رَشِيق القَيرَوانِيِّ لاحَظَ شُمُولِيَّةَ هذا الفَنِّ ، وَاتِّصالَهُ مَعَ مُعظَمِ الأَغراضِ الشِّعرِيَّةِ، وَارتباطَهُ بِهَا، فَقَال: "الشعر إلا أقله راجِعٌ إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائِه"[1]، وهو عِمادُ أَكثَرِ الألوانِ الشِّعريَّةِ وَأَسَاسُهَا مِن هِجاءٍ وَرِثاءٍ وَغَزَلٍ وَفَخرٍ وَمَدحٍ[2]، وَبِنَاءً عَلَيــهِ فَسَــيَتَحَدَّثُ البَاحِثُ فِي هَذا الفَصلِ عَن غَرَضِ الوَصفِ في شِعرِ الوأواءِ الدِّمَشقِيِّ، الوَصفِ بِمَعنَاه الشُّمُولِيِّ العَامّ، الذي يَتَعالَقُ مَعَ غَيرِهِ مِنَ الأَغراضِ الشِّعرِيَّةِ الأُخرى، وَيُشَكِّل أُسَّــها وَأَساسَــها، حَيــثُ خَصَّصَهُ لاستعراضِ مَضَامِين هَذا الغَرَضِ وَمَظَاهِرِهِ فِي شِعرِه، وَتَحقِيقَاً لِذَلِكَ جَعَلَهُ فِي أَربَعَــةِ مَبَاحِث، وَذَلِكَ عَلَى النَّحوِ الآتِي:

---

[1] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي: **العمدة في محاسنِ الشعر وآدابه ونقده**، تح: محمد محيي الدين عبــد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972، 294/2.

[2] عبد الجابر، سعود محمود: **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني**، ص339.

المَبحَثُ الأَول

وَصفُ الطَّبيعَة

لَقَد لَفَتَتِ الطَّبيعَةُ أَنظارَ الإِنسانِ الفَنَّانِ وَحَظِيَت باهتِمامِهِ مُنذُ بَدءِ الخَليقَةِ، فَسَعى إِلَيها "في حب وإعجاب ونشوة وذهول، فسكر بجمالها، وانتشى بمحاسنها، واتخذها مثلاً يحتذيه، يصوره ويقلده بالأصوات أو بالألوان، فكان الرسام والنحات والموسيقي والشاعر. وكل منهم عمد إلى الأرض والسماء، والحيوان والنبات، والإنسان والماء، يرسمها بخياله ويصفها بفنه، فخلف في متاحف الفن صورة لإبداعه ومثلاً من خلقه"[1].

وَكَانَ الشُّعراءُ العَرَبُ عَلى رَأسِ الفَنَّانين الذينَ اهتمُّوا بالطَّبيعَةِ في مُختَلَفِ الأَوقاتِ والأَزمان، فَقَد أَكثَرُوا مِن وَصْفِهَا وَالحَدِيثِ عَنْ عَناصِرِها وَأَجزائِها وَمُكَوِّناتِها؛ تَعبيراً عَن إِعجابِهِم وفِتنَتِهِم بِها، فَنَشأَ بِذلكَ فَنٌّ وَصفِ الطَّبيعَةِ في الشِّعرِ العَرَبِيِّ. والوأواءُ الدِّمشقِي لَم يَكُن يَختَلِفُ عَن غَيرِهِ مِنَ الشُّعَراء، فَقَد عَبَّرَ عَن إِعجابِهِ بالطَّبيعَةِ الخَلّابَةِ التي تُحيطُ بِهِ مِن خِلالِ فنِّهِ الشِّعرِيِّ، وَيُمكِنُ تَصنِيفُ الظَّواهِرِ الطَّبيعِيَّةِ التي وَصَفَها عَلَى النَّحوِ الآتي:

أَولاً: وصفُ الرِّياضِ

لَقَد أَكثَرَ الوأواءُ الدِّمَشقيُّ مِنْ وَصفِ الرِّياضِ، والبساتين، والوردِ، والأَزهارِ بِمُختَلَفِ أَلوانِها، وَأَنواعِها، وأَصنافِها، كالنَّرجِسِ، والشَّقيقِ، والبَنَفسَجِ، والبَهارِ، وهذا ليس بغريبٍ على شاعرٍ عاشَ حياةً لاهيةً عابِثَةً ماجِنَةً، في بيئةٍ مَنَحهَا اللهُ تعالى مِنَ الحُسنِ والجمالِ والسِّحرِ والبَهاءِ الشَّيءَ الكثير، فَقَد عَاشَ قِسماً مِنْ حَيَاتِه في مدينَةِ دِمشقَ، تِلكَ المدينةُ التي تَغُصُّ بالرِّياضِ والوردِ، فَقَد قالَ عَنهَا ابنُ حوقل: "أجلّ مدينة بالشام في أرض مستوية، قد دُحيت بين جبال تحتف بها إلى مياه كثيرة وأشجار وزروع قد أحاطت بها متصلة"[2]، وقال عنها ياقوت الحموي: "هي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثر فاكهة ونزاهة رقعة

---

(1) الدَّهان، سامي وآخرون: **الوصف**، دار المعارف، ص5.

(2) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: **صورة الأرض**، بيروت–لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت)، ص160.

وكثرة مياه ووجود مآرب"[1]، وَقَد قيل في تفسير (الربوة) في الآية الكريمة: ﴿**وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين**﴾[2]، قيل: "هي دمشق ذات قرار وذات رخاءٍ من العيش وسعة ومعين كثيرة الماء"[3]، وجاءَ في تهذيب تاريخ دمشق الكبير أنَّ "جنان الدنيا ثلاث: غوطة دمشق، ونهر سمرقند، ونهر الأبلة، وقيل في الدنيا ثلاث: جنان مرو من خراسان، ودمشق من الشام، وصنعا من اليمن"[4]، وَوَرَدَ فيه أَنَّ الرَّشيدَ كانَ "يقول: الدنيا أربعة منازل، قد نزلت ثلاثة منها، احداها الرقة، والآخر دمشق، والآخر الري ... والمنزل الرابع سمرقند"[5].

وَعَاشَ الوأواءُ –أيضاً– رَدحاً مِنَ الزَّمنِ في بلاطِ سيفِ الدَّولَةِ الحمدانِيِّ في مدينةِ حَلَب، وهي "مدينة عظيمة واسعة، كثيرة الخيرات، طيبة الهواء، صحيحة الأديم والماء"[6]، خصَّها اللهُ جَلَّ جلالُهُ بِشَيءٍ مِنَ البَرَكَةِ والخصبِ والنَّماءِ والسِّحرِ والجمال، يُؤَكِّدُ ذلكَ قولُ ياقوت الحموي: "شاهدت من حلب وأعمالها ما استدللت به على أن الله تعالى خصَّها بالبركة وفضَّلها على جميع البلاد، فمن ذلك أنه يزرع في أراضيها القطن، والسمسم، والبطيخ، والخيار، والدخن، والكروم، والذرة، والمشمش، والتين، والتفاح عذياً، لا يسقى إلا بماء المطر، ويجيء مع ذلك رخصاً غضّاً رويّاً، يفوق ما يسقى بالمياه والسيح[7] في جميع البلاد، وهذا لم أره فيما طوّفت من البلاد في غير أرضِها"[8].

---

[1] الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي: **معجم البلدان**، تح: فريد عبد العزيز الجُندي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990، 527/2.

[2] سورة المؤمنون، الآية (50).

[3] الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، 528/2.

[4] ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي: **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، ترتيب: عبد القادر بدران، ط2، بيروت: دار الميسرة، 1979، 253/1.

[5] المصدر السابق، 252/1.

[6] الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، 324/2.

[7] السَّيْح: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض وجمعه أسياح. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سيح).

[8] الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، 328/2.

وَمِمَّا ساعَدَ على جمالِ هذهِ المدينَةِ ، وَزَادَ مِن رَونَقِها وسِحرِها إِضافَةً إِلى لُطفِ جوِّها، كثرةُ الأَنهارِ التي تخترِقُ أَراضيها، وَعَلى رأسِها قويق، والفرات، والعاصي، والبَردان، وأفامية، وسيحان، وجيحان، وأرسناس[1].

زِدْ على ذلكَ قُصُورَ الخلفاءِ والأُمراءِ والوزراءِ العباسيينَ التي كانت تُحيطُ بِها الرِّياضُ والبساتين الغَنَّاءُ. وَتُغرَسُ فيها الورودُ والأَشجارُ والأَزهار[2]، حيثُ تَفَنَّنَ هؤلاءِ في بناءِ القصور، إِلى دَرَجَةِ أَنَّ بعضَها أَصبَحَ يشبه "مدناً صغرى تمتلئ بالأبنية، والأفنية، والأساطين، والقباب، والبساتين، والجداول، والبرك، والنافورات، مع التأنق في أبوابها، ونوافذها، وشرفاتها، وزخرفة حيطانها بالنقوش، والصور، وتعليق الستائر الحريرية عليها، ومع ما يموج فيها من البسط، والسجاجيد، والطنافس، والمناضد، والتحف، المرصعة بالجواهر"[3]، وَمِن أَسطَعِ هذه القصور وَأَبرَزِهَا، قَصرُ الحلبة "الذي شيده سيف الدولة في شمالي مدينته الحبيبة –أي حلب– وجعل نهر قويق يشقه من أدناه إلى أقصاه. وكان هذا القصر محاطاً بأسوار عالية، ولم يكن في واقع الأمر إلا مدينة قائمة بذاتها شأنه في ذلك شأن بقية القصور العربية في ذلك العصر حيث تقام المباني المتعددة في وسط الحدائق الغناء"[4].

وَقَدْ تَحَدَّثَ عن هذا القصرِ Andre Devens، فَوَصَفَ "ما يحويه من أُصّص[5] جميلة مليئة بالزهور، والنباتات النضرة النادرة، والبرك التي تشرئب منها أزهار اللينوفر والنافورات، التي ترطب الهواء برذاذها الرطب المتطاير ... وتلك البساتين التي تطوق القصر حيث يتفتح الورد والنرجس واللوتس والياسمين"[6].

---

(1) يُنظر: الشكعة، مصطفى: **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص51–55.

(2) يُنظر: حاوي، إيليا: **فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب**، بيروت: دار الثقافة، (د.ت)، ص174.

(3) ضيف، شوقي: **العصر العباسي الثاني**، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1975، ص67.

(4) Schlumberger: **Un Empreur Byzantin an Dixiemesiecle**, (Nicephor phocas) Paris, 1890, 224. نقلاً عن: الشكعة، مصطفى: **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص86.

(5) الأُصص: جمع أَصيص، وهو الدَّنّ المقطوع الرأس، وقيل: هو الباطيَّة، وقيل: هو أداة كهيئة الجَرِّ له عروتان يُحمل فيه الطين. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (أصص).

(6) A.Devens: **Le Roman De L'Emir seif**, Paris, 1925, 24–28. نقلاً عن: الشكعة، مصطفى: **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص87.

وفي هذه البيئة لا يستطيعُ المَرءُ إلا أَنْ يَقِفَ مُعجَباً بهذا الجمالِ الفَتَّان، وَمُتأمِّلاً له، وَمُعبِّراً عن فِتْنَتِهِ بِه، وهذا مَا فَعَلَهُ الشَّاعرُ الدِّمشقي، فَقَد تَفَتَّقت قريحَتُهُ بِفِعلِ هذِهِ الطَّبيعَةِ عَن أَشعَارٍ كَثِيرَةٍ، وَصَفَ فيها الرِّياضَ والبساتين، وَمَا يَتَخَلَّلُها مِن مناظرَ وَوُرودٍ وأَزهارٍ وَصفاً دَقيقاً، في شِعرٍ يَبُثُّ في النَّفسِ روحَ الحياةِ وَسِحرَها، فَرَسَم العديدَ منَ اللوحاتِ الفنيةِ التي تُزيِّنُها الأَلوانُ الفاتِنَةُ، والأَنوارُ السَّاطِعَةُ، والحَرَكَةُ النَّشِطَةُ الدَّائبة، وَهوَ بهذا لا يختلفُ عَن غيرِهِ مِن شعراءِ عَصرِه، حيثُ إنَّهم انصرفوا إلى الرِّياضِ والوُرودِ وَالأَزهارِ، وَوَصَفوُا كُلَّ أَنواعِها وأَصنافِها بأَوصافٍ بَدِيعَةٍ، إلى الدَّرَجَةِ التي دَفَعَت سامي الدَّهّان إلى القَولِ الآتي: إنَّ الطَّبيعَةَ ظَفَرَتْ فِي شِعرِ الحَمدانِيِّينَ بِنَصرٍ عَظيمٍ وَنَهضَةٍ طَيبةٍ[1].

وتجدر الإشارةُ إلى أَنَّ أَشعارَ الوأواءِ في وصفِ الرِّياضِ والأَزهار ضربانِ، ضربٌ على هيئَةِ قصائدَ ومقطوعاتٍ مُستَقِلَّةٍ، خَصَّصَها لَه؛ تَعبيراً عَن إعجابِهِ بهذه الطَّبيعَةِ الخلَّابَةِ الجميلة، وَعَن حُبِّه لَها وَفِتنَتِهِ بِها، وَضَرْبٌ آخرُ شَكَّلَ جُزءاً مِن قصائِدِهِ في المدحِ والغَزَل؛ كَيْ يستولِيَ على إعجابِ المُستَمِعين لِهذِهِ القصائِدِ، ويؤَكِّدَ لهم مقدرَتَه الشِّعرية.

فها هو ذا، في قصيدةِ مَدحٍ، يرسُمُ صورةً جميلةً فاتنةً ساحرةً لرياضٍ مليئةٍ بالأَزهار، فَيَبدأُ بوصفِ نسيمِها العليلِ الرَّطيبِ المُنعِش، وَأَثَرِهِ في النَّفس، فَهُوَ يُعيدُ الشَّيخَ المشيبَ إلى شَبَابِهِ، ثُمَّ يُباشِرُ في وصفِ فِعْلِ المَطَرِ بهذِهِ الرِّياضِ، إِذْ اخضرَّت نباتاتُها وَوُرودُها، وَأَزهَرَت، وَبَدَت في غايَةِ الرَّوعَةِ والجمال، ثُمَّ رَاحَ يَنقُشُ لوحَةً فَنِّيَّةً طبيعِيةً مِنَ الأَزهارِ التي رآها في تلك الرَّوضة، فَصَوَّرَ النَّرجِسَ بَعدَ أَنْ تَفَتَّحَتْ أَزْهارُهُ بالعيونِ اللَّامِعَةِ، التي تظهَرُ مِن خِلالِ نِقاب، ثُمَّ اعتَمَدَ على الصُّورَةِ اللَّونِيَّةِ، فَجَعَلَ الشَّقيقَ مِصباحاً زاهِراً مُضيئاً مُشِعَّاً، ثُمَّ صَوَّرَه بالسِّهامِ المَصنوعَةِ مِنَ الزَّبَرجَد، بِجامِعِ اللَّونِ الأَحمرِ المُصفَرّ، ويضيفُ لَمحَةً أَخيرَةً عَلى هذهِ الصُّورة، بِأَنْ جَعَلَ البنفسَجَ والبَهَارَ ينظرانِ إلى ذاكَ الشَّقيقِ بارتيابٍ ودهشةٍ واستغرابٍ؛ إعجاباً واستحساناً، يقول بعد أَنْ ذَكَر خَبَرَ لقائِهِ بمحبوبَتِهِ:[2]

---

[1] يُنظَرْ: الدهان، سامي وآخرون: **الوصف**، ص73.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص12-13.

[الخفيف]

فـــي ريـــاضٍ كأَنَّهـــا لـــيس تَرْضـــى ... باشـــتغالي بهـــا عـــنِ الأَحْبـــابِ
نـــمَّ نمَّامُهـــا إِلـــى رُوعِ قلبـــي ... أَنَّـــهُ مُـــؤْمِنٌ لـــه مِـــنْ عِقَـــابِ
لَـــوْ تَصـــدّى نســـيمُها لِمَشـــيبٍ ... عـــاد مِنْـــهُ إِلـــى أَوانِ الشـــبابِ
دَبَّـــجَ الغَيْـــثُ رَوْضَـــها مُـــذْ بَـــدا يَـــسْ ... حـــبُ مِـــنْ فَوْقِهـــا ذُيُـــولَ السَّـــحابِ
وَغَـــدا النَّـــرْجِسُ المُفَـــتِّحُ فيهـــا ... كَعُيُـــونٍ تَطَلَّعَـــتْ مِـــنْ نِقـــابِ
وَشَـــقيقٍ تَـــرَاهُ يُسْـــرِجُ فـــي الـــرَّوْ ... ضِ إِذا مـــا بـــدا بغيـــر شِـــهابِ
كســـهامٍ مـــن الزَّبرجَـــدِ قَـــدْ رُكِّ ... بَ فيهـــا أَزِجَّـــةُ العُنَّـــابِ
يَجْتَليهـــا بَنَفْسَـــجٌ فـــي حِـــدَادٍ ... وبَهـــارٌ فـــي صُـــورةِ المُرتـــابِ[1]

والوأواءُ يُكثِرُ مِنَ الاعتمادِ على الأَلوانِ في وَصفِهِ للطَّبيعَةِ ورياضِـها وبسـاتينِها، إِذْ تَحَدَّثَ في إِحدى لوحاتِهِ الفنِّيَّةِ عَن أَثَرِ سُقوطِ الغَيثِ على رَوضَةٍ مِنَ الرِّياض، حَيثُ نَبَتَتْ فيهـا الورودُ والأَزهارُ بِمُختَلَفِ الأَلوان، فَأَصبَحَت هذه الرَّوضةُ ثَوباً مُخَطَّطاً، نُقِشَـت عَلَيـهِ أَلـوانٌ مُتَعَدِّدَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ مُتَداخِلة، ثُمَّ يُرَكِّزُ على وصفِ الشَّقائِقِ التي نَبَتَت في الأَماكِنِ المُرتَفِعَةِ فَيُصَوِّرُهَا بالثِّيابِ الخُضرِ، ثُمَّ يُصَوِّرُهَا بِعَينٍ احمَرَّت أَجفانُها، يَقُول:[2]

[المنسرح]

وروضـــةٍ راضَـــها النَّـــدى فَغَـــدَتْ ... لَهـــا مِـــنَ الزَّهـــرِ أَنْجُـــمٌ زُهْـــرُ
تَنْشُـــرُ فيهـــا يَـــدُ الرَّبيـــعِ لنَـــا ... ثوبـــاً مِـــنَ الوشْـــيِ حاكَـــهُ القَطْـــرُ
كأَنَّمـــا انشَـــقَّ مِـــنْ شَـــقائِقِها ... عَلَـــى رُباهـــا مطـــارفٌ خُضْـــرُ[3]
ثُـــمَّ تَبَـــدَّتْ كأَنَّهـــا حَـــدَقٌ ... أَجفانُهـــا مِـــنْ دِمائِهـــا حُمْـــرُ

---

[1] البهار: نبت طيب الريح، وقيل: هو العَرار الذي يُقال له عين البقر. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (بهر).

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص101.

[3] المَطَارِف: مفردها المِطْرَف، والمُطْرَف، وهي أردية من خَزّ مُربَّعة لها أعلام. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (طرف).

وَمرةً أُخرى تَستَثيرُ الرِّياضُ والأَزهارُ خيالَ الوأواءِ، فَتمدُّهُ –كعادتها– بصورةٍ جميلةٍ، حيثُ يبدو أَنَّهُ لاحَظَ نُزولَ الغيثِ على إِحدى الرِّياض، فَرَاحَ يَتَتَبَّعُ الأَثَرَ الذي تَركَه فيها، من إنباتِ العديدِ مِنَ النباتات والأَزهارِ المُتَعَدِّدَةِ الأَلوانِ والأَشكال، وَمِنَ الفَرَحِ والسرورِ والسَّعادَةِ التي امتَلَأَ بِها الجَوّ، وبذلِكَ اكتَسَتْ هذه الرَّوضةُ حُلَّةً جديدةً، وتزَيَّنت بزينةٍ مُمَيَّزَةٍ تلفتُ أَنظارَ النَّاسِ، وتُثيرُ انتباهَهَم، وتستوقِفُهُم؛ ليتأمَّلوا هذا الجمالَ الطبيعِيَّ الفَتَّان، وإنِ اختَلَفَت نَفسِيّاتُهُم وطبائِعُهُم، وقَد ذَكَر الوأواءُ عَدَداً مِن أَصنافِ هذهِ الأَزهارِ مُرَكِّزاً على إِبرازِ أَلوانِها المتعدِّدَةِ، فَمنها الأَصفَرُ، والأَحمَرُ، والأَخضَرُ، وبهذا كُلِّه بَدَتِ القصيدةُ قِطعَةً وَاقِعِيَّةً مَرئِيَّةً مِنَ السِّجَّادِ الجَمِيلِ، المُتَعَدِّدِ الأَلوان، وَيَنكَشِفُ لِلقارئِ ذَلِكَ فِي قَولِ الوأواء:[1]

[الكامل]

كَسَتِ السَّماءُ الأَرْضَ زُهْرَ نُجُومِها ... بِالزَّهْرِ فَاخْتالَتْ بِكُمٍّ مُسْبَلِ
صاغَ الغَمامُ لَها عُيُونَ جَوَاهِرٍ ... وَأَجَادَ جِلْوَتَها لِعَيْنِ المُجتَلِي
فَتَأَرَّجَتْ وَتَبَرَّجَتْ واستَوقَفَتْ ... لَحْظَ المُجِدِّ وَخُطْوَةَ المُستَعْجِلِ[2]
فِيها عُيُونٌ كُحَّلٌ مَبْهُوتَةٌ ... كُحِلَتْ بِدمْعِ الطَّلِّ إِذْ لَمْ تُكْحَلِ
وَبِها خُدُودٌ أُخْجِلَتْ فَتَعَصْفَرَتْ ... وَبِها ثُغُورٌ ضُحَّكٌ لا تَأْتَلِي
صُفْرٌ وَحُمْرٌ كالمَداهِنِ أُودِعَتْ ... دَمْعَ النَّدى فَحَمَلْنَ أَحْسَنَ مَحْمَلِ[3]
شِبْهُ الخُدُودِ بِعَقْبِ خَطْبٍ مُؤْلِمٍ ... أَوْ شِبْهُها مِن بَعْدِ خَوْفٍ مُوجِلِ
أَلوانُها شَتَّى الفُنُونِ وَإِنَّما ... غُذِيَتْ بِماءٍ واحِدٍ مِنْ مَنْهَلِ

وَفي لَوحَةٍ جَدِيدَةٍ، يَصِفُ الشَّاعِرُ رَوضَةً أُخرى، مُرَكِّزاً على ما تشتمِلُ عَلَيهِ مِنْ أَزهار، ولا سيّما البَهارُ والنَّرجِسُ والشَّقيق، ومُتَحَدِّثاً عَنِ الأَشجارِ وأَوراقِها، فَمِنها ما يَتَمايَلُ وَيَتَرَنَّحُ يَميناً وَشِمالاً بِفِعلِ النَّسيم، وَمِنها مَا هو ثابِتٌ لا يتحرَّك، يقول:[4]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص175–176.

[2] أَرِجَ المكانُ: انتشر فيه الطيبُ، وأَرِجَ الطيبُ أَرَجاً، وَأَريجاً: فاحَ. مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**. مادة (أرِج).

[3] المَداهِن: جمع مُدْهُن، وهو نَقرٌ في رؤوس الجبال يستنقع فيها الماء. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (دهن).

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص155–156.

[المتقارب]

أَدِرْ لَحْظَ عَيْنِكَ وَامْزِجْهُ في ... مُرُوجِ الرِّياضِ تَجِدْها تَشُوقُ
تَرى مَزوَجَ الحُسْنِ في مُفْرَدٍ ... جَلِيلُ المَحاسِنِ فيهِ دَقيقُ
إذا قابَلَ الزَّهْرُ زَهْرَ الخُدودِ ... فَأَينَ الخَلاصُ! وَأَينَ الطَّريقُ!
بَهارٌ بَهيرٌ بِهِ غَيْرَةٌ ... عَلى نَرْجِسٍ وشَقِيقٌ شَفيقُ
فَذا عاشِقٌ دَنِفٌ خائِفٌ ... وَذا خَجِلٌ وكَذاكَ العَشيقُ
مَداهِنُ يَحْمِلْنَ طَلَّ النَّدى ... فَهاتِيكَ تِبْرٌ وهذا عَقيقُ
يُنَظِّمُ أَوْراقَها دُرُّهُ ... وَيَنْثُرُ مِنْها الَّذي لا يُطيقُ
يَميلُ النَّسيمُ بِأَغْصانِها ... فَبَعْضٌ نَشاوى وَبَعْضٌ مُفيقُ

وفي مَقطوعَةٍ أُخرى، يُشيرُ إلى الأَوقاتِ الجميلَةِ المُمتَلِئَةِ بالفَرَحِ والسُّرورِ والسَّعادَةِ والبهجَة، التي قَضَاها في الرِّياضِ التي تَغُصُّ بالأَشجارِ والأَزهار، فَيَصِفُ الأَغصانَ المُزَيَّنَةَ بالأَزهارِ وَهِيَ تَتَمايَلُ وَتَتَرَنَّحُ بفعلِ الرِّياحِ، وكَأَنَّها إنسانٌ يتثنّى اختيالاً وإعجاباً بِنَفسِهِ، يقول:[1]

[الخفيف]

زَمَنٌ ضاحِكٌ وَرَوْضٌ جَديدُ ... وَغُصونٌ مُرَنَّحاتٌ تَميدُ
أَنْجُمُ الزَّهْرِ حَوْلَها فَتَراها ... طالِعاتٍ كَأَنَّهُنَّ سُعُودُ
تَغْتَدي لِلعُيونِ مِنْها عُيونٌ ... وتُلاقي الخُدودَ مِنْها خُدودُ
تَتَثَنّى مَعَ الرِّياحِ اخْتِيالاً ... بِغُصونٍ كَأَنَّهُنَّ قُدودُ
فَلَها كُلَّما تَثَنَّتْ وِصالٌ ... وَلَها كلَّما اسْتَقَامَتْ صُدُودُ
اسْقِني يا غُلامُ فَالعَيْشُ غَضٌّ ... وَعُيُونُ الخُطُوبِ عَنَّا رُقُودُ
لا تَدَعْ عاجِلَ السُّرُورِ وَبادِرْ ... فَعَساهُ يَعُودُ أَوْ لَا يَعُودُ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص74-75.

كَما يتَّضح، فَإنَّ هذهِ اللوحةَ الفنيَّةَ تَغُصُّ بالمفرداتِ والأَفعالِ الدَّالَّةِ على الحَركَةِ والنَّشاطِ والحياةِ الدَّائِبَةِ، فأَضفَتْ عَلَيها مِسحةَ جمالٍ أُخرى، وَبَعَثَت فيها روحَ الحَياة، والمُفـرَداتُ هـي: (ضاحك، وتميد، وتغتدي، وتُلاقي، وتتثنّى، وتَتَثَّت، واستقامت، ومترنِّحات، وطالعات).

وَعَلى عادَةِ الشُّعراءِ في الحديثِ عَنِ الخَمرِ واحتسائِها في جَوِّ الطَّبيعَةِ بـينَ الرِّيـاضِ والورودِ والأَزهار[1]، فَإنَّ الوأواءَ في نهايةِ المقطوعَةِ السَّابقَةِ يَطلُـبُ مِـنْ غُلامِـهِ أَنْ يَغتَـنِمَ الفُرصَةَ، فَرصَةَ جمالِ الرِّياضِ وتعَدُّدِ أَزهارِها، وإِقامَتِه في جَوِّ الرَّبيعِ، وذلكَ بِأَنْ يُقدِّم له الخمرَ والشَّراب.

وَيَبدُو أنَّ الرِّياضَ كانَت المَكانَ الأَكثرَ مُلاءَمةً للوأواءِ مِن أَجلِ مُعاقَرَةِ الخمرِ، حَيثُ لا يحلو لَهُ الشَّرابُ إلَّا فيها، بينَ الورودِ والأَزهارِ والأَشجارِ، وَتَحتَ ظِلالِها الوارفة، فَهَـا هـو ذا يَصِفُ روضَةً اجتَمَعَ فيها مَعَ مَنْ يعشق، فَيصوِّرُ حالَ الطيورِ وهي تَتَشاجَرُ وتَتَقاتَلُ في أَعـالي الأَشجار، وتنتقلُ مِن غُصنٍ إلى آخر، وَيُصَوِّرُ الزَّهرَ الأَبيضَ الذي يَنبُتُ على هذهِ الأَغصـان بالجواهِرِ والقِطَعِ الثَّمينَةِ الجميلةِ الأَلوان، ويشبِّهُ طيورَ القَماري[2] والبلابل بالقيانِ التـي تُغَنِّـي وَتُرَجِّعُ في صوتِها، فَتُطرِبُ المُستمِعين، ثُمَّ جَعَلَ أَوراقَ الأَشجارِ ستائرَ تُخفي مَنِ احتمـى بهـا وتغطِّيه، وفي ظِلِّ هذه الحال تهيّأَتِ الظُّروفُ له لشربِ الخمر، فَشَرِبَها وَحَقَّقَ مُبتَغاه، يقول:[3]

[الطويل]

ذُرى شـجرٍ للطَّيْـرِ فيـهِ تَشـاجُرُ كَـأَنَّ صُـنُوفَ النَّـوْرِ فيـهِ جَـوَاهِرُ
كـأَنَّ القَمـارِي والبَلابِـلَ بَيْنَنـا قِيـانٌ وأَوراقُ الغُصُـونِ سَـتائِر
شَـرِبْنا عَلَـى ذاكَ التَّـرَنُّمِ قَهْـوَةً كَـأَنَّ عَلَـى حَافَاتِهـا الـدُّرَّ دَائِـرُ

---

[1] يُنظر: نوفل، سيد: **شعر الطبيعة في الأدب العربي**، ط2، مصر: دار المعارف، 1978، ص286.

[2] القَمارِي: مفرده القمريُّ، وهو طائر يشبه الحَمام. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (قمر).

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص114.

ولَمْ تَكُنْ هذه حالُ الوأواءِ حَسْب، بَل هي حالُ شارِبِي الخمرِ في العصرِ العَبَّاسِيِّ بِأَسرِهِ، إِذْ شاعَ أَنْ يلتقوا "في منتزه جميل، تحيطُ به البساتين وتزيِّنه الزهور، حتى غدا ارتياد الريـــاض الجميلة وجهاً من وجوه أدب الخمرة العباسية"[1].

ويُكَرِّرُ الوأواءُ هذه الفكرةَ في مقطوعَةٍ أُخرى، وَيُضَمِّنُها وصفاً لزهرِ النَّرجسِ، فَيَطلُبُ مِن غلامِهِ أَنْ يُقَدِّمَ لهُ كأسَ الخَمرِ في الرَّوضَةِ التي يَقضِي فيها أَوقاتَهُ بِفَرَحٍ وَسُرورٍ مُســتَمتِعاً بأَزهارِهَا، وكَأَنَّ هذه الأَزهارَ، وَمِن بَينِهَا النَّرجسُ، تَحُثُّهُ على شُربِ الخمرِ والمُداوَمَةِ عليها، ثُمَّ يَصِفُ النَّرجسَ، وَأَثَرَ سقوطِ الغَيثِ فِيهِ وَصْفاً جميلاً، حيثُ صَوَّرَهُ وَهُوَ شامِخٌ، وأَزهارُه مُتَفَتِّحةٌ، فجعَلَهُ إِنساناً مَسروراً مُبتهِجاً بسقوطِ الغيث، وَصَوَّرَ حُبيباتِ المَطَرِ العالقةِ على أَوراقِهِ بالدُّموعِ التي تكادُ تتساقَطُ مِنْ أَجفانِ عاشِقٍ مهجور، يقول:[2]

[البسيط]

رُضْ يا غُــلامُ عَلَــى الــرَّوْضِ النَّضِــيرِ لَنَــا ... كَــأْسَ المُــدامِ وَدَاوِمْ رَنَّــةَ الزِّيــرِ
أَمــا تَــرى النَّــرجِسَ المَيَّــاسَ يلحظنــا ... لِحــاظَ ذي جَــذَلٍ بِالغَيْــثِ مَسْــرُورِ
كَــأَنَّ أَحداقَــهُ فــي حســنِ صُــفْرَتِهِ ... مَــدَاهِنُ التِّبْــرِ فــي أَوْراقِ كــافُورِ
كَــأَنَّ طَــلَّ النَّــدى فيــه لِمُبْصِــرِهِ ... دمــعٌ تَحَيَّــرَ فــي أَجْفــانِ مَهْجُــورِ

والرِّياضُ ليست مَكاناً لِشُربِ الخمرِ وحَسْب، وإِنَّما هي مكانٌ مُلائِمٌ –في شِعرِ الوأواءِ– لإِقامةِ مَجالِسِ اللَّهوِ وَالعَبَثِ والمُجونِ، والقَصفِ وخلعِ العَذارِ، والاستماعِ إِلى الغِناءِ والموسيقى والأَلحانِ الشَّجِيَّة، يقول:[3]

[مجزوء الخفيف]

وَحَــــــــــديثٍ كأنَّــــــــــهُ ... أوْبَــــــةٌ مِــــــنْ مُســــــافِرِ
كــــانَ أَحلــــى مِــــنَ الرُّقــــا ... دِ عَلَــــى جَفْــــنِ ســــاهِرِ

---

[1] حاوي، إيليا: **فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب**، ص266.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص121–122.

[3] المصدر السابق، ص100.

بِـــــتٌ أَلهُـــــو بِطيبِـــــهِ فـــــي رِيـــــاضٍ زَواهِـــــرِ
بَـــــيْنَ ســـــاقٍ وَسَـــــامِرٍ وَمُغـــــــــنٍّ وزامِـــــــــرِ

وَيُركِّز الوأواءُ على وصفِ النَّرجِسِ، أَبهى زهورِ الشَّام، فها هو ذا يصفُ نرجسةً رآها في إِحدى الرِّياض وهي مائِلَةٌ بِفِعلِ تراكُمِ قَطَراتِ المَطَرِ عَلَيها، وقَد تَفَتَّحَت أَزهارُها وَنَضِجَت، حيثُ صَوَّرَهَا بإِنسانٍ يَنظُرُ إِلى ما يفعَلُهُ الغَيثُ عندَ سقوطِهِ على سطحِ الأَرضِ، بِدَهشةٍ واستغرابٍ، وعيناه مُحَدِّقتان باهتتان، يقول:[1]

[المنسرح]

نَرْجِسَـــةٌ لَـــمْ تَـــزَلْ مُحَدِّقَـــةً لَـــمْ تَكْتَحِـــلْ قَـــطُّ لَـــذَّةَ الغَمْـــضِ
أَمَالَهـــا القَطْـــرُ فَهْـــيَ باهِتَـــةٌ تَنْظُـــرُ فِعْـــلَ السَّـــماءِ بِـــالأَرْضِ

وَوَصَفَ في مقطوعَةٍ أُخرى نرجساً مُعتَدِلَ القوام، وأَبرَزَ رائحَتَهُ الذَّكِيَّةَ، وهي تَنتَشِرُ في الجَوِّ كَعَبَقِ العِطرِ الفَوَّاح، يقول:[2]

[المنسرح]

وَنَـــرْجِسٌ لِلنَّسِـــيمِ مُعْتَنِـــقُ يَسْـــهَرُ طَبْعـــاً وَمـــا بِـــهِ أَرَقُ
كَأَنَّـــــهُ والقَـــــوامُ مُعْتَـــــدِلٌ وَفـــي المـــآقِي مِـــنْ عِطْـــرِهِ عَبَـــقُ
أَجْفَـــانُ دُرٍّ عَلَـــى ذُرى قَصَـــبٍ تَقْطُـــرُ مِسْـــكاً وَمـــا بِهـــا عَـــرَقُ

وَأُعجِبَ الوأواءُ بوردةٍ بيضاءَ، فَشَبَّهَها بإِناءِ فِضَّةٍ يشتمِلُ عَلى فُتـاتِ الـذَّهَبِ وَقِطَعِـهِ الصَّغيرَةِ التي تَتَساقَطُ مِنَ القِطَعِ الكَبيرَةِ عِنْدَ صُنعِها وَصَقلِها وَتَشكيلِهَا، يقول:[3]

[مجزوء الرجز]

يـــــا حُسْـــــنَها مِـــــنْ وَرْدَةٍ بَيْضـــــاءَ جَـــــاءَتْ بِالعَجَـــــبْ
كَجَـــــامِ بِلَّـــــوْرٍ بِـــــهِ قُرَاضَـــــةٌ مِـــــنْ الـــــذَّهَبْ[4]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص136-137.

[2] المصدر السابق، ص167-168.

[3] المصدر السابق، ص261.

[4] القُراضة: ما سقط من الشيء بالقَرْض، أي القطع، ومنه قُراضَةُ الذَّهب. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (قرض).

وَقَد فُتِنَ بِزَهْرِ البنفسَجِ، لا سيَّما لَونهُ، حَيثُ رَكَّزَ عَلَيهِ، فَجَعَلَهُ كَلَهيبِ النَّارِ المُشتَعِلةِ، بِجامِعِ اللَّونِ الأَحمَرِ الخَمرِيِّ المُمْتَزِجِ بالصُّفرة والزُّرقَة، يقول:[1]

[الكامل]

وبدا البنفسجُ لي فَقُلْتُ لِخاطِري ... في وصفِه كالنَّارِ في إيقادِها
حكَتِ الثُّكُولَ بِخَدِّها أَوْراقُهُ ... وحكى لَدى التَّشْبيهِ صِبْغَ حِدادِها
وبَدَتْ بِزُرْقَةِ بَعْضِهِ خمريةً ... فكأنَّها في اللَّونِ لونُ فُؤادِها

وَأُعجِبَ –أيضاً– بشقائقِ النُّعمان، فَوَصَفَها وَصفاً دقيقاً، حَيثُ صَوَّرَهَا بالسِّراج الزَّاهر الذي يضيءُ الرِّياضَ في اللَّيلِ، وذلكَ لِشِدَّةِ بَريقِها ولَمَعانِها، ثمَّ وَصَفَ شَكلَها وقِوامَها، فَجَعلَها تارَةً أَلفاتٍ، كنايةً عن شموخِها وارتفاعِها وعدَمِ تَفَتُّحِ أَزهارِهَا، وتارةً أُخرى لاماتٍ، كنايةً عن انثنائِها ونُضجِها وتَفتُّحِ أَزهارِهَا، وَكَأَنَّها لا تستطيعُ الاستمرارَ في الشُّموخِ نَظَراً لثقلِ رأسِها (أَزهارِها)، ويُلاحَظُ مِن هَذِهِ الأَبياتِ تأَثُّرَ الشَّاعِرِ بِفَنِّ الكتابةِ، وذلك من خلالِ استعمالِ بَعضِ مُصطَلَحاتِهِ ومُفرَداتِهِ (الألفات، واللامات)، يقول:[2]

[الخفيف]

في رِياضٍ تُرِيكَ في اللَّيْلِ مِنْها ... سُرُجاً مِنْ شَقَائِقِ النُّعْمانِ
كَتَبَتْها أَيْدي السَّحابِ بِأقلا ... مِ دُمُوعٍ عَلَى طُرُوسِ المَغاني
أَلِفاتٍ مُؤَلَّفاتٍ وَلامَا ... تٍ تَكَوَّنَّ مِنْ ضَمِيرِ الْمَعاني

يَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ أنَّ الوأواءَ وَصَفَ الرِّياضَ، وَالورودَ، وَالأَزهارَ بِمُختَلَفِ أَنواعِهَا وَأَصنَافِهَا، وَاعتَمَدَ فِي ذَلِكَ عَلَى الصُّورَتَين اللَّونيَّةِ البَصَرِيَّةِ، وَالشَّمِّيَّة، وَكَأَنَّهُ يَعشَقُ الطَّبيعَةَ وَأَزهارَها؛ لأَنَّها تُرضِي عَينَيهِ بِالأَلوانِ الخَلابَةِ المُتعدِّدَةِ المُتنوِّعةِ التي تَشتَمِلُ عليها، وتُرضِي أَنفَهُ الذي يستَنشِقُ تلك الروائحَ العَطِرةَ الفَوَّاحَةَ التي تَنْتَشِرُ في الجَوّ، وَيَتَّضِحُ كَذَلِكَ أَنَّهُ كَثِيراً مَا

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص91.

[2] المصدر السابق، ص245.

كَانَ يَمزِجُ وَيَدمِجُ بَينَ رَوضِيَّاتِهِ وَخَمرِيَّاتِهِ، فَيَصِفُ الرِّياضَ، وَالأزهَارَ، وَالبَساتِينَ التي تَجمَعُهُ مَعَ نُدَمَائِهِ فِي مَجلِسِ شَراب.

ثانياً: وصفُ الكواكب والنجوم

لَقَد أمعَنَ الوأواءُ الدِّمشقِيُّ في وصفِ الكواكِبِ والنُّجومِ، حيثُ وَصَفَها وصفاً دقيقاً مُحكَماً، فَذَكَرَ البدرَ، والهلالَ، والمرِّيخَ، والجَوزاءَ، والثُّرَيّا، وَقَد اعتَمَدَ في وصفِهَا على العديدِ مِنَ الصُّوَرِ اللَّافِتَةِ، وَعَلى بعضِ الحقائِقِ العلميَّةِ التي تَتَّصِلُ بِعِلمِ الفَلَكِ والنُّجوم، ويُستَشَفُّ من ذلكَ أَنَّهُ كانَ مُثَقَّفاً ثَقَافَةَ عصرِهِ، مُتَمَكِّناً مِنْ هذا العلمِ الذي تَطَوَّرَ في العصرِ العَبَّاسِيِّ تطوُّراً كبيراً، وَبَلَغَ مَبلَغاً عظيماً من الرُّقِيِّ والازدهار، ولا سيَّما في القرنِ الرابعِ الهجري، حيثُ ظَهَرَ عددٌ كبيرٌ من الفلكيين المشهورين، أَمثال البتَّاني، وأَبي الوفاء البوزجاني، والبيروني، كما ابتُكِرَتِ العديدُ مِنَ الآلاتِ الفَلَكِيَّةِ المُتَطَوِّرةِ التي مَكَّنَته منَ الاستواءِ عَلى سوقِهِ بعضَ الشيء[1].

وَتَجدُرُ الإِشَارَةُ إِلى أَنَّ أَشعَارَ وَصفِ الكَواكِبِ وَالنُّجُومِ فِي شِعرِ الوأواءِ قِسمان: قِسمٌ عَلَى هَيئَةِ أَشعَارٍ خَاصَّةٍ مُستَقِلَّةٍ بِوَصفِهَا، وَقِسمٌ يُشَكِّلُ جُزءاً مِن قَصَائِدِهِ فِي المَدحِ وَالخَمرِ وَالغَزَل.

وَبِمَا أَنَّ النجومَ نُقَطٌ مُضيئةٌ لامِعَةٌ تَظهرُ في السَّماءِ بَعدَ أَنْ تَغيبَ الشَّمس[2]، فَإِنَّ الوأواءُ صَوَّرَهَا في قَصِيدَةِ غَزَلٍ تَحَدَّثَ فِيها عَنِ السَّمَاءِ وَنُجُومِهَا والجَوِّ العامّ الذي التَقى فِيهِ بِمَحبُوبَتِهِ، صَوَّرَهَا بعيونٍ لامِعةٍ مُشرِقةٍ لشخصٍ مِنَ الجنسِ الرومِيِّ، قَد وُضِعَت في محاجرِ زِنجِيٍّ أسوَد، حيثُ يَجمَعُ السَّوادُ بينَ هذهِ المحاجِرِ واللَّيل، يقول:[3]

[الخفيف]

وكَـــأَنَّ النُّجُـــومَ أَحْـــداقُ رُومٍ رُكِّبَـــتْ فـــي مَحَـــاجِرِ السُّـــودانِ

---

(1) يُنظَر: أمين، أحمد: **ظهر الإسلام**، ط5، بيروت: دار الكتاب العربي، 1969، 192/2. بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: يعقوب بكر ورمضان عبد التَّواب، ط3، القاهرة: دار المعارف، 1983، 195/4-229.

(2) يُنظَر: الزّيادي، عبد الفتاح: **الأجرام السماوية**، ط1، مصر: مطبعة العلوم بشارع الخليج بجنينة لاظ، 1936، ص26.

(3) الوأواء: **ديوانه**، ص243.

وَكَثِيراً مَا كانَ يَستَحضِرُ الشَّمسَ، وَالقَمَرَ، وَالبَدرَ عِندَ تَغَزُّلِهِ بالمَحبُوبَةِ، لإظهارِ جَمالِهَا، وإشراقِ بشرَتِهَا، وَنَضَارَتِها، وَبَيَاضِهَا، كَقَولِهِ:[1]

[المجتث]

حَـــــازَ الكَمَـــــالَ فَأَضْـــــحى بَـــــدْرُ الـــــدُّجى يَحْكِيـــــهِ

وَلَمَّا كَانَ الوأواءُ يَدمِجُ بَينَ الخَمرِ وَالطَّبِيعَة، فَإِنَّهُ طَلَبَ مِن غُلَامِهِ أَن يُقَدِّمَ لَهُ الخَمرَ في جَوِّ الطَّبِيعَة، ثُمَّ رَاحَ يَصِفُ النُّجُومَ التي تُحِيطُ بالبَدرِ وَسطَ السَّمَاءِ مِن مُختَلَفِ الجِهَـات، حَيـثُ يُصَوِّرُهَا بالأزهار المُتناثرةِ في إِحدى الرِّياض، وَيُصَوِّرُ البدرَ في وسطِهَا بالمصباحِ المُضـيءِ المُنيرِ اللَّامِعِ، يقول:[2]

[الخفيف]

صَـــاحِ هَـــاتِ العُقَـــارَ حَمـــراءَ كَالنَّـــا رِ وَدَعنِـــي مِمَّـــا يَقُـــولُ العَـــذُولُ
مَا تَرى اللَّيـلَ كَيـفَ قَـدْ غَلَـبَ الصُّـب حَ وَقَـــد أَقبَـــلَ النَّســـيمُ العَلِيـــلُ
وَكَـــأَنَّ النُّجُـــومَ وَالبَـــدْرَ أَزْهَـــا رُ رِيـــاضٍ فـــي وَسْـــطِها قِنْـــدِيلُ

وَفِي لَيلَةٍ مِن لَيَالِي إِحدى السِّنينِ المُجدِبَةِ القاحِلَةِ، تتبَّعَ الوأواءُ النُّجومَ في وسط السَّـماءِ شرقاً وغرباً فوَجَدها قليلةً، وعلى قلَّتها مُتَفَرِّقةٌ مُتَناثرةٌ في الجَوِّ، فَصَوَّرَهَا بنرجِسٍ مُتناثرٍ فـي أَرجاءِ إِحدى الرِّياض، بِجامِعِ الضِّياءِ والإِشراق، يقول:[3]

[الرجز]

رُبَّ نُجُـــومٍ فـــي زَمَـــانٍ أَوْرَقِ راعَيْتُهـــا فـــي مَغْـــرِبٍ ومَشْـــرِقِ[4]
كأَنَّهـــا مِـــنْ خَجَـــلٍ لَـــمْ تُطْـــرِقِ أَوْ نَـــرْجِسٍ فـــي رَوْضَـــةٍ مُفَـــرَّقِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص253.

[2] المصدر السابق، ص184.

[3] المصدر السابق، ص163.

[4] عام أَوْرَقُ: لا مطر فيه، والجمع وُرْق. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ورق).

وفي قصيدة مدحٍ، صوَّرَ الشَّاعرُ النُّجومَ وقَد أَحطْنَ بالبَدرِ في جَوِّ السَّماءِ، بدَرَاهِمَ التَفَّت حَولَ الدِّينار، أَي البدر، ثمَّ جَعَلَ هذهِ النُّجومَ اللامِعَةَ عُيوناً تَنظرُ إِلى ذلكَ البدرِ بدَهشَةٍ واستغراب، وَرُبَّما قَصَدَ مِن هَذِهِ الصُّورَةِ التَّعريضَ بِطَلَبِ المالِ مِن مَمدوحِهِ، مِنْ خِلالِ استعمالِ مُفردات (الدراهم، والدنانير)، ولعلَّه –أَيضاً– أَرادَ أنَّ ممدوحَهُ كالبدرِ في تَميُّزه وإِشراقِه، وأَنَّ الشعراءَ المَدَّاحين المُندَهِشين مِنْ صِفاتِهِ مُلتَفِّين حَولَهُ كالنُّجوم، يقول:[1]

[الخفيف]

ونُجومٌ مِثْلُ الدَّراهِمِ أَحْدَقْ ... نَ ببَدرٍ في الجَوِّ كالدِّينارِ
باهِتاتٌ كأَنَّهُنَّ عُيُونٌ ... ناظِراتٌ منها بِلا أَشْفارِ

وفي مقطوعةٍ أخرى صوَّرَ النجومَ لُؤلُؤاً عَظِيماً لامِعاً مُتَناثِراً عَلى أَرضٍ مَرصوفَةٍ بالحجارَةِ الكريمَةِ الزرقاء المائِلَةِ إِلى الخُضرة، ثمَّ جَعَلَ هذهِ النُّجومَ، وهيَ تَلمَعُ مِن خِلالِ السَّحاب، شرراً يتطايَرُ في الجَوِّ مُنبَعِثاً عن احتراقِ نباتِ العَرفَجِ[2]، وَعَبَّر عن هذهِ الصُّورةِ في قولِهِ:[3]

[الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالنُّجُومُ كأَنَّها ... دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْفَيْرُوزَجِ
يَلْمَعْنَ مِنْ خَلَلِ السَّحابِ كأَنَّها ... شَرَرٌ تَطايَرَ عَنْ يَبِيسِ الْعَرْفَجِ

وَوَصَفَ الوأواءُ البدرَ في كثيرٍ مِن أَشعارِهِ، فها هو ذا يرسُمُ لَهُ صورةً في أَوَّل طُلُوعِهِ، وَيُشَبِّهُهُ بِوجهٍ مُضيءٍ مُشرِقٍ، يُخفي صاحبُه جُزءاً منه بِلِثامٍ يلبسُه، فلا يَنكشفُ منهُ إلا الشيءُ اليسير؛ ولتأكيدِ هذهِ الصُّورَةِ وترسيخِهَا في الذِّهنِ، جَعَلَ ذاكَ الوجهَ المُلَثَّمَ وكَأَنَّه خُوذَةٌ مِن فِضَّةٍ،

---

(1) الوأواء: **ديوانه**، ص95.

(2) العَرْفَج والعَرْفِج: نبت، وقيل: هو ضرب من النبات سُهْلِيٌّ سريع الانقياد، واحدته عَرْفَجة، وفي حديث أبي بكر –رضي الله عنه– خرج كأَن لِحيته ضِرام عَرْفَجٍ؛ فُسِّرَ بأَنَّه شجر معروف صغير سريع الاشتعال بالنار، وهو من نبات الصيف. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عرفج).

(3) الوأواء: **ديوانه**، ص263.

بِجامِعِ الضِّياءِ والإشراقِ واللَّمعان، قَد وُضِعَتْ في هامَةٍ مِن العنبرِ الأَسوَدِ اللَّون، وذلِكَ يَعْني أَنَّهُ صَوَّرَ اللَّيلَ باللِّثامِ الأَسودِ تارةٍ، وتارةً أُخرى بمادةِ العنبر، يقول:[1]

[الكامل]

والبـــدرُ أَوَّلَ مـــا بـــدا مُتَلَثِّمـــاً يُبْـدي الضِّـياءَ لَنـا بِخَـدٍّ مُسْـفِرِ
فَكأَنَّمـــا هُـــوَ خُـــوذَةٌ مِـــنْ فِضَّـــةٍ قَدْ رُكِّبَـتْ فـي هامَـةٍ مـن عَنْبَـرِ

وأُعجِبَ الوأواءُ في البدرِ عِندَ تمامِهِ واكتمالِه، فَجَعَلَهُ عاشِقاً مَسروراً سعيداً خَرَجَ للقـاءِ مَعشوقَتِهِ الشَّمس، لكِنَّه لَمْ يَجِدْهَا في المكانِ المُتَّفَقِ عَلَيه، فَعَادَ مَكسوفاً مَخذُولاً مِنْ حَيثُ أَتى، ولَم يَظهَرْ إلا بَعدَ فَترَةٍ مِنَ الغياب، وَفِي هذِهِ الصُّورَةِ كنايةٌ عَنِ انتهاءِ شَهْرٍ وَابتداءِ آخر، يقول:[2]

[المنسرح]

مَن لـم يـرَ البَـدرَ لا يـرى عَجبـا فـي ليلـةِ الـتِّمِّ إذ بـدا طَرِبـا
أَســفر للشــمسِ كــي يُقَبِّلَهــا فمــا رآهــا فعــاد مُنتقبــا

وَرَكَّزَ على وَصْفِ الهلالِ، فَها هو ذا يَرسُمُ لَهُ عِنْدَ طُلوعِهِ صورةً لطيفـةً، فَلصِـغَرِهِ وَضَعفِ ضوئِه وخُفوتِهِ بينَ النُّجومِ السَّاطِعَةِ في جَوِّ السَّماء، صَوَّرَهُ –وَقَد أَحاطَتْ فيهِ النُّجـومُ– شَخصاً مَرِيضاً عَلِيلاً مُلْقىً بينَ زُوَّارِه، ثمَّ جَعَلَهُ عاشِقاً صَبّاً يختبئ وَيَختَفي عَنْ أَعيُنِ النَّـاس؛ خَوفاً مِنَ الحَسَد، يقول:[3]

[المتقارب]

كـــأَنَّ الهِـــلالَ وَقَـــدْ أَسْـــرَعَتْ يَـــدُ البَـــيْنِ فـــي فَـــرْطِ إِنْفـــادِه
وَحَفَّـــتْ بِـــهِ طالِعـــاتُ النُّجـــومِ عَلِيـــلٌ لَقَـــىً بـــينَ عُـــوَّادِه[4]
خَفِـــيٌّ عَـــنِ اللَّحـــظِ عِنْـــدَ الْعِيـــانِ كَصَـــبٍّ نـــأَى خَـــوْفَ حُسَّـــادِه
كـــأَنَّ السَّـــقامَ لَـــهُ عاشِـــقٌ فَقَـــدْ ســـارَ قُرْبـــاً بِإِبْعـــادِه

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص108.

[2] المصدر السابق، ص53.

[3] المصدر السابق، ص79–80.

[4] اللَّقى: المُلْقى على الأرض. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (لقي).

وَمثلُهُ قَولُهُ:[1]

[المتقارب]

كـــأَنَّ الهِـــلالَ إذا مـــا بَـــدَا وَأَيـــدي المحـــاقِ بِـــهِ تَمْحَـــقُ
عَلَيْـــلٌ عَلَـــى فَرْشِـــهِ مُـــدْنَفٌ وكـــلُّ النُّجُـــومِ بِـــهِ تُحْـــدِقُ
فَهـــذاكَ يَتْلَـــفُ مِـــنْ عِلَّـــةٍ وَهاتِيـــكَ وَجْـــداً بِـــهِ تَخْفُـــقُ

وَأُعْجِبَ بِمَنظَرِ الهِلالِ وَقَد ظَهَرَ في السَّماءِ تَحْتَ الثُّرَيَّا، فَوَصَفَهُ بِأَنْ جَعَلَ ذلكَ الهِـلالَ مَلِكاً عَظِيماً وَقُوراً يَضَعُ تَاجاً فَوقَ رَأسِهِ، يقول:[2]

[الخفيف]

وكَـــأَنَّ الهِـــلالَ تَحْـــتَ الثُّرَيَّـــا مَلِـــكٌ فَـــوْقَ رَأْسِـــهِ إِكْلِيـــلُ

وَلَعَلَّه –وَهُوَ المُثَقَّفُ بِعِلمِ الفَلَكِ وَالنُّجوم– نَظَرَ إِلى السَّماءِ ذات لَيلَةٍ مِنْ لَيالِي الصَّـيفِ الصَّافِيَةِ، فَلاحَظَ وجودَ الهِلالَ والثُّرَيَّا وَبَينَهُما الزُّهرَة، فَتَفَتَّقَتْ شاعِرِيَّتُهُ بِفِعلِ هذا المَنظَرِ، وَرَسَمَ صورةً جديدَةً مُبتَكَرَةً لِمَا رآه، استمَدَّهَا مِن عالَمِ الطَّردِ والصَّيد، حَيثُ جَعَـلَ الهِـلالَ وَالثُّرَيَّـا فَرِيقَيْن يَتَسابَقَان، وَقَد تَمكَّنَت الثُّرَيَّا مِن سَبْقِهِ وَالتَّغلُّبِ عَلَيه، ثمَّ صَوَّرَ الهِلالَ المُقَـوَّسَ الشَّـكل بالقَوسِ الذي يَرمِي بِهِ الصَّائِدُ طريدَتَهُ، وَجَعَلَ الثُّرَيَّا طائِراً يريدُ أَحَدُهُم اصطِيادَهُ، ثـمَّ صَـوَّرَ كَوكَبَ الزُّهرَةِ بِسَهمٍ أُطْلِقَ مِنَ القَوسِ لاصطِيادِ ذلكَ الطَّائِرِ، وَفِي يَقِينِي أَنَّ الشَّاعِرَ كانَ مُوَفَّقاً في اختِيارِ كَوكَبِ الزُّهرةِ لِإتمامِ هذِهِ الصُّورةِ، ذَلكَ أَنَّ هذا الكوكَبَ يُعَدُّ مِنْ أَكثَرِ الكَواكِبِ سُـطُوعاً وَأَشدِّها تَأَلُّقاً وَسَناءً[3]، وَكَأَنَّهُ باختيارِهِ لَهُ يُكَنِّي عَن قُوَّةِ السَّهمِ وَشِدَّةِ سُرعَتِهِ، يقول:[4]

[المتقارب]

رَأَيْـــتُ الهِـــلالَ وَقَـــدْ أَقْبَلَـــتْ نُجُـــومُ الثُّرَيَّـــا لِكَـــيْ تَسْـــبِقَهْ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص163–164.

[2] المصدر السابق، ص178.

[3] يُنظَر: الزّيادي، عبد الفتاح: **الأجرام السماوية**، ص120.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص160.

فَشَـــبَّهْتُهُ وَهُـــوَ مِـــنْ خَلْفِهـــا وَبَيْنَهُمـــا الزهْـــرَةُ الْمُشْـــرِقَهْ
بِقَـــوْسٍ لِـــرَامٍ رَأى طَـــائِراً فَأَرْسَـــلَ فِـــي إِثْـــرِهِ بُنْدُقَـــهْ[1]

ويَرْقُبُ الوأواءُ انتهاءَ شهرِ رَمَضان، وطلوعَ هلال شوَّال، وَحينما يراهُ في السَّماءِ يَفرَحُ فَرَحَاً كبيراً، ويُصَوِّرُهُ؛ لِصِغَرِهِ وَنُضُوِّهِ، بأوَّلِ مَا يظهَرُ مِنَ السَّيفِ حينَ يُسَلُّ مِنْ غِمدِهِ، بِجـامِعِ السُّطوعِ واللَّمَعان، يقول:[2]

[الطويل]

وَلاحَ هِـــلالُ الفِطْـــرِ نِضْـــواً كأَنَّـــهُ بُدُوُّ غِرَارِ السَّـــيْفِ مِـــنْ أَسْـــفَلِ الغِمْـــدِ

وَصوَّرَ كوكَبَ المرِّيخَ بشُعلَةٍ مُلتَهِبَةٍ مِنَ النِّيران، وذلكَ في قولِهِ:[3]

[الخفيف]

وكَـــأَنَّ الْمِـــرِّيخَ إِذْ رُمِـــيَ الغَـــرْ بُ بِـــهِ شُـــعْلَةٌ مِـــنَ النِّيـــرانِ

إنَّ هَذِهِ الصُّورةَ تَتَساوَقُ مَعَ الحقائِقِ العِلميَّةِ التي تَتَعَلَّقُ بِهَذا الكَوكَبِ، فَهُوَ "يبـدو فـي السماء للعين المجردة جرما كبير الحجم، يميز عادة ببريقه البرتقـالي الضـارب للحمـرة ... ولاحمرار لون المريخ سماه العبرانيون قديما ((الملتهب))، وقدماء اليونان ((المتقد))، والهنـود ((انجاراكا أي الفحم المضطرب"[4].

وَوَصَفَ الجَوزاءَ، فَصَوَّرَهَا بِفَتاةٍ تَمُدُّ يَمِينَهَا لِعِناقِ اللَّيلِ واحتِضَانِهِ، يقول:[5]

[الخفيف]

وَيَمِـــينُ الْجَـــوْزاءِ تَبْسُـــطُ باعـــاً لِعِنـــاقِ الـــدُّجى بِغَيْـــرِ بَنـــانِ

---

[1] البندق: هو الشيء الذي يُرمى به. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (بندق).

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص267.

[3] المصدر السابق، ص243.

[4] الزّيادي، عبد الفتاح: **الأجرام السماوية**، ص128.

[5] الوأواء: **ديوانه**، ص243.

ولَمْ يَنْسَ الشَّاعِرُ وَصْفَ الثُّرَيَّا التي "تظهر للراقب مؤلفة من كوكبين نيرين بينهما خمسة كواكب مجتمعة متقاربة كعنقود العنب"[1]، أَوْ شَجَرَةِ السَّرو، ولَمَّا كانَت كذلِكَ، فَقَد شَبَّهَها الوأواءُ بالسَّروةِ التي لَمْ تُورِق، ذلكَ أَنَّ قوامَهَا شَبيهٌ بِقوامِ تِلكَ الشَّجرة، يقول:[2]

[الرجز]

والقُطْــبُ حِــينَ يَعْتَلــي وَيَرْتَقــي إِذا الثُّرَيَّــا سَــرْوَةٌ لَــمْ تُــورِقِ

وَمَنْ يتَذَوَّقُ الشِّعرَ، فَإِنَّهُ حينَمَا يَقرأُ الأَبياتَ الآتيةَ في وَصْفِ الثُّرَيَّا والبدر وتصويرِهما، تَتَكَشَّفُ لَهُ المَقدِرَةُ الشِّعرِيَّةُ التَّصويرِيَّةُ التي يَتَمَتَّعُ بِها الوأواء، يقول:[3]

[مجزوء الكامل]

قُــمْ فَاجْــلُ هَمِّــي يــا غُــلامُ بِــالرَّاحِ إِذْ ضَــحِكَ الظَّــلامُ
وَجَــلا الثُّرَيَّــا فــي مُــلا ءَةِ نُــورِهِ البَــدْرُ التَّمــامُ
فَكَأَنَّهــا كَــأْسٌ يُــد يــرُ بِهــا الــدُّجى وَالْبَــدْرُ جَــامُ
وَكَــأَنَّ زُرقَ نُجُومِهــا حَــدَقٌ مُفَتَّحَــةٌ نِيَــامُ
وَأَظُنُّهــا مِــنْ صِــحَّةٍ مَرِضَــتْ وَلَــيْسَ بِهــا سَــقَامُ
فَكَأَنَّهــا وَكَأَنَّــهُ إِذْ حَــانَ بَيْنَهُمــا انْصِــرامُ،
وَهَــوَتْ لِتَغْــرِبَ فَــانْثَنى عَنْهــا بِمَغْرِبِهــا ابْتِســامُ
خَــوْدٌ هَــوى مِــنْ أُذْنِهــا قُــرْطٌ فَقَبَّلَــهُ غُــلامُ
وَالْفَجْــرُ فــي غَسَــقِ الــدُّجى كَالْمَــاءِ خَالَطَــهُ المُــدامُ

يُستَخلَصُ ممَّا سَبَقَ أَنَّ الوأواءَ وَصَفَ الكَواكِبَ وَالنُّجُومَ عَلَى اختِلافِ تَسمِياتِهَا وَأَصنَافِهَا، فَتَرَكَ فَي ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الصُّوَرِ اللَّافِتَة، وَأَنَّ وَصفَهُ لَهَا لَم يَأتِ عَلَى نَمَطٍ وَاحِدٍ، فَمِنهُ مَا كَانَ مُجَرَّداً مُستَقِلّاً في مَقطُوعَاتٍ خَاصَّةٍ يُعَبِّرُ فِيها عَن إِعجابِهِ بِهَذِهِ الكَواكِبِ وَالنُّجُوم، وَمِنهُ مَا وَرَدَ فِي قَصائِدِهِ فِي الخمرِ، وَالغَزَلِ، وَالمَدحِ حَيثُ ارتَبَطَت بِمَضَامِينِهِ الخَمرِيَّةِ، وَبِصُورَةِ المَحبُوبَةِ وَالمَمدُوح.

---

(1) الزّيادي، عبد الفتاح: **الأجرام السماوية**، ص206.

(2) الوأواء: **ديوانه**، ص163.

(3) المصدر السابق، ص202-203.

المَبحَثُ الثَّاني

وصفُ مَظاهِرِ الحَضارة

شَهِدَ العَصرُ العَبَّاسِيُّ تَطَوُّراً حضارِيًّا كبيراً لَم يَسبِق لَهُ مَثيل[1]، وَذلكَ بِفِعلِ تمازُجِ العَرَبِ بِغَيرِهِم مِنَ الأُمَمِ الأُخرى، وَانفِتاحِهِم عَلى حضاراتِها وَإِنجازاتِهَا، وَقَد أَثَّرَ ذلِكَ في الأَدَبِ العَرَبِيِّ تَأثيراً عَظيماً، لا سيَّما الشعرُ، فَقَد أَخَذَ الشُّعَراءُ يَتَناوَلونَ في أَشعارِهِم قَضايا وَظَواهِرَ جديدةً مِن نِتاجِ العَصرِ الذي يَعيشونَ فيه، وَرَاحُوا يَصِفُون أَشياءَ وَأَدَواتٍ تَقليدِيَّةً تَناوَلَها الشُّعَراءُ السَّابقون، وَمِن تلكَ المَظاهِرِ وَالأَدَوات البِرَكُ، وَالجُسورُ، وَالسُّفُنُ، وَالشُّموعُ، وَآلاتُ الطَّرَبِ وَالموسيقى كالعودِ، وَالمعزفةِ، وَالنَّايِ، وَمِنهَا المرآةُ، وَكانونُ النَّارِ، وَالفحمُ، وَالمُزَمَّلَةُ[2]، وَالدَّواليبُ وَالنَّواعير، وَأَدواتُ الكتابَةِ كالأقلامِ، وَالمَقالِم، وَالأَوراقِ، وَالمَحابِرِ[3].

وكانَ الوأواءُ الدمشقِيُّ مِمَّن وَصَفوا بَعضَ هذِهِ المَظاهِرِ، لكنَّ وَصفَه لَهَا جاءَ قَليلاً بالمُقارَنَةِ مَعَ إنتاجِهِ الشِّعرِيِّ، وربَّما يعودُ ذلكَ إِلى انشغالِهِ عَنها بالحُبِّ والغَزَلِ، وَوَصفِ الخَمرِ والرِّياض، حيثُ كانت هذِهِ القضايا شغلَه الشاغِلَ، وكانَ النَّفَسُ الشِّعريُّ للوأواءِ في هذا الميدانِ قصيراً جدًّا، حيثُ جاءَت أَشعارُهُ فيهِ على هيئةِ مقطوعاتٍ قَصيرةٍ تَتَألَّفُ مِنْ أبياتٍ قليلةٍ معدودة.

إِنَّ الشَّمعَةَ أَوَّلُ المَظاهِرِ الحَضارِيَّةِ التي وَصَفَها الشَّاعِرُ الوأواءُ، فَقَد أُعجِبَ بِهَا إِعجَاباً كَبيراً، يَتَّضِحُ مِنْ خِلالِ تَركيزِهِ عَلى وَصفِها، حَيثُ وَصَفَها في خَمسِ مقطوعات، وَبِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُختَلِفاً عَن شُعَراءِ عَصرِهِ، فَقَد كانَتِ الشَّمعةُ مِن أَهمِّ المَظاهِرِ الحَضَارِيَّةِ التي تَغَنَّى بها الشُّعَراء آنذاك، حَيثُ نالَت حَظّاً وافِراً مِن شِعرِهِم وتشبيهاتِهِم وصوَرِهِم الفَنِّيَّةِ، وذلكَ يعودُ إِلى أَنَّها استَهوَتِ الشُّعراءَ، وأَثارَت مَشاعِرَهُم وحرَّكتها، ونشَّطت خيالَهُم بِخَصرِهَا الدَّقيقِ، وعُنُقِها

---

(1) يُنظَر: الحاوي، إيليّا: **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي**، ط3،بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1980، ص139-140.

(2) هي جَرَّة خضراء كان يُبَرَّدُ فيها الماء. مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة (زَمَلَ).

(3) يُنظَر: الشكعة، مصطفى: **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص337-393.

الطَّويلِ، وغلائها الذَّهبية، ودمعِهَا العسجدِي[1]، فَضلَاً عَن تَنَافُسِهِم فِي وَصفِهَا؛ رَغبَةً مِنهُم فـــي إبرازِ تَمَيُّزِهِم وَابتِكارِهِم وَإبداعِهِم.

فها هُوَ ذا يَرسُمُ لَها صورةً جَمِيلَةً، حيثُ يُظهِرُ شكلَها المستقيمَ الذي يُدهِشُ النَّاظِرينَ إليهِ وَيُثيرُ إعجابَهم، وَيُصَوِّرُهُ بغصنِ الشجَرَةِ تارةً، وَتَارةً أُخرى بحرفِ الأَلِفِ، ثُمَّ يُشيرُ إلـــى أَنَّهـــا تُضيءُ بِنورِها ظَلامَ اللَّيلِ الذي تكرهُهُ، وتعمَلُ على محارَبَتِهِ مِن خِلالِ إشعالِ نفســـها، وإذابَـــةِ قوامِها شيئاً فَشَيئاً، لكِنَّها لا تَعلَمُ أَنَّها هِيَ الطَّرَفُ الخاسِرُ في هذِهِ المَعرَكَةِ، إذْ إِنَّها سرعانَ مـــا تذوبُ وَتَفنى وَتَنطفئُ شُعلَتُها، وَيَبقى اللَّيلُ مُسَيطِرَاً مُستَمِرّاً دونَ أنْ يَتأَثَّر، يقول:[2]

[المنسرح]

قـــوامُ غصـــنٍ كأَنَّـــه أَلِـــفٌ	**تُهـــدي لنـــا مـــن رُضـــابها لَهبـــا**
باطِنُهـــا مُكْـــتَسٍ وظاهرُهـــا	**لِلعـــينِ يُبـــدي مســـتَنْزَهاً عَجبـــا**
قَـــد يَئِسَـــتْ مـــنْ بقائِهـــا فتـــرى	**أَدمعَهـــا طـــولَ ليلهـــا سَـــكبا**
تُكابـــد الليـــلَ وهـــي جاهِلَـــةٌ	**وعمرُهـــا فـــي الكبـــادِ قـــدْ ذَهَبـــا**

والشَّمعةُ تُنيرُ ظلامَ اللَّيلِ بضوئِها؛ لإسعادِ النَّاسِ، وإزالةِ وحشَةِ اللَّيلِ عنهم، على الرّغمِ مِن أَنَّها بِفِعلِهَا هذا تُهلِكُ نفسَها، لكِنَّ النَّاسَ رئيفونَ بها، ومُشفِقون عليها، فحينَما تَقتَـــرِبُ مِـــنَ الذَّوَبانِ التَّامّ، يَقطعونَ رَأسَها، كِنايَةً عَن قِيامِهِم بإطفاءِ شُعلَتِها، والمحافَظَةِ على الجزءِ المُتَبَقِّـــي منها، وحمايَتِهِ مِنَ الذَّوَبان، وَبِهَذَا، فَهَذِهِ الصُّورَةُ تَشتَمِلُ عَلَى مُفَارَقَةٍ جَمِيلَةٍ، ذَلِكَ أَنَّ قَطعَ الرَّأسِ فِي الشِّعرِ يَكُونُ دلالَةً عَلَى المَوتِ عَادَةً، بَينَما هُنَا دلالَة عَلَى الحَياة، وَفِي هَذَا شَيءٌ مِنَ التَّجدِيدِ في المَعنى وَالصُّورة، يَقُول:[3]

[الخفيف]

وكَأَنَّهـــا تَهْـــوى إذاعَـــةَ ضَـــوْئِها	**لِلنَّـــاظِرِينَ لِسَـــعْدِهِمْ بِنُحُوسِـــها**

---

(1) يُنظَر: أبو حلتم، نبيل خليل: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري (من خلال يتيمة الدهر)**، الدوحة–قطر: دار الثقافة، 1985، ص303–304.

(2) الوأواء: **ديوانه**، ص50.

(3) المصدر السابق، ص127.

فَـــإذا تَقَـــرَّبَ عُمْرُهـــا لِنَفـــادِهِ رَدُّوا لَهـــا عُمْـــراً بِقَطْـــعِ رُءُوسِـــها

وَيَصِفُ شَمعَةً أُخرى بِضُمورِ الخَصرِ، وَيُصَوِّرُها وهي تُنيرُ اللَّيلَ بالسَّهمِ الذي ينطَلِـقُ بِسُرعَةٍ كَبيرَةٍ جِدًّا، وَكَأَنَّ رأْسَهُ يُضيءُ مِنْ شِدَّةِ الاحتكاك، وَمَصيرُ هـذه الشَّـمعَةِ فـي أَيـدي أَصحابِها، فَإِن أَبقَوا على رَأسِها، كنايَةً عَن إِيقادِ النَّارِ فيها وَإِشعالِها، مَرِضَت وَماتَـت وَهَلَكَـت وَفَنِيَت، وَإِنْ قَطَعُوا رَأسَها، كنايَةً عن إِطفاءِ نارِها، بَقِيَت عَلى حالِها، وَلَمْ تَهلَكْ، يقول:[1]

[المتقارب]

ومَخْطُوفَـــةِ الْخَصْـــرِ لَمَّـــا بَـــدَتْ لَدى اللَّيْـــلِ عايَنْـــتُ سَـــهْماً يُضِـــي
تُعاقِـــبُ مِـــنْ نَفْسِـــها نَفْسَـــها فَتَقْضِـــي الأُمُـــورَ كَمَـــا تَنْقَضِـــي
وتَمْـــرَضُ إِنْ تَرَكُـــوا رَأْسَـــها وإِنْ قَطَعُـــوا الـــرَّأْسَ لَـــمْ تَمْـــرَضِ

وَصَوَّرَ الوأواءُ الشَّمعَةَ بالعُمرِ المُقَدَّرِ للإنسانِ أَنْ يَعيشَهُ، وَجَعَلَ شُعلَةَ النَّارِ المُتَّقِدَةَ فيهـا الأَجَلَ الذي يُنهي ذاكَ العُمرَ ويستَنفِدَه، يقولُ بعدَ أَنْ وَصَفَ قوامَ تلكَ الشَّمعَةِ مُشَبِّهاً إِيَّاها بالرِّماحِ المُستَقيمَةِ المَمشوقَةِ القَوام:[2]

[مجزوء الرجز]

مَمْشُـــوقَةٌ فـــي قَـــدِّها تَحْكـــي لَنـــا قَـــدَّ الأسَـــلْ
كأَنَّهـــا عُمْـــرُ الْفَتـــى وَالنَّـــارُ فيهـــا كالأجَـــلْ

وَيَصِفُ في مقطوعَةٍ جَديدَةٍ شَمعَةً، وَكَأَنَّه يَتَحَدَّثُ عَنِ فَتاةٍ، حيثُ وَصَفَها بالهَيَفِ وَدِقَّـةِ الخَصرِ، ثُمَّ جَعَلَ لَونَها أَصفَرَ فاقِعاً كَلَونِ العاشِقِ الذي اشتَدَّ عليه المَرَض، وفي صورَةٍ مُكَـرَّرَةٍ تَحَدَّثَ عَن أَثَرِ إِشعالِ النَّارِ بِفَتيلِ تلكَ الشَّمعةِ، فَهِيَ تُزيلُ الظَّلامَ وتفنيه، لكِنَّها بالمقابِـلِ تـذوبُ وَتَهلِكُ نَفسَها فِي سَبيلِ ذَلِكَ، يَقُول:[3]

[المتقارب]

وَهَيْفـــاءَ مِـــنْ نُـــدَماءِ الْمُلـــو كِ صَـــفْراءَ كالْعاشِـــقِ الْمُـــدْنَفِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص137.

[2] المصدر السابق، ص180.

[3] المصدر السابق، ص149.

تَكِيـــدُ الظَّـــلامَ كَمـــا كادَهـــا فَتَفْنـــى وتُفْنِيـــهِ فـــي مَوْقِـــفِ

وَلَقَد قَدَّمَ الوأواءُ في مقطوعةٍ وَحيدَةٍ مُفرَدَةٍ وَصفاً للدَّواليبِ والنَّواعير، بَدأَهَا بالحديثِ عَن وَظيفَةِ هَذِهِ الآلَةِ، فَهِيَ تَعمَلُ عَمَلَ السَّحابِ الماطِرِ المُحَمَّلِ بالمـــاء، إِذْ إِنَّهـــا تَســـقي الرِّيـــاضَ وَالمَزروعاتِ بالماءِ الكَثيرِ الَّذي تَستَخرِجُهُ مِنْ مَكانٍ تَجَمُّعِهِ، سَواءٌ أَكـــانَ بِئـــراً أَمْ نَهـــراً، ثُـــمَّ صَوَّرَهَا بالفَلَكِ الَّذي يَتَحَرَّكُ باستمرارٍ في حَرَكَةٍ دائِرِيَّةٍ، وَخِلالَ هذِهِ الحَرَكَةِ يقومُ بِرَفعِ المـــاءِ وَرَميهِ مِنْ أَعلى إِلى الأَرضِ المُرادِ سِقايَتها، وَلَمْ يَنْسَ وَصفَ الأَصواتِ التي تَصدُرُ عَنْ هَـــذِهِ الآلَةِ خِلالَ عَمَلِها، فَتارَةً جَعَلَها مثلَ حَنينِ العَاشِقِ المُشتاقِ إِلى مَحبوبَتِهِ، وَتارَةً أُخرى مِثلَ أَنينِ شَخصٍ جَزِعٍ لِكَثرَةِ المَصائِبِ الَّتي نَزَلَتْ عَلَيه، يقول:[1]

[الكامل]

وَكَرِيمَـــةٍ سَـــقَتِ الرِّيـــاضَ بِـــدَرِّها فَغَدَتْ تَنُـــوبُ عَـــنِ السَّـــحابِ الهَـــامِعِ
بِلبَـــاسِ مَحـــزُونٍ وَدَمْعَـــةِ عاشِـــقٍ وَحَنِـــينِ مُشْـــتَاقٍ وَأَنَّـــةِ جَـــازِعِ
فَكَأَنَّهَـــا فَلَـــكٌ يَـــدُورُ، وَعُلْـــوُهُ يَرْمِـــي القَـــرارَ بِكُـــلِّ نَجْـــمٍ طَـــالِعِ

وَلَم يَخلُ شِعرُهُ مِن وَصفِ الآلاتِ المُوسيقِيَّةِ، وَإِن كَانَ قَلِيلاً مَحدُوداً، حَيثُ قَدَّمَ في إِحدى مَقطُوعَاتِهِ وَصفاً لِعودٍ تَضرِبُ عَلَيهِ إِحدى المُغَنِّيات في مَجلِسِ غِناءٍ وَلَهـــوٍ وَمُجـــونٍ، فَجَعَـــلَ ضَربَها عَلَيهِ وَمَا يَنتُجُ عنهُ مِنْ أَصواتٍ بِمَنزِلَةِ إِحياءٍ لِتِلكَ القِطعَةِ الخَشَبِيَّةِ، وَبَعثٍ لِلرُّوحِ فيهـــا، كَما أَنَّ أَصابِعَ هذِهِ المُغَنِّيةِ، وَهِيَ تُدَغدِغُ أَوتارَ ذاكَ العُودِ وَتَتَلاعَبُ في تَحريكِها, تُعَبِّرُ عَمَّا تُريدُ المُغَنِّيَةُ أَن تَقولَه، وَمَا يَجولُ في خلدِها وَخاطِرِها مِنْ خِلالِ الأَلحانِ والأَصواتِ التي تَتَسَبَّبُ في إِطلاقِها مِنه، فَإِن كانَت فَرِحَةً تَعزِفُ أَلحاناً جَمِيلَةً مُفرِحَةً، وَإِن كانَت حزينَةً تَعزِفُ أَلحاناً حزينَةً كَئيبَةً، يقول:[2]

[البسيط]

تُرَكِّـــبُ الـــرُّوحَ فِيـــهِ إِذْ تُرَكِّبُـــهُ فِـــي حِجْرِهـــا فَمَلاوِيهـــا مَلاوِيـــهِ[3]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص274-275.

[2] المصدر السابق، ص251-252.

[3] المِلاوة والمَلاوة والمُلاوة والمَلا : مُدَّةُ العَيش. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ملو).

حَتَّـــى إذا دَغْـــدَغَتْ أَوْتـــارَهُ عَبَثـــاً تَكَلَّمَـــتْ أَلْسُـــنٌ مِـــنْ صَـــدْرِها فِيـــهِ
مَا أَفْسَـدَتْ يَـدُها الْيُمْنَـى مَحَاسِـنَهُ مُـذْ أَصْـلَحَتْ يَـدُها اليُسْـرى مَسـاوِيهِ

وَاستعمَلَ الوأواءُ فِي ظِلِّ دَعوَتِهِ إِلى اللَّهوِ والعَبَثِ والمُجونِ والاستمتاعِ بِلَذائِـذِ الحَيـاةِ اثنتينِ مِنَ الآلاتِ الموسيقِيَّةِ، وَهُما النَّايُ والعُود، مُرَكِّزاً عَلى وَصفِ الأَصوات التي تُصدِرانِها، وَسيلَتَينِ لإِغراءِ أَصحابِهِ للانجِرَارِ وَرَاءَهُ لِلعَيشِ في هَذِهِ الحَياةِ، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[1]

[المجتث]

يـــا شـــيعةَ اللَّهْـــوِ هُبُّـــوا إِلـــى اللَّـــذاتِ هُبُّـــوا
فالنَّـــايُ يُبـــدي أَنينـــاً يُشـــجي وللعُـــودِ ضَـــرْبُ
وأَعـــينُ الغيـــثِ تجـــري لَهـــا انهمـــالٌ وسَـــكبُ
ومـــا علينـــا جُنـــاحٌ فيمـــا فَعَلْنـــا وَعَتْـــبُ

وَهَكَذَا، قَدَّمَ الوأواءُ وَصفاً لِبَعضِ مَظَاهِرِ الحَضَارَةِ وَمُخرَجاتِهَا التي شَاعَت فِي عَصرِهِ، وَهِيَ: الشَّمعَةُ، وَالدَّوَالِيبُ وَالنَّواعِيرُ، وَالعُودُ وَالنَّاي، وَعَلَى الرَّغمِ مِن قِلَّةِ الأَشعَارِ التي صَاغَهَا فِي هَذا المَيدَان، إلا أَنَّهَا تُدَلِّلُ عَلَى مُوَاكَبَتِهِ لِلتَّطَوُّرِ الحَضَارِيِّ وَمَظَاهِرِهِ مُواكَبَةً حَثِيثَةً، وَإِعجَابِهِ بِهَا إِعجَاباً عَظِيماً، الأمر الذي دَفَعَه إِلى الإِبداعِ فِي وَصفِهَا وَتَصويرِهَا.

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص49-50.

المَبحَثُ الثَّالِثُ

وَصفُ المَمدوح

يُعَدُّ المَدحُ مِن أَهَمِّ الأَغراضِ التي طَرَقَها الوأواءُ الدِّمشقِيُّ في فَنِّهِ الشِّعرِيِّ، إِذ رَكَّزَ في مَدحِهِ- كما مرَّ آنفاً- على اثنينِ مِنَ الأُمَراءِ والشُّرَفاءِ مِن أَبناءِ عَصرِهِ وَزَمانِهِ، هُما: الشريفُ العَقيقِيّ، حَيثُ مَدَحَهُ في دمشقَ بأَربَعِ قَصائِد، والأَميرُ الحمدانِيُّ سيفُ الدَّولةِ أَميرُ حَلَب آنذاك، وَبَلَغَتْ مَدائِحُهُ فيهِ ثلاثَ قصائِد.

وَقَد اهتَمَّ الوأواءُ في وصفِهِ مَمدُوحَيْهِ بإِبرازِ كَرَمِهما وَسَخَائِهما وَجودِهما، فَضلاً عن صِفاتِ القُوَّةِ والشَّجاعَةِ والإِقدامِ التي يَتَّسِمانِ بِها؛ وذلكَ حتَّى يَتَساوَقَ مَدحُهُ لَهُما مَعَ الغايَةِ التي يَرنو إِلَيها وَيَسعى إِلى الحُصُولِ عَلَيها، فَهُوَ لَمْ يَمدَحْ مِن مُنطَلَقِ التَّعبيرِ عَن إِعجابِهِ بهذا الأَميرِ أَو ذاك، بَل كانَ مدحُهُ وسيلةً للتَّكَسُّبِ وَجَمعِ المالِ والنَّوالِ، والتَّزوُّدِ مِنْ لذائِذِ الحياةِ وَأَطايِبِها[1]، ولَم يَكُنِ التَّقرُّبُ مِنَ الخُلَفَاءِ والأُمَراءِ بهدَفِ التَّكَسُّبِ والحُصُولِ على المالِ شأنَ الوأواءِ حَسْب، بَلْ كانَ دَيْدَنَ مُعظم شُعراءِ عَصرِهِ وَزَمانِهِ[2]، وَقَد تَجاوَزَ ذلكَ الشُّعراءَ إِلى العُلَماءِ والتُّجارِ والصُّنّاعِ، إِلى الدَّرَجَةِ التي دَفَعَتْ أَحمد أَمين إِلى تَقريرِ أَنَّ أَنظارَ النَّاسِ كانَت "موجهة إلى الخلفاء والأمراء؛ فالعلماء إن أرادوا الغنى لم يجدوه إلا في خدمتهم، والشعراء إن أرادوا العيش لم يجدوه إلا في مديحهم، والتجار إن وقع شيء ثمين في يدهم من جوهر أو جوار لا يجدون نفاقا لها إلا في قصورهم، والصناع إذا أحسنوا صناعة شيء فهم مقصدهم –أما سائر الشعب، ففقير بائس قلّ أن يجد الكفاف! فالعلماء إذا بعدوا عن القصور عزّ قوتهم، والشعراء لا يشعرون لأنفسهم ولا لعواطفهم وإنما يشعرون للمال يَنْشدونه من يد الخلفاء والأمراء؛ ولهذا كان أكثر شعرهم مديحاً، والفنانون والتجار كذلك"[3].

---

[1] يُنظر: صفحة (5–6) من هذه الدراسة.

[2] يُنظر: الفاخوري، حنا: **الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)**، ص670.

[3] أمين، أحمد: **ظهر الإسلام**، 115/1.

وَأَمَّا طَرِيقَةُ الوأواءِ في المَدح، فَإِنَّها تَنسَجِمُ معَ الطريقَةِ القَديمَـةِ، إذ اسـتَفتَحَ القَصـيدَةَ بالغَزَلِ والوقوفِ علَى الأَطلال، ثُمَّ ذَكَرَ صِفَات مَمدوحِهِ مِن كَرَمٍ وَسَخاءٍ وَشَجاعَةٍ وَبُطولَـةِ[1]، وَأَحياناً لَجَأَ إِلى الفَخرِ بِنَفسِهِ وَبِشِعرِهِ؛ كَي يُضاعِفَ مِنْ قيمَةِ شِعرِهِ وَيُبرِزَ مَقدِرَتَهُ الفَنِّيَّـةَ أَمـامَ مَمدوحِهِ، وَيَحظى بِإِعجابِهِ، ممَّا يُؤَدِّي إِلى مُضاعَفَةِ العَطاءِ الذي يَحصُلُ عَلَيه.

وَكَانَت مَدائِحُهُ طويلةً إلى مُتَوَسِّطَةِ الحَجمِ، وَمعانيه جَزلَةً، وَأَلفاظُهُ بَعيدَةً عَن الابتـذالِ والشَّعبِيَّة، وَبِهذا يَكونُ قَد سَلَكَ طَرِيقَةَ الشُّعَراءِ في المَدْحِ والتَزَمَ بِها، وذلكَ طِبقاً لِما أَشارَ إِلَيـهِ ابنُ رشيقٍ القيروَاني في قَولِهِ: "وسبيل الشاعر –إذا مدح ملكا– أن يسـلك طريقـة الإيضـاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جَزْلة، وألفاظه نَقِية، غير مبتذلة سوقية، ويجتنب – مع ذلك– التقصير والتجاوز والتطويل؛ فإن للملك سآمة وضجراً، وربما عاب من أجلها مـا لا يعاب، وحَرَمَ من لا يريد حرمانه"[2].

وَلَقَد جَسَّدَ الوأواءُ خِلالَ مَدحِهِ لِلعَقيقِيِّ وَالحَمدَانيِّ المِثالِيَّةَ الخُلُقِيَّةَ تَجسيداً قَوِيَّاً بَيِّناً، حَيْثُ إِنَّهُ تَمَثَّلَ، كَغَيرِهِ مِنَ الشُّعراءِ، مَعانِيَ المَدحِ المُتَوارَثَةَ، فَوَسَمَهُمَا بِها وَجَعَلَها سماتٍ أَصيلةً فيهِمَا، وَفِيمَا يَأتِي مِن صَفحاتٍ نَبسُطُ القَولَ وَنُفَصِّلُهُ فِي تِلكَ المَعَانِي وَالصِّفَاتِ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحوِ الآتِي:

أَوَّلاً: الكَرَم

لَقَد وَسَمَ الوأواءُ مَمدُوحَيهِ بِسِمَةِ الكَرَمِ والجُودِ والسَّخاءِ والعَطاء، وَرَكَّزَ على هذا المَعنى تَركيزاً كَبيراً، وَقَدَّمَهُ مِنْ خِلالِ العَديدِ مِنَ الصُّوَرِ والأَساليب؛ بُغيَةَ تَحقِيقِ مَآرِبِهِ، فالمَمدُوحُ، مِن وجهَةِ نَظَرِ الشَّاعر، يَتَميَّزُ عَنْ غَيرِهِ مِنَ النَّاسِ بِهذِهِ الصِّفَةِ التي تَتَجَلَّى فيهِ بِأَوضَحِ صُـوَرِها، فَهُوَ مَقصِدُ المُحتاجينَ وَالفُقَراءِ وَطَالِبِي المالِ وَالنَّوال، يُقَدِّمُ لَهُم عَطَايَاهُ وَهِباتِـهِ دُونَ حِسَـاب، وَالكَرَمُ صِفَةٌ أَصيلَةٌ في نَفْسِ المَمدوحِ، لا تَكَلُّفَ فيها وَلا تَصَنُّع، فَقَد وُلِدَ كريماً، وَعَاشَ كَرِيمَـاً،

---

[1] يُنظر: عبد الجابر، سعود محمود: **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني**، ص170.

[2] القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسِن الشعر وآدابه ونقده**، 128/2.

وَسَيَظَلُّ كَرِيماً، وَهُو حينَمَا يُقدِّمُ أَموالَهُ لِلمُحتاجينَ يَهتَزُّ وَيَطرَبُ وَيَفرَحُ فَرَحاً شَديداً، وهـذا مـا عَبَّرَ عَنْهُ الشَّاعِرُ في قولِهِ في العَقِيقِيِّ:[1]

[الكامل]

حَـرَمٌ لِغَاشِـيَةِ النَّـدى لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ تُغْشَـى يَـدَاهُ بِالسُّـؤَالِ غُشِـينا
كَـرَمٌ تَمكَّـنَ فيـهِ حَتَّـى لَـمْ تَـدَعْ أَوْصَـافُهُ لِتَكَـرُّمٍ تَمْكِينَـا
قَـدْ أَوْرَقَـتْ مِنْـهُ الظُّنُـونُ وأَثْمَـرَتْ نَـيْلاً يَظَـلُّ الشَّـكُّ فيـهِ يَقِينَـا
طَلَبَـتْ مَوَاهِبُـهُ مُنَـى طُلَّابِهَـا فَـوَقَفْنَ مِمَّـا قَـدْ وَقَفْـنَ وَجِينَـا
يَهْتَـزُّ لِلْجَـدْوى اهْتِـزَازَ مُهَنَّـدٍ أَبْلَـتْ مَضَـارِبُهُ الْغَـدَاةَ جُفُونَـا

وَجَعَلَ الشَّاعِرُ مَمدُوحَهُ كَعبَةً، وَمَكاناً مُقدَّساً يَزورُهُ كُلُّ مَنْ في نَفسِهِ آمالٌ وَمَطالِبُ يَسعى إِلى تَحقيقِهَا وَإِنجازِهَا، وَجَعَلَ عَطاياهُ عامَّةً شامِلَةً وَمُتَنَوِّعَةً تَسُدُّ حاجَةَ الفُقَراء، يَقولُ مُتَحَدِّثاً عَن وُصولِهِ إِلى سَيفِ الدَّولة:[2]

[الطويل]

إِلَـى كعبَـةِ الآمَـالِ والْمَطْلَـبِ الـذي بِـهِ حُلِّيَـتْ أَجيَـادُ عُطْـلِ المواكِـبِ[3]

وَمَنْ يُحاوِلُ المُقارَنَةَ بَينَ عَطاءِ سَيفِ الدَّولَةِ وَعَطاءِ السُّحُبِ والغَمام وَالمُساواة بَينَهُمَـا، فَإِنَّهُ غَيرُ مُنصِفٍ في الحُكم؛ لأَنَّهُ شَتَّانَ، مِن وجهَةِ نَظَرِ الشَّاعِرِ، بَينَ عَطاءِ مَمدوحِـهِ وَعَطـاءِ السُّحُبِ وَالغَمَام، فَالأَوَّلُ يُعطي وَهُوَ مُبتسِمٌ ضَاحِكٌ، أَمَّا الآخَرُ فَإِنَّهُ يُعطِي وَهُوَ دَامِعُ العَينِ باكٍ، لِذلِكَ فَالشَّاعِرُ يُعطِي الأَفضَلِيَّةَ لِسَيفِ الدَّولَةِ عَلى الغَمامِ في العَطاء، يقول:[4]

[المنسرح]

مَـنْ قَـاسَ جَـدْوَاكَ بِالْغَمَـامِ فَمَـا أَنْصَـفَ فِـي الْحُكْـمِ بَـيْنَ شَـكْلَيْنِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص217.

[2] المصدر السابق، ص20.

[3] يُقال عَطِلَتِ المرأة تَعْطَلُ عَطَلاً وعُطولاً وتَعَطَّلَتْ إِذا لم يكن عليها حُلِيٌ ولم تلبس الزينة، وخلا جيدها مـن القلائـد، ويُقال عَطِلَ الرجل إذا خلا من المال والأدب. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عطل).

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص222-223.

أَنْـــتَ إذا جُـــدْتَ ضَـــاحِكٌ أَبَـــداً وَهْـــوَ إذا جَـــادَ دَامِـــعُ العَـــيْنِ

واستَعمَلَ الاستِعَارَةَ التَّصريحِيَّةَ لِتَأكيدِ جُودِ مَمدوحِهِ، حَيْثُ جَعَلَهُ غُصناً لَيِّنـــاً رَطبـــاً، مُمتَلِئاً بالأَزهارِ والأَثمارِ التي تُشَكِّلُ مَوضِعَ إعجابِ النَّاسِ الذينَ يَلتَفُّونَ حَولَها، وَذلِكَ كِنايَةً عَن إعجابِ النَّاسِ بِهِ وَالتِفافِهِم حَولَهُ؛ طَمَعاً في عَطائِهِ، يقول في العقيقِيِّ:[1]

[الخفيف]

غُصُـــنٌ لَـــيِّنُ المَهـــزَّةِ لَـــدْنٌ زاهِـــرُ الزَّهْـــرِ مُثمِـــرُ الإِثْمـــارِ[2]
عَصَـــفَتْ حَوْلَـــهُ رِيـــاحُ الأَمـــاني وَسَـــقَتْهُ الغُـــلا بِـــلا أَمْطـــارِ

وَيَلجأُ الشَّاعِرُ إلى المُبالَغَةِ في إبرازِ كَرَمِ المَمدُوحِ، إِذْ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ يكرَهُ البُخلَ وَيُحارِبُهُ، إلى دَرَجَةِ أَنَّهُ لَو كان البخلُ شَجَرَةً حَقيقِيَّةً، وَكَانَت أَغصانُها جرداءَ قاحِلَةً، وَنَظَـــرَ إِلـــى تلـــكَ الأَغصانِ، لَكانَتْ تِلكَ النَّظرَةُ كفيلَةً بِإيقاعِ التَّأثيرِ على الأَغصان (أَغصان البُخـــلِ)، وَلأزهَـــرَتْ وَلأثمَرَت مِن تَوِّها، وَفي هذا تَتْويجٌ لَهُ عَلى مَمْلَكَةِ الجودِ والكَرَمِ، يقول في العَقِيقِيّ:[3]

[البسيط]

لَـــوْ أَنَّ لِلْبُخْـــلِ أَغْصـــاناً وَقابَلَهـــا بِوَجْهِهِ أَنْبَتَـــتْ مِـــنْ وَقْتِهَـــا كَرَمَـــا

وَلِبَيَانِ كَرَمِهِ جَعَلَ الوأواءُ لراحَتَيهِ قُوَّةً خَفِيَّةً عَظيمَةً تَستَطيعُ إنباتَ الخَيرِ وَالرِّزقِ والنِّعَمِ المُختَلِفَةِ، وَتَقديمِها لِلمُحتاجين، يقول:[4]

[البسيط]

ثَنَيْتُـــهُ وَعِنَـــانُ الشَّـــوْقِ يَجْمَـــحُ بـــي إِلـــى الَّـــذي رَاحَتَـــاهُ تُنْبِـــتُ النِّعَمـــا

وَأَشارَ إلى أَنَّ العقيقِيَّ يُنفِقُ مِنْ أَموالِهِ عَلى الفُقَراءِ وَالمُستَجدِينَ الكثيرَ الكثيرَ، حَتَّى تَفنَى وَلا يَبقى مِنهَا شيء، يَقولُ:[5]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص96.

[2] اللَّدْنُ: اللَّيِّنُ من كل شيء من عودٍ أو حبلٍ أو خُلُق، وجمعها لِدانٌ ولُدْنٌ. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (لدن).

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص194.

[4] المصدر السابق، ص194.

[5] المصدر السابق، ص218.

[الكامل]

يـــا مُسْـــقِماً بِالْبَـــذْلِ صِـــحَّةَ مَالِـــهِ فِينـــا وَهادِمَـــهُ بِمَـــا يَبْنِينـــا

وَجَعَلَ الوأواءُ رَاحَةَ يَدِ مَمْدُوحِهِ خَزنَةً تُحفَظُ فيها الأَموالُ، وَبابُ هذِهِ الخَزنَـــةِ مَفتـــوحٌ دائِماً، فَهُوَ مِنْ غَيرِ حارِسٍ أَو بَوَّاب؛ لِأَنَّ الأَموالَ التي يَجمَعُهَا وَيَحفَظُها فِيها يَتَبَرَّع بِهَا لِلنَّـــاسِ، دُونَ حَسيبٍ أَو رَقيبٍ، وَدونَ حُدود، يقول:[1]

[الخفيف]

رائِـــحٌ فـــي العُلَـــى براحَـــةِ جُـــودٍ بـــــابُ أَموالِهـــــا بِـــــلا بَـــــوَّابِ

وَإِنَّ هذِهِ العَطايا والهِباتِ غَيْرِ المَحدودَةِ التي يُمطِرُ بِهَا العقيقِيُّ النَّاسَ، تَسُدُّ حاجـــاتِهِم، وَتُساعِدُهُم عَلَى الوُقوفِ في وَجْهِ مَصائِبِ الدَّهرِ وَمَصاعِبِهِ، وَمِمَّا يَزيدُ مِنْ قِيمَةِ هذِهِ العَطايا أَنَّها تَأتي في الوَقتِ الحَرِجِ الذي يَبْخَلُ فيهِ أَصحابُ الأَموالِ عَن تَقديمِ العَطاءِ لِلمُحتاجين، وَفِي هـــذا زِيادَةُ شَرَفٍ لِلعَقيقِيِّ وَسُمُوٌّ مَكَانَةٍ، يقول:[2]

[الخفيف]

يَـــا ((أَبَـــا قاســـمٍ)) أَزالَـــتْ عطايـــا كَ صِـــعَاباً مِـــن الْخُطُـــوبِ الْصِّـــعابِ

لا وَمَـــــن رَدَّ عاقِبَـــــاتِ الْرزايـــــا بِعطايـــــا منهـــــا عَلَـــــى الأعقـــــابِ

مـــا أُبـــالي إِذا حَســـبتُكَ مِـــنْ دَه ري بمـــا كـــانَ ســـاقطاً مِـــن حِســـابِي

بَخِـــلَ البـــاخلون عنَّـــا فَـــأَمْطَرْ تَ لنـــا نـــائلاً بغيـــر ســـحابِ

وَيُعجَبُ الوأواءُ بِسِماتِ المَمدُوحِ وَفَضَائِلِهِ وَكَرَمِهِ، فَيُقَرِّرُ أَنْ يَحُطَّ رِحَالَهُ في حِماه، ثُـــمَّ استَعمَلَ الاستِعَارَةَ المَكنِيَّةَ، فَشَبَّهَ العَزْمَ وَالصَّبْرَ وَالجِدَّ بِحَيَوانٍ لَهُ ذَيلٌ يُجَرُّ إِلى بِـــلادِ مَمدُوحِـــهِ، وَكَأَنَّ هذِهِ السِّمات لا يَنبَغِي أَنْ تُوجَدَ إِلا عِندَ مَنْ يَستَحِقُّها، عِندَ المَمدُوح؛ لأَنَّهُ كَريمٌ جَوادٌ يُعطي أَموالَهُ وَيُقَدِّمُها هِباتٍ لِلفُقَراءِ وَالمُحتاجينَ وَأَصحابِ المَواهِبِ الفَذَّة، ثُمَّ يَلجأُ إِلـــى المُبالَغَـــةِ فـــي إِظهارِ سَخاءِ مَمدُوحِهِ، فَيَجعَلُ الجُودَ نَفسَهُ يُقِرُّ وَيَعتَرِفُ بِذَلِكَ ، وَيُقسِمُ بِأَنَّ مَمدُوحَهُ هُوَ الجـــودُ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص14.

[2] المصدر السابق، ص15.

الحَقيقِيُّ بِمَعناه الأَسمى وَالأَشمَل والأَكمَل، الذي يقَدَّمُ لِكُلِّ مَنْ يَطلُبُ مالاً أَو يَستَجدِي نَوالاً ، يقول في سَيفِ الدَّولَة:[1]

[الطويل]

سَأَهبِطُ من بحرِ الليالي مذاهباً ... متى قصرتْ بي في هواهُ مذاهبي
وأَسحبُ ذَيلَ العَزم في أَرضِ همَّةٍ ... إلى واهبٍ أَموالَهُ للمَوَاهِبِ
إلى مَن يَظَلُّ الجُودُ يُقسمُ أَنَّه ... هو الجودُ موقوفاً عَلَى كُلِّ طالبِ

وَالشَّاعِرُ يَدعُو لِمَمْدُوحِهِ بِطُولِ السَّلامَةِ وَالأَمانِ وَالسَّعادَةِ وَامتِدَادِ العُمرِ، وَيُعَلِّلُ هذا الدُّعاءَ بِأَنَّهُ مَا دامَ سالِماً يُرزَقُ المالَ وَيَمتَلِكُهُ، فَإِنَّهُ سَيُعطِي الرَّعِيَّةَ وَلَن يَبْخَلَ عَلَيها، وَفِي هذا البيتِ إِشارَةٌ واضِحَةٌ إِلى استِجداءِ الشَّاعِرِ وَطَلَبِهِ لِلمالِ، يَقُولُ:[2]

[الكامل]

فَاسْلَمْ فَإِنَّكَ مَا سَلِمْتَ مِنَ الرَّدَى ... وَسُقِيتَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ سُقِينا

ثانياً: القُوّة وَالشَّجاعة

لَقَد أَشارَ الوأواءُ إِلى قُوَّةِ مَمدُوحَيْهِ العَقِيقِيِّ وَالحَمدَانِيّ، وَشَجاعَتِهِمَا، وَبَسالَتِهِمَا، وَبأسِهِمَا في مُحارَبَةِ الأَعداءِ وَمُقارَعَتِهِم، وَعَبَّرَ عَن ذلِكَ بالعَدِيدِ مِنَ المعاني الدَّالّة، فَالمَمدُوحُ دائِمُ الإِقدامِ وَالمُهاجَمَةِ وَالكَرِّ في حُروبِهِ، وَلا يَعرِفُ الفرارَ والهَرَبَ والتَّراجُعَ مِن وَجْهِ الأَعداء، كَمَا أَنَّ الغُبارَ الذي يَتَطايَرُ وَيَتَناثَرُ مِنْ أَرضِ المَعرَكَةِ في الجَوِّ خِلالَ احتِدامِ اللِّقاءِ يَتَراكَمُ؛ لِكَثافَتِه، فَوقَ الدِّرعِ الذي يَحتَمِي بِهِ مِن ضَرَباتِ الأَعداء، وَذَلِكَ كِنايَةٌ عَن شِدَّةِ المَعرَكَةِ وَقُوَّتِها، إِضافَةً إِلى ذلِكَ فَهُوَ نَشيطٌ دَائِمُ الحَرَكَةِ والتَّنقُّل، وَلا يَثبُتُ في مَكانٍ واحِدٍ خِلالَ المَعرَكَةِ، وَكَأَنَّهُ مَسؤولٌ عَن إِدارَةِ الجَيشِ وَتَسيير شُؤونِهِ المُختَلِفَةِ، يقول:[3]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص27.

[2] المصدر السابق، ص219.

[3] المصدر السابق، ص96-97.

[الخفيف]

خَــاطراً لا تَــراهُ يَعْــرِفُ فــي الْــكَ رِّ فِـــــراراً بالأَســـــمَرِ الخَطَّـــــارِ
تَارِكــاً حُلَّــةَ الْحَديــدِ مــن النَّــقْ عِ عليــهِ فــي حُلَّــةٍ مِــنْ غُبــارِ
لا بطيءُ الوُقــوفِ فــي فَلَــكِ الْحَــرْ بِ ولكِنَّـــــهُ ســـــريعُ الْمَـــــدارِ

وَيُكَرِّرُ المَعنى الوارِدَ في البَيتِ الأَوَّلِ في قَولِهِ:[1]

[البسيط]

لا يَخْطُــرُ الفَــرُّ فــي كَــرٍّ بِخــاطِرِهِ وَلا يُــؤَخِّرُ عَــنْ إِقْدَامِــهِ قَــدَمَا

وَذِكرُ العقيقِيِّ يَبعَثُ الخَوفَ والرُّعبَ في نُفُوسِ الأَعداءِ، وَلِذلِكَ تَأتِيهِ المَنايا بِأَعدادٍ كَبيرَةٍ مُسالِمَةً تَستجديهِ بِأَنْ يَبْتَعِدَ عَنهَا، وَأَلا يُلحِقَ الضَّرَرَ بِهَا، وَمِمَّا زادَ مِنْ جَمَالِ هذِهِ الصُّورَةِ وَقُوَّتِهَا اختيارُ الشَّاعِرِ لِمُفرَدَتَين، هُمَا: أَسيافُهُ، وَفِرَقاً، أَمَّا أُولاهُمَا، فَقَدِ اســتَعمَلَها لِلتَّــدليلِ عَلــى قُــوَّةِ الممدوحِ وَبَأسِهِ وَبَطشِهِ، وَأَمَّا ثانيتُهُمَا، فَلِلدِّلالَةِ عَلى كَثرَةِ أَعدادِ الخائِفينَ وَالمُرتَجِفينَ مِنهُ، وَعَلى أَنَّ الخَوفَ مِنهُ عامٌّ شامِلٌ، يقول:[2]

[البسيط]

تَــأْتِي الْمَنايــا إِلــى أَسْــيافِهِ فِرَقــاً كَأَنَّمــا تَجْتَــدِي مِــنْ خَوْفِــهِ سَــلَمَا

وَالمَمدُوحُ قويٌّ إِلى الدَّرَجَةِ التي اعتَرَفَت فيها المَنَايَا ذاتُها بِأَنَّ الأَفضَلِيَّةَ العَسكَرِيَّةَ لَــه، ذَلِكَ أَنَّ سيوفَهُ تَقتُلُ الأَعداءَ الذينَ يحارِبونَهُ وَهُم واقِفونَ على أَرجلِهِم، وَأَنَّ رِماحَهُ تُنزِلُ الفُرسَانَ الذينَ يُقاتِلونَهُ عَن ظُهورِ جِيادِهِمْ وَتُلحِقُ فيهِم الذُّلَّ وَالهَوَانَ، يقول في سيف الدَّولة:[3]

[الطويل]

وقد كتبَــتْ أَيــدي الْمَنايــا وأَعربــتْ بشكل العــوالي فــوق خَــطِّ الْقواضــبِ
لــئن أَقعَــدَتْ أَســيافُهُ كُــلَّ قــائِمٍ فقــد أَرْجَلَــتْ أَرماحُــهُ كُــلَّ راكِــبِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص195.
[2] المصدر السابق، ص195.
[3] المصدر السابق، ص21.

وَجَعَل الشَّاعِرُ الأميرَ الحمدَانِيَّ سَيفاً قَوِيًّا قاطِعَاً، ضَرِبَتُهُ لا تُخطِيءُ هَدَفَهَا، وذلِكَ فـــي قولِهِ:[1]

[الطويل]

هــو الســيفُ إلا أَنَّــه لــيس نابيــاً إذا عاقَــه المقــدورُ عــن كُــلِّ ضــارِبِ

وَخِلالَ المَعارِكِ فَإِنَّهُ ما إِنْ يَستَلّ سيفُ الدَّولَةِ وَجُنودُهُ السُّيوفَ مِن أَغمادِهَا، حَتّى تَتَساقَطَ رُؤوسُ الأَعداءِ عَلى الأَرضِ كَالمَطَرِ، وَفِي هذا دِلالَةٌ كَبيرَةٌ عَلَى قُــوَّتِهِم وَقَســوَتِهِم وَشِــدَّتِهِم وَبَراعَتِهِم في القِتَالِ، وَلِإِظهارِ هذهِ السِّمات يَطلُبُ الشَّاعِرُ إِلى مَمدُوحِهِ أَنْ يُرِيْحَ تلكَ السُّــيوفَ؛ لأَنَّ مَضارِبَهَا أَصبَحَتْ ضامِرَةً هَزيلَةً ضَعيفَةً؛ نَتيجَةً لِكَثرَةِ استِعمالِهَا، وَإِذا كانَت السُّــيوفُ قَــد ضَمرَت وَهزلَت، فَإِنَّ سَيفَ الدَّولَةِ وَجُنودَهُ مُحافِظُونَ عَلَى قَواهم، وَفِي هذا مزيدُ بَيــانٍ لِقُــوَّتِهِم وَشِدَّةِ جَلَدِهِم وَصَبرِهِم، وَتَحَمُّلِهِم أَهوالَ المَعارِكِ، يقول:[2]

[الطويل]

إِذا أَبْرَقَــتْ ضــرباً ســيوفُكَ أَمطــرتْ رؤوسَ الأَعــادي فــوق أَرضِ المصــائبِ
بما انهَلَّ مــن كَفَّيْــكَ فــي ذلــك النْــدى ومــا حَمَلَتْــهُ مــن قنــاً وقواضــبِ
أَرِحْهــا قلــيلاً كــي تَقَــرَّ فإِنَّهــا مــن الضَّــرب أَمســتْ نــاحِلاتِ المضــارِبِ

والشَّاعِرُ يَطلُبُ مِنَ مَمدُوحِهِ أَنْ يَترُكَ سُيوفَهُ مُرتاحَةً في أَغمادِهَا، وَأَنْ يَذَرَ القِتالَ والعِرَاكَ، ذلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَبقَ لَهُ أَعداءٌ وَخُصوم؛ لأَنَّ هؤلاءِ الأَعداء احتَمَوا بِهِ وَطَلَبوا إِلَيهِ الأَمنَ وَالأَمانَ والسَّلامَ؛ لِشدَّةِ المُعاناةِ التي عَاشُوهَا بِسَبَبِهِ، وَلِكَثرَةِ الأَهوالِ التي أَنزَلَها بِهِم:[3]

[البسيط]

ذَرِ الْصَّــوارِمَ فــي أَغْمادِهَــا فَلَقَــدْ أَمْسَتْ نُفُوسُ الْمَنايــا فــي حِمَــاهُ حِمَــى

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص27.

[2] المصدر السابق، ص22–23.

[3] المصدر السابق، ص196.

وَالمَمدُوحُ يَنظُرُ إِلى الدُّرُوعِ الحديدِيَّةِ على أَنَّها كالثِّيابِ الأَساسِيَّةِ التي يَرتَدِيهَا الإِنسانُ تَحْتَ الثَّوبِ الخارِجِيِّ في كُلِّ زَمَانٍ وَمَكان (غلائل)[1]، وَهَذا يُدَلِّلُ عَلى أَنَّهُ في حالَةِ استِعدادٍ دَائِمَةٍ لِلحَربِ وَالنِّزال، يقول في سيف الدَّولة:[2]

[الطويل]

إِلى مَنْ يرى أَنَّ الدُّروعَ غَلائِلٌ وَأَنَّ ركوبَ الموت خيرُ المراكِبِ

وَفي قانونِ هذا الأَميرِ لا يجوزُ أَنْ يَستَعمِلَ الرِّماحَ في المَعرَكَةِ وَأَنْ يُعيدَهَا إِلى جَعبَتِهِ إِلَّا وَهِيَ مُبتَلَّةٌ بالدِّماءِ، وَمَصبوغَةٌ بِلَونِهَا الأَحمَرِ القَانِي، يقول:[3]

[الطويل]

حرامٌ عليه أَنْ يَرُدَّ رماحَهُ من الطعن إلا وهي حمرُ الثَّعالِبِ[4]

وَجَعَلَ الشَّاعِرُ تُرابَ أَرضِ المَعرَكَةِ الأَحمَرَ اللَّونِ بِفِعلِ تَشَرُّبِهِ دِمَاءَ القَتلى وَالجَرحى التي سَالَت، جَعَلَهُ يَصبُغُ أَيادِيَ الخُيولِ وَحَوافِرَهَا، وَذلِكَ كِنايَةً عَنْ شِدَّةِ تِلكَ المَعارِكِ وَقَسوَتِها، وَعَن كَثرَةِ القَتلى وَالجَرحَى الذينَ سَقَطُوا فِيها، يقول:[5]

[الطويل]

وتصبُغُ أَيدي النَّقعِ أَيدي خيولِهِ بِمُحْمَرٍّ تُرْبٍ من نجيعِ التَّرائِبِ[6]

وَأَشارَ إِلى كَثرَةِ الحُروبِ وَالمَعَارِكِ التي خاضَهَا مَمدُوحُهُ في حياتِهِ، وَكَثرَةِ القَتلى الذينَ تَتَساقَطُ رُؤوسُهُم عَلى أَرضِ المَعرَكَةِ كَالمَطَرِ الغَزيرِ، وَذلِكَ في قولِهِ:[7]

---

[1] مصطفى إبراهيم، وآخرون:**المعجم الوسيط**، مادة (غَلَّ).

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص20.

[3] المصدر السابق، ص22.

[4] الثعالب: مفردها ثعلب، وهو طرف الرُّمح الدَّاخِلِ في جُبَّة السِّنان. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ثعلب).

[5] الوأواء: **ديوانه**، ص27.

[6] النجيع: الدم. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (نجع). التَّرائِبُ: أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته، وقال أهل اللغة: الترائب موضع القلادة من الصدر. المصدر السابق، مادة (ترب).

[7] الوأواء: **ديوانه**، ص28.

[الطويل]

وكم خـــاض نقعـــاً يُمْطِـــرُ الهـــامَ وقْعُـــهُ إلى الموتِ فـــي صَـــفَّيْ قَنـــاً وقواضِـــبِ

والممدوحُ دائمُ الشَّوقِ والحَنينِ لِلقِتَالِ وَالطِّعان، لكِنَّهُ لا يُقاتِلُ الضُّعَفَاءَ وَالأَذِلاءَ، بَلْ يَلتَزِمُ بِقِتالِ الأَقوياءِ الأَشِدَّاءِ المُتكبرين، وَأَصحابِ الجاهِ والسُّلطان، وَقَدْ وُفِّقَ الشَّاعِرُ في هذا البيتِ في إِبرازِ قُوَّةِ مَمدوحِهِ وَشَجاعَتِه، وَيَتَّضِحُ ذلِكَ في قولِه:[1]

[البسيط]

صَبٌّ إِلى شُـــرْبِ مَـــاءِ الطَّعْـــنِ فيـــهِ فَمَـــا نَـــراهُ إلا بِصَـــيْدِ الْصِّـــيْدِ مُلْتَزِمَـــا[2]

ثالثاً: العِزُّ والمَجدُ وَشَرَفُ النَّسَب:

يُرَكِّزُ الوأواءُ عَلى إِبرازِ سِمَةِ العِزِّ وَالمَجدِ، وعُلُوِّ النَّسَبِ، والشَّرَفِ العَريقِ السَّامي التي يَتَّسِمُ بها كُلٌّ مِن مَمدُوحَيه، وَذَلِكَ في العَديدِ مِنَ الأبياتِ، وَمِنها قولُهُ في الأميرِ العَقِيقِيّ:[3]

[البسيط]

سَمَا بِهِ الْشَّـــرَفُ السَّـــامِي فَصَـــارَ بِـــهِ مُخَيِّمَاً فَـــوْقَ أَطْبَـــاقِ الْعُلَـــى خِيَمَـــا

وَقَولُهُ:[4]

[البسيط]

هذا ابْنُ خَيْرِ الْـــوَرى مِـــنْ بَعْـــدِ خَيْـــرِهِمُ هذا الَّـــذي كَتَبَـــتْ ((لا)) كَفُّـــهُ ((نَعَمـــا))

وَقَولُهُ:[5]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص195.

[2] الصِّيد: جمع الأَصْيَد، وهو المُتَكَبِّر المزهُوُّ بنفسه، وكل ذي حَول وطَول مـــن ذوي السُّـــلطان. مصـــطفى، إبـــراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة (صيد).

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص194.

[4] المصدر السابق، ص195.

[5] المصدر السابق، ص196.

[البسيط]

يا مُعْلِمَــاً بِطِــرازِ الْحُسْــنِ نِسْــبَتَهُ وَمَنْ غَدا بَــيْنَ أَبْنــاءِ الْعُلَــى عَلَمَــا

وَقَولُهُ في سيفِ الدَّولَةِ الحَمدَانِيّ:[1]

[المنسرح]

عَلَــوْتَ فــي الْمَجْــدِ كُــلَّ مَكْرُمَــةٍ كُنْــتَ بِهــا ثالِــثَ السِّــماكَيْنِ[2]

وَلَم يَنْسَ الوأواءُ أَنْ يُشيرَ إِلى انتِسابِ العَقِيقِيِّ إِلى البَيتِ العَلَوِيِّ الذي اكتَسَبَ مِنهُ عُلُــوَّ الهِمَّةِ، وَالمَجدَ وَالفَخَارَ وَشَرَفَ النَّسَبِ، والمَنزِلَةَ الرَّفيعَةَ المُمَيَّزَةَ، وَذلِكَ في قولِهِ:[3]

[الخفيف]

عَلَــوِيٌّ مِــنْ أَهْــلِ بَيْــتٍ تَعَــالَوْا، دُونَ أَقْــدارِهِمْ ، عَلَــى الأَقْــدارِ
ضَرَبَتْ كَفُّــهُ لَــهُ فــي رُبــى المَــجْ دِ رُوَاقــاً مُطَنَّبــاً بِالفَخَــارِ

وَقَد أَشارَ إِلى المَنزِلَةِ العَظيمَةِ المُتَمَيِّزَةِ التي يَحتَلُّهَا هَذَا الأميرُ بينَ النَّاس، والتي اكتَسَبَها مِن حُروبِهِ مَعَ أَعدائِهِ وانتِصاراتِهِ عَلَيهِم، فَجَعَلَها تَفوقُ مَنزِلَةَ الثُّرَيَّا بينَ النُّجومِ في السَّماء، يَقولُ مُخاطِباً العَقيقِيَّ:[4]

[الكامل]

وَعَلَوْتَ مِــنْ شَــرَفِ الْنِّــزَالِ بِمَنْــزِلٍ جَعَــلَ الثُّرَيَّــا فِــي ثَــرَاهُ كَمِينــا[5]

وَمِمَّا يُدَلِّلُ عَلى مَقدِرَةِ الشَّاعِرِ الفَنِّيَّةِ أَنَّهُ جَمَعَ في بَيتٍ واحِدٍ أَربَعَ صُــوَرٍ تَشــتَمِلُ كُــلُّ واحِدةٍ مِنها عَلى صِفَةٍ مِن صِفَاتِ العَقِيقِيِّ، فَهُوَ جَميلٌ حَسَنُ الوَجه، قَوِيٌّ شُجاعٌ مِقــدامٌ، كَــرِيمٌ جَوادٌ، لَيِّنٌ في التَّعامُلِ مَعَ النَّاسِ مُتَساهِلٌ مُتَسامِحٌ مَعَهُم، وَيَبدو ذلِكَ جَلِيَّاً في قولِهِ:[6]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص222.

[2] السِّماكان: نجمان نيِّران في السماء. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سمك).

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص96.

[4] المصدر السابق، ص218.

[5] الثُّرَيَّا: مجموعة من النجوم في صورة الثور، وكلمة النجم علم عليها. مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجــم الوســيط**، مادة (ثري).

[6] الوأواء: **ديوانه**، ص218.

[الكامل]

كالشَّـــمْسِ حُسْـــنَاً وَالْحُسَـــامِ خُشُـــونَةً وَالْمُـــزْنِ جُـــوداً وَالأَرَاكَـــةِ لِينـــا

هذِهِ هيَ المِثاليَّةُ الخُلُقيةُ النَّقيةُ الصَّافيةُ الخالصةُ مِن أَيَّةِ سيئةٍ أَو مَذَمَّة، التي يَتَّسِـمُ بِهـا الشَّريفُ العَقيقِيُّ، يقولُ الشَّاعِرُ مُعَبِّراً عَن هذا المَعنى:[1]

[الخفيف]

حَسَـــنَاتٌ لَـــم تَتَّصِـــلْ بِمَسَـــاوٍ تَتَقَضَّـــى تَقَضِّـــيَ الأَوْطَـــارِ
مَـــا حَـــوَتْ هَـــذِهِ الْمَنَاقِـــبَ إِلا باقتـــدارٍ منهـــا عَلَـــى الاقتِـــدارِ

وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يُشيرَ إِلى نَسَبِ مَمدوحِهِ الحَمدَانِيِّ بِشيءٍ مِنَ الافتخارِ، فَهُـوَ تَغلِبِـيُّ الأَبِ وَالأُمّ، يقُول:[2]

[المنسرح]

وَيَـــا هِـــلالاً بَـــدَتْ مَطَالِعُـــهُ فِـــي أُفْـــقِ بَـــدْرَيْنِ تَغْلِبِيَّـــيْنِ !

وَسَيفُ الدَّولَةِ يَتَّسِمُ بالعِزِّ والمَجدِ وَرَفضِ الذُّلِّ والهَوانِ، وَبِأَنَّهُ مِعوانٌ عَلى الخَير، وَأَنَّـهُ يُمَثِّلُ قُوَّةَ اللهِ التي لا تُهزَم في الأَرض، لِذَلِكَ فَالشَّاعِرُ يَدعُو كُلَّ مَنْ يَحتاجُ العَوْنَ وَالمُساعَدَةَ في كُلِّ شَأْنٍ مِن شُؤونِ الحَياةِ أَنْ يَلجَأَ إِلَيهِ وَيَطرُقَ بابَهُ، يقول:[3]

[الطويل]

إِذا شـــئتَ عونَـــاً لا يَـــذِلُّ لِحـــادِثٍ فنادِ عَلَـــى اســـمِ اللهِ: ((يـــا ســـيفَ غالـــبِ!))

وَتَحتَ قِيَادَةِ هذا الأَميرِ الحَمدانِيِّ تَحَوَّلَتْ حَالَةُ الأُمَّةِ مِنَ الذُّلِّ وَالهَوَانِ، إِلى العِزِّ وَالمَجدِ وَالشُّموخ، وَقَدْ عَبَّرَ الوأواءُ عَن هذا المَعنى مِنْ خِلالِ استِعمالِ الكِنَايَةِ في قولِهِ:[4]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص97.
[2] المصدر السابق، ص222.
[3] المصدر السابق، ص28.
[4] المصدر السابق، ص21.

[الطويل]

فتــىً أَلــبسَ الأَيــامَ ثــوبَ شــبيبةٍ وكانَتْ قَــديماً فــي جَلابيــبِ شــائِبِ

رابِعاً: صفات أُخرى:

هُنَاكَ العَديدُ مِنَ الصِّفَاتِ الأُخرى التي خَصَّ الشَّاعِرُ بِهَا مَمدُوحَهُ الأميرَ الحَمــدَانِيَّ وَأَســبَغَهَا عَلَيه، فَقَد وَسَمَهُ بالقُدرَةِ عَلى استِشرافِ المُستَقبَلِ، فَهُوَ رَجُلٌ حَكيمٌ خَبيرٌ عَليمٌ بالأُمور، وَرَجُــلٌ ذَكِيٌّ لَمَّاحٌ يَمتَلِكُ نَظَراً ثاقِبَاً، وَيَفهَمُ حاجَةَ الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ يَستَمِعَ إِلَيه، وَوَسَمَهُ بِأَنَّهُ رَاجِحُ العَقــلِ مَسؤولٌ عَمَّا يَقُومُ بِهِ مِنْ أَعمال، كَمَا أَنَّهُ يَعرِفُ عَوَاقِبَهَا جَيِّدَاً قَبْلَ فِعلِهَا، يقول:[1]

[الطويل]

يكــادُ يُريــكَ الشــيءَ قبــل عيانــه ويقضي لــك الحاجــاتِ قبــلَ المَطالــبِ
إذا ما انبَــرَى فــي هفــوةِ الْفِكــرِ رأْيُــهُ رأى بِعَيــانِ الــرأْيِ مــا فــي العواقــبِ
تُعَــوِّذُهُ أَعــداؤُهُ مــن ذَكَائِــه إذا مــا اكتفــى بــالرأْيِ دون التجــارِبِ

وَأَشارَ إِلى أَنَّهُ يَمتَلِكُ صِفَةً جَلِيلَةً عَظيمَةً لا تُوجَدُ إِلا عِنْدَ القَادَةِ العِظــامِ وَذَوِي الهِمَــمِ العَالِيَةِ وَالنُّفُوسِ الأَبِيَّةِ، أَلا وَهِيَ العَفوُ عِنْدَ المَقدِرَة، وَذَلِكَ في قولِه:[2]

[الطويل]

ركــوبٌ لأَعنــاقِ الأُمــور إِذا سَــطا عفا باقتدارٍ حــين يســطو بِواجِــبِ

تَبْرُزُ مِن خِلالِ مَا تَقَدَّمَ المِثَالِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ في مَدْحِ الوأواءِ الدِّمَشقِيِّ لِلشَّريفِ العَقيقِيِّ وَلِسَيفِ الدَّولَةِ الحَمدَانِيّ في أَبهى تَجَلِّياتِها وَحُلَلِهَا، غَيْرَ أَنَّ المَعَانِيَ التي امتَدَحَهُمَا بِهَا (الكَــرَم، والقُــوَّة وَالشَّجَاعَة، وَالعِزُّ وَالمَجد وَشَرَفُ النَّسَب) كُلُّهَا مَعَانٍ تَقليدية تَفتَقِدُ إِلى الحَداثَةِ وَالجدّة، فَهِــيَ لا تَختَلِفُ عَنْ مَعانِي المَدَّاحينَ السَّابِقِينَ إِلا في الأُسلوبِ المُتَّبَعِ في صِيَاغَتِهَا، وَيُلاحَظُ، كَــذلِكَ، أَنَّ سِمَةَ المُبَالَغَةِ قَد شَاعَتْ فِي مَدائِحِه، حَيْثُ استَعمَلَهَا لِيُشعِرَ المَمدُوحَ بالتفوُّقِ عَلى سَائِرِ الخُلَفَــاءِ وَالأُمَرَاءِ، فَيُضَاعِفَ لَهُ مِن عَطائِهِ وَنَوالِه.

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص22.

[2] المصدر السابق، ص22.

المَبحَثُ الرَّابِعُ

وَصفُ الخَمرِ

لَقَد عَرَفَتِ العَرَبُ الخَمرَ وَأَكَبَّت عَلَى شُربِهَا وَمُعاقَرَتِها مُنْذُ الجاهِلِيَّة وَما قَبلَها، وَمُنْذُ ذلِكَ الحين تَعَلَّقَ بِهَا الشُّعَرَاءُ وَعَكَفُوا عَلَى شُربِهَا، وَأَقدَمُوا عَلَى وَصفِهَا وَوَصْفِ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ فيها بِشَيءٍ مِنَ التَّفصيل، وَفِي صَدْرِ الإِسلامِ ابتَعَدَ النَّاسُ عَنها، وَنَفَرُوا مِنها، وَنَظَرُوا إِلَيها نَظرَةً سَلبِيَّةً بِفِعلِ تَأثيرِ العامِلِ الدِّينِيِّ، غَيْرَ أَنَّ تَعَلُّقَهُم بِهَا عادَ مِن جديدٍ في عَصْرِ بَنِي أُمَيَّة، حَيثُ استَحضَرَهَا الشُّعَرَاءُ في أَشعارِهِم، وَوَصَفُوهَا وَصفاً دَقيقاً شامِلاً، وَذلِكَ نَتيجَةٌ طَبيعِيَّةٌ لِلفُتوحِ الإِسلامِيَّةِ التي اشتَعَلَتْ جذوَتُهَا في تلكَ الفَترَةِ مِنَ الزَّمَن، وَمَا تَرَتَّبَ عَلَيها مِنِ اطِّلاعٍ عَلَى حَضَاراتِ الأُمَمِ الأُخرى وَصُوَرِ تَرَفِها وَتَمَدُّنِها، وَفي ظِلِّ هذِهِ الظُّروفِ وَالأَوضاعِ بَدَأَ تأثيرُ الدِّينِ الإِسلامِيِّ يَضعُفُ في نُفوسِ أَبنائِهِ شَيئاً فَشَيئاً، لِذَا أَخَذُوا يَنجَرُّونَ إِلى الاستِمتَاعِ بالحَيَاةِ وَمُغْرِياتِها وَلَذائِذِها، وَمن بَينِها الخمر[1].

وَاستَمَرَّ الوَضعُ عَلَى هذِهِ الحالِ إِلى العَصْرِ العَبَّاسِيِّ، حَيثُ تَزَايَدَ انتِشَارُ الخَمرِ بَينَ النَّاسِ، وَكَثُرَتِ الحاناتُ وَالدَّياراتُ[2] وَمَجالِسُ الشَّرابِ وَالمُجونِ وَالتَّهتُّكِ وَالخَلاعَة[3]، حَيثُ عُدَّتِ الخَمرُ في ذلِكَ الزَّمانِ مِنْ لَذائِذِ الحَياةِ وَأَطايِبِهَا، فَقَدْ قَالَ أَحَدُهُم: "لم يبق من لذات الدنيا إلا أربعة: مجالسة الإخوان، ومناسمة الولدان، وملامسة النسوان، ومداولة الكأس مع النـدمان"[4]، وَسُئِلَ بَعضُهُم "ما العيش؟ فقال: لون مشبع، ومغنٍّ ممتع، وكأس مترع، ونديم مقنع"[5].

---

[1] يُنظر: ضيف، شوقي: **العصر الإسلامي**، ط7، مصر: دار المعارف، (د.ت)، ص377.

[2] هي بيوت وَمَبانٍ "كانت تقام في أجمل المواقع وأحسنها؛ تحفُّ بها بساتين الفواكه والكروم وتكون فيها الحانات ودور الضيافة. وكان يقصدها أهل الخلاعة والمجون للشرب في حاناتها والتمتع بفتيانها وفتياتها والغزل بغلمانها والتهتك بهم". بكار، يوسف حسين: **اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري**، ط2، دار الأندلس، 1981، ص235. للاطِّلاع على أشهر الدّيارات التي كانت شائعة في العصر العباسي، يُنظر: الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد: **الدّيارات**، تح: كوركيس عوّاد، ط3، سورية: دار المدى، 2008.

[3] يُنظَر: ضيف، شوقي: **العصر العباسي الثاني**، ص92.

[4] الراغب الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمَّد: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1961، 696/2.

[5] المصدر السابق، 696/2.

وَاهتَمُّوا، كَذَلِكَ، بالنَّديمِ الذي يَحضُرُ مَجلِسَ الشَّرابِ وَيُشارِكُ فيه، حَيْثُ حَدَّدوا لَهُ سِمَاتٍ يَنبَغِي أَنْ تَتَوافَرَ بِه، وَمِن ذلِكَ قَوْلُ سَهل بنِ هارون: "ينبغي للنديم أن يكون كأنما خُلق من قلب الملك يتصرّف بشهواته ويتقلّب بإرادته، لا يملّ المعاشرة، ولا يسأم المسامرة، إذا انتشى يحفظ، وإذا صحا يَيقَظ، ويكون كاتماً لسرِّه، ناشراً لبزه"[1].

وَكَثيراً ما كانَتْ مَجَالِسُ الخَمْرِ تُعقَدُ في جَوِّ الطَّبيعَةِ في الرِّياضِ وَالبَساتينِ بَيْنَ الوُرودِ وَالأَزهارِ وَالأَشجار، حَيْثُ لا يَحلُو الشَّرابُ إِلا تَحْتَ الظِّلالِ الرَّطيبَةِ وَالأَغصانِ المُمتَدَّةِ، وَفي نورِ القَمَرِ وَعِنْدَ ذَهَبِ الأَصيل[2]، وَقَدْ صَرَّحَ الوأواءُ الدِّمَشقِيُّ بِذَلِكَ في قَولِه:[3]

[الكامل]

وَاشْرَبْ عَلَى زَهْرِ الرِّياضِ مُدامَةً تَنْفي الهُمومَ بِعاجِلِ السَّراءِ

وَقَولِه:[4]

[مجزوء الخفيف]

وَحَديثٍ كأنَّهُ أوْبَةٌ مِن مُسافِرِ
كانَ أحلى مِنَ الرُّقا د عَلى جَفْنِ ساهِرِ
بِتُّ ألهُو بِطيبِهِ في رِياضٍ زَواهِرِ
بَينَ ساقٍ وَسامِرِ وَمُغَنٍّ وَزامِرِ

وهَا هُوَ ذَا يَدعُو مَنْ يَسمَعُهُ إِلى مُعاقَرَةِ الخَمْرِ وَالتَّمَتُّعِ بِهَا مُغتَنِماً وُجودَهُ في إِحدى الرِّياضِ بَيْنَ الوُرودِ وَالأَزهارِ وَالقِيانِ وَالمُغَنِّيات، يقول:[5]

---

[1] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، القاهرة: مطابع كوستاتسوماس وشركاه، (د.ت)، 126/4.

[2] يُنظر: الشكعة، مصطفى: **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص245. حاوي، إيليا: **فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب**، ص266.

[3] الوأواء: **ديوانه:** ص5.

[4] المصدر السابق، ص100.

[5] المصدر السابق، ص85-86.

[مجزوء الكامل]

اشْـــرَبْ عَلَـــى وَرْدَيْـــنِ قَـــدْ وُصِـــلا بِعَـــيْشٍ مُسْـــتَجَدِّ
وَرْدِ الرِّيـــاضِ – ونزهَـــةُ ال أَلْحـــاظ فيـــهِ – وَوَرْدِ خَـــدِّ
واصِـــلْهُما مِـــن قَبـــلِ أَنْ يَرْمِيـــكَ وَصْـــلُهُما بِصَـــدِّ
إِنِّـــي أَرى الأَيَّـــامَ تُـــنْ ذِرُنـــا بِعَـــيْشٍ مُسْـــتَرَدِّ
فاسْـــتَغْنِمِ العَـــيْشَ الْمُعـــا رَ لَهـــا فَمـــا تُـــوفي بِعَهْـــدِ

وَقَد تَعَلَّقَ الوأواءُ بالخَمرِ تَعَلُّقاً كَبِيراً، وَشُغِفَ بِهَا شَغَفاً عَظِيماً، وَعَكَـفَ عَلَـى شُـربِهَا وَمُعَاقَرَتِهَا، فَهِيَ تُمَثِّلُ وَجْهَاً مِنْ وُجوهِ فِسْقِهِ وَمُجُونِهِ وَخَلاعَتِهِ، ذَلِكَ أَنَّهُ كانَ يَدعُو إِلى الاستِمتاعِ بِلَذَائِذِ الحَياةِ وَأَطَايِبِهَا دُونَ حُدودٍ أَو ضَوابِطَ، فَهَا هُوَ ذَا يقول:[1]

[مجزوء الرمل]

لا تُضِـــعْ يـــا صـــاحِ لـــذَّا تِـــكَ فَـــالْعُمْرُ قَصِـــيرُ
نَـــلْ مِـــن اللَّـــذاتِ مـــا تَـــبْ غِيـــبِـــهِ وَاللهُ غَفُـــورُ

كَمَا أَنَّهُ يَقصُرُ الحياةَ على شُربِ الخمرِ، والاستِماعِ إِلى الموسـيقى والغِنـاءِ، وَقَضـاءِ الوَقتِ في الرِّياضِ حَيثُ يَقُول:[2]

[الكامل]

مـــا العَـــيشُ إلا فـــي الرِّيـــاضِ وَمُسْـــمِعٍ غَرْدٍ وَســـاقٍ إنْ سَـــقى لَـــم يَعْـــدلِ
فـــإذا دعـــاك العَـــيشُ فـــي خَلَســـاتِهِ فاركضْ إِلَيـــهِ فـــي الرَّعيـــلِ الأَوَّلِ

وَهُوَ يَسجُدُ لِلخَمرِ وَكَأَنَّهُ يَعبُدُهَا، واتجاهُ القِبلَةِ عندهُ حَيثُما تكونُ كأسُ الشَّراب، يَقول:[3]

[الخفيف]

سَـــأُطِيلُ السُّـــجُودَ فـــي قِبلَـــةِ الكـــأ سِ بِتَســـبِيحِ أَلسُـــنِ العِيـــدَانِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص109.
[2] المصدر السابق، ص176.
[3] المصدر السابق، ص244.

وَمِن مُنطَلَقِ تَعَلُّقِهِ بالخَمرِ، فَإِنَّهُ نَظَمَ العَديدَ مِنَ القَصائِدِ وَالمَقطُوعَاتِ الشِّعريَّةِ الخَمريَّةِ التي تَشتَمِلُ عَلَى وَصْفٍ دَقِيقٍ لِلخَمْرِ، لَونِها، وَمَا يَطرَأُ عَلَيها مِنْ تَغَيُّرٍ عِنْدَ مَزْجِهَا بالماءِ، وَأَثَرِهَا في نُفُوسِ شَارِبِيهَا، كَمَا أَنَّهَا تَشتَمِلُ عَلَى وَصفٍ لِمَجَالِسِها وَسُقَاتِهَا، إِضَافَةً إِلَى أَنَّهَا تَشتَمِلُ عَلى مُعجَمٍ ضَمَّ قِسماً كَبيراً مِنْ أَسمائِهَا، وَكَأَنَّهُ يَعشَقُ الخَمْرَ وَيَتَلَذَّذُ بِهَا في جَمِيعِ حالاتِهَا، وَمِن تِلكَ الأَسماء: راح، وَشَراب، وَمُدامة، وَعُقار، وَصَبُوح، وَمُشَعشَعة، وَبِكْر، وَقَهوة، وَغَبوق، وَشَمول، وَحُمَيَّا، وَبِنت كَرْم، وَذَبيحَة الماء ...

كَمَا أَنَّهُ ذَكَرَ العَديدَ مِنْ أَدَواتِهَا وَأَوانِيهَا، وَمِنهَا: الكأسُ، وَالكُوب، وَالقَدَحُ، وَالزِّيرُ، وَالجَامُ[1]، وَالدِّنان، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَصِفْ مِنْهَا إِلا الكأسَ وَذَلِكَ في بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنْ شِعْرِهِ، حَيْثُ شَبَّهَهُ بالهِلالِ في قَولِه:[2]

[الخفيف]

وَتَرى الْكأسَ دَائِراً كَهِلالٍ سَارَ فيهِ الْمحَاقُ عِنْدَ الْكَمَالِ

وَيَبدُو أَنَّهُ كانَ يُفَضِّلُ شُربَ الخَمْرِ المُعَتَّقَةِ القَدِيمَةِ، ذلك أَنَّ الخمرَ الأَصيلةَ الكريمَةَ "هي الخمر التي قدم العهد بها، والتي اكتمل اختمارها وتُركت مغلقة محكمة الإغلاق، مدفونة في الرمال زمناً طويلاً حتى يحين موعد شربها حيث تكون قد اختمرت، وعندها يشتد تأثيرها ويقوى فعلها"[3]، يَقول:[4]

[الطويل]

شَرِبْتُ حُمَيَّا الْحُبِّ صِرْفاً مُعَتَّقاً فَشُربُ الوَرى مَزْجٌ وَشُرْبي لَهَا صِرْفُ

---

[1] الجام: إناء للطعام والشراب من فضة أو نحوها، وقد غلب استعمال هذه المفردة في قدح الشراب. مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة (جامَ).

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص179.

[3] العشماوي، محمد زكي: **موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي**، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص228.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص151.

وَقَدْ كَنَّى عَنِ الخَمْرِ الصِّرْفَةِ التي لَمْ تُخَفَّفْ بالمَزْجِ بِمُفرَدَةِ (بِكر) في كَثيرٍ مِنْ أَشعارِهِ، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ:[1]

[مجزوء الرمل]

فَاســـقِنِي البِكـــرَ الَّتـــي فـــي حِجْرِهَـــــا دَبَّ السُّـــــــرورُ

وَجَعَلَ مَزْجَهَا بالمَاءِ أَشبَهَ مَا يَكُونُ بِعَمَلِيَّةِ افتِضَاضِ بَكَارَةِ فَتَاة، يَقُولُ في ذَلِكَ:[2]

[الخفيف]

وَتَـــرى الْكَـــأسَ دَائِـــراً كَهِـــلالٍ سَـــارَ فِيـــهِ الْمحَـــاقُ عِنْـــدَ الْكَمَـــالِ
فَـــإِذا افتَضَّـــها الْمِـــزاجُ كَسَـــاها حُلَّةَ الشَّـــمْسِ عِنْـــدَ وَقْـــتِ الـــزَّوالِ

وَبِهَذا يَكُونُ الوأواءُ قَدْ رَبَطَ بَيْنَ الخَمْرِ وَالمَحبُوبَةِ وَقَرَنَهَا فيها، حَيْثُ وَصَـــفَهَا بِـــبَعْضِ الصِّفَاتِ الأُنثَوِيَّةِ (البِكْر، والافْتِضَاض)، وَفِي هذا إِشارَةٌ إِلى عُمْقِ علاقَتِهِ بِهَا وَشَغَفِهِ فِيها، وَإِلى أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيها نَظْرَتَهُ إِلى أُنْثى يَشتَهِيهَا.

وَيَقُولُ مُوَجِّهَاً الخِطَابَ إِلى نَادِلٍ، مُستَعْمِلاً استِعَارَةً لَطِيفَةً، حَيْثُ صَوَّرَ الخَمْرَ بِإِنســـانٍ، وَجَعَلَ الماءَ إِنساناً آخَرَ يُدَغدِغُ صَدْرَ الأَوَّلِ بِيَدَيهِ، كِنَايَةً عَنْ عَمَلِيَّـــةِ اخـــتِلاطِ المـــاءِ بـــالخَمْرِ وَامتِزاجِهِ بِهَا:[3]

[الخفيف]

لا تُدَغْـــدِغْ صَـــدْرَ المُـــدامِ بِأَيْـــدِي الْ مَـــزْجِ مَـــا دُغْـــدِغَتْ صُـــدُورُ الْمَثَـــاني[4]

كَمَا شَرِبَ الشَّاعِرُ الخَمْرَ صرفاً صافِيَاً، فَإِنَّهُ شَرِبَهُ مَمزُوجَاً بالمَاءِ، فَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ في كَثِيرٍ مِنْ أَشعارِهِ، مُرَكِّزاً خِلالَهَا عَلى وَصْفِ أَثَرِ المَزْجِ فِيها، حَيْثُ جَعَلَ عَمَلِيَّةَ اختِلاطِ المـــاءِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص108.

[2] المصدر السابق، ص179.

[3] المصدر السابق، ص245.

[4] المَثاني: الذي بعد الأول من أوتار العود. مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة (ثني).

بالخَمْرِ وَمَا يَحْصُلُ بَينَهُمَا مِنْ تَمَازُجٍ بِعَمَلِيَّةِ اللَّعِبِ وَمَا يُصاحِبُهَا مِنْ فَـرَحٍ وَسَـعَادَةٍ وَنَشـوَة، وَصَوَّرَ الماءَ الذي يُضافُ إِلى كَأسِ الخَمْرِ بالفِضَّةِ، وَصَوَّرَ الخَمْـرَ بالـذَّهَبِ، وَذَلِـكَ بِجـامِعِ الاشتِراكِ في اللَّون، يقول:[1]

[المنسرح]

تَلعـبُ فـي كَأْسِـها إذا مُزِجَـتْ كَأَنَّمـا يسـتفزُّها طَـرَبُ
فـي عَرْصَـةِ الكـأْسِ حـين تمزِجُهـا سَـمَاءُ تبـرٍ نُجُومُهَـا ذَهـبُ

وَرَسَمَ صورَةً لِلفُقَاعَاتِ التي تَعلو سَطْحَ الكأسِ بَعْدَ عَمَلِيَّةِ المَزْجِ، فَشَبَّهَهَا بِشَبَكَةٍ مُمتَـدَّةٍ مِنَ اللُّجَينِ بِجَامِعِ اللَّونِ الفِضِّيِّ، مَوضُوعَةٍ عَلى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ، كِنَايَةً عَنِ الخَمْـرِ نَفْسِـهَا، يقول:[2]

[البسيط]

إِذا عَلاهـا حَبـابٌ خِلْتَـهُ شَـبَكاً مِـن اللُّجَـيْنِ عَلَـى أَرْضٍ مِـنَ الـذَّهَبِ

وَهَذِهِ الفُقَاعَاتُ يَحْسَبُهَا مَنْ يَنْظُرُ إِلَيهَا طَوقَاً لِلزِّينَةِ؛ لِشِدَّةِ تَمَاسُكِهَا وَانتِظَامِهَا، وَقَدْ يَخَالُهَا عِقدَاً مَصْنُوعَاً مِنَ اللؤلؤِ اللَّامِعِ الذي تَتَزَيَّنُ بِهِ الفَتَيات، وَقَدْ عَبَّرَ عَن هذا المَعنَى في قَوْلِهِ:[3]

[البسيط]

تَخالُ منهـا بِجِيـدِ الكـأسِ إِنْ مُزِجَـتْ عِقداً مِـنَ الـدُّرِّ أَوْ طَوْقَـاً مِـن الحَبَـبِ

وَفِي صُورَةٍ أُخرى صَوَّرَ تِلكَ الفُقَاعاتِ بالنُّجُومِ اللَّامِعَةِ التي تَظهَرُ لَيْلاً في السَّمَاء، ثُـمَّ جَعَلَهَا حُبَيبَاتٍ مِنَ الماءِ المُتَجَمِّد، وَجَعَلَ الخَمْرَ ناراً بِفِعلِ التَّشابُهِ اللَّونِيِّ، ثُمَّ عَادَ وَصَوَّرَهَا بِعِقْدٍ مِنَ اللؤلؤِ انتَثَرَتْ حُبيباتُهُ عَلَى أَرْضٍ مُكَوَّنَةٍ مِنَ الحِجَارَةِ الكَرِيمَةِ الحَمراءِ اللَّون، يقول:[4]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص35.

[2] المصدر السابق، ص39.

[3] المصدر السابق، ص39.

[4] المصدر السابق، ص106.

[المنسرح]

تُظَـــنُّ فـــي كَأْســـها إذا مُزِجَـــتْ نجـــومَ لَيْـــلٍ تَهْـــوي لِتَغْـــوير
أَوْ بَـــرَداً قَـــدْ أُدِيـــرَ دائِـــرَةً مِـــنْ فَـــوْقِ نَـــارٍ بِغَيـــرِ تَسْـــعِير
أَوْ عِقْـــدَ دُرٍّ وَهَـــتْ مَعاقِـــدُهُ عَلَـــى عَقِيـــقٍ فـــي صَـــرْحِ بَلُّـــور

وَهَا هُوَ ذَا يَصِفُ مَا طَرَأَ عَلى لَوْنِهَا مِنْ تَغَيُّرٍ بِفِعلِ المَزج، فَلَونُهَا الأَصلِيُّ هوَ الأَحمَـرُ القَانِي، فَلَمَّا أُضيفَ الماءُ إِلَيها أَصبَحَ لَونُها فَاتِحَاً، ولِذا صَوَّرَهَا بالشَّمسِ في لَونِهَا الذَّهَبِيِّ المائِلِ إِلى الصُّفرَةِ، وَجَعَلَ الفُقاعاتِ التي تَعلُو سَطحَهَا كَواكِبَ لامِعَةً تَتَلألأُ في السَّماء، ولَم يَـنسَ أَنْ يَصِفَ جَمَالَ السَّاقِي وَحُسنَه، حَيثُ صَوَّرَهُ بِالبَدرِ فِي إِشرَاقِهِ وَضِيَاءِ وَجهِه، يَقُول:[1]

[الكامل]

ويَظَـــلُّ صَـــبَّاغُ المِـــزاجِ محكَّمـــاً فـــي نقـــضِ حُمرتهـــا بِأَيـــدي المـــاءِ
وكَأَنَّهـــا، وكَـــأَنَّ حامـــلَ كأْســـها، إِذْ قـــامَ يجلوهـــا عَلَـــى النُّـــدَماءِ
شـــمسُ الضُّـــحى رَقَصَـــتْ فَـــنَقَّطَ وَجهَهـــا بـــدرُ الـــدُّجى بكواكِـــبِ الجـــوزاءِ

وَفِي مَقطوعَةٍ أُخرى وَسَمَ لونَهَا بالصُّفرَةِ الشَّبيهَةِ بِلَونِ الإِنســانِ الخــائِفِ، وَبــالحُمرَةِ الشَّبيهَةِ بِلَونِ خَدٍّ مَعشوقٍ ظَهَرَت عَلَيهِ بَعضُ حُبيباتِ العَرَقِ خَجَلاً وَحَياءً، ثُـمَّ صَـوَّرَ لونَهَـا الأَحمَرَ بِلَونِ الشَّفَقِ، وَجَعَلَ الفُقاعاتِ التي تَظهَرُ عَلى سَطحِ الكأسِ كواكب بيضاء مُتَناثرة حول ذلك الشَّفَق، يقول:[2]

[البسيط]

رَاحٌ إِذا اسْـــتَنْطَقَتْها بِـــالمِزاجِ يَـــدٌ تَكادُ تَخْـــرَسُ عَنْهـــا أَلْسُـــنُ الْحَـــدَقِ
كَأَنَّهـــا خَجَـــلٌ فـــي كَـــأْسِ شَـــارِبِها فَاجَـــاهُ عِنْـــدَ مِـــزاجٍ صُـــفْرَةُ الفَـــرَقِ
أَوْ مِثْـــلُ وَجْنَـــةِ مَعْشُـــوقٍ إِذا نَثَـــرَتْ يَـــدُ الـــدَّلالِ عَلَيْهـــا لُؤْلُـــؤَ العَـــرَقِ
كـــأَنَّ مَـــا ابْـــيَضَّ مِنْهـــا فـــي مُـــوَرَّدِهِ كَواكِـــبٌ نُثِـــرَتْ فـــي حُمْـــرَةِ الشَّـــفَقِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص5–6.

[2] المصدر السابق، ص161.

كَمَا وَصَفَ الوأواءُ لَونَ الخَمْرِ بعدَ مَزجِهَا بالماءِ، فَإِنَّهُ وَصَفَهُ بِصورَةٍ عَامَّةٍ، حَيثُ صَوَّرَهُ بِلَهَبِ النَّارِ الأَحمَرِ في قولِهِ:[1]

[المنسرح]

وبِنتِ كَرْمٍ كأَنَّهَا لَهَبُ تَكادُ مِنها الأُكُفُّ تَلْتَهِبُ

وَفي قَولِهِ:[2]

[الخفيف]

صَاحِ هَاتِ الْعُقَارَ حَمْراءَ كَالنَّا رِ وَدَعْنِي مِمَّا يَقُولُ العَذُولُ

وَفِي مَقطوعَةٍ أُخرى قَرَنَ لَونَ الخَمرِ بِلَونِ وَجْهِ أَحَدِ النُّدَماءِ الذينَ يُشارِكونَهُ الكأسَ، وَالجامِعُ الذي يَربِطُ بَينَ هذينِ الطَّرَفَينِ هُوَ اللونُ الأَحمَرُ الذي تَكتَسِي بِهِ الشَّمسُ عِندَ مَغيبِهَا، وَهَذا مَا عَبَّرَ عنهُ في قولِهِ:[3]

[مجزوء الكامل]

مَا زالَ يَشربُ شِبهَ مَا فِي وَجنَتَيهِ مِنَ اللهيبِ
حتى انثَنَى وَكَأَنَّمَا فِي كأسِهِ قبلَ المغيبِ
بدرٌ يُقَبِّلُ عارِضاً لِلشمسِ فِي وقتِ الْغُروبِ

وَمِنَ المَضامينِ المُهِمَّةِ في خَمرِيَّاتِ الوأواءِ وَصْفُ الأَثَرِ الذي تُحدِثُهُ الخَمْرُ في نُفُوسِ شارِبِيهَا، فَهِيَ، مِنَ وجهَةِ نَظَرِهِ، تُغَيِّرُ مِنْ طَبْعِ الإِنسانِ وَتَبُثُّ فِي نَفْسِهِ الفَرَحَ وَالسَّعادَةَ وَالسُّرور، يَقُول:[4]

[المنسرح]

الكأْسُ قطبُ السرورِ والطربِ فاحظَ بها قَبْلَ حاجِزِ النَوبِ

وَيَقُول:[5]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص35.
[2] المصدر السابق، ص184.
[3] المصدر السابق، ص43.
[4] المصدر السابق، ص38.
[5] المصدر السابق، ص70.

[المنسرح]

خَمْـــرٌ إذا خَـــامَرَتْ فُـــؤادَ فَتَـــىً أَهْـــدَتْ إليـــهِ السُّـــرُورَ وَالفَرَحـــا
ما اسْتَدَّ بـــابُ السُّـــرُورِ عَـــنْ أَحَـــدٍ إلا غَـــــدا بِالمُـــــدامِ مُفْتَتَحـــــا

وَلإبرازِ تَأْثِيرِهَا في النُّفُوسِ، وَلِلمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا تُثِيرُ الطَّرَبَ وَالنَّشوَةَ فـــي الحِجَارَةِ وَالجَمَادَات؛ وَلِذَلِكَ قَصَرَ الحياةَ عَلَى شربِهَا وَمُعاقَرَتِهَا في قولِهِ:[1]

[البسيط]

هِيَ الحياةُ فَلَـــو تَـــأْتي إِلـــى حَجَـــرٍ لَوَلَّدَتْ فيـــهِ مِنْهـــا نَشْـــوَةَ الطَّـــرَبِ

وَالخَمْرُ تُخَفِّفُ الهُمومَ وَالأَحزانَ التي تَثقِلُ قَلْبَ الإنسان، وَتُزيلُها، يقول:[2]

[مجزوء الكامل]

قُـــمْ فَاجْـــلُ هَمِّـــي يـــا غُـــلامُ بِـــــالرَّاحِ إِذْ ضَـــــحِكَ الظَّـــــلامُ

وَيَقُول:[3]

[الخفيف]

قَهْـــوَةٌ تَطْـــرُدُ الهُمُـــومَ إِذا مَـــا مُكِّنَـــتْ مِـــنْ مَـــواطِنِ الأَحْـــزَانِ

وَهِيَ تُعِيدُ المَشيبَ إِلى شَبَابِهِ، وَتَبْعَثُ فيهِ القُوَّةَ وَالحَيَويَّةَ وَالنَّشاط، يقول:[4]

[الخفيف]

هـــي إِنْ شَـــجَّها المِـــزاجُ وشـــابَتْ عـــادَ مـــن وقتِـــهِ المَشـــيبُ شَـــبابَا

وَهِيَ وَسيلَةٌ استَعمَلَها الوأواءُ لِتَقصيرِ لَيلِهِ الطَّويلِ، يقول:[5]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص38.
[2] المصدر السابق، ص202.
[3] المصدر السابق، ص242.
[4] المصدر السابق، ص34.
[5] المصدر السابق، ص10.

[الطويل]

وَلَيـــلٍ تَمَـــادى طُولُـــهُ فَقَصَـــرْتُه بِرَاحٍ تُعيرُ المـــاءَ مِـــنْ صـــفوِها صَـــفا

وَتَشتَمِلُ خَمرِيَّاتُ الوأواءِ عَلَى وَصفٍ لِلسُّقَاة، فَهَا هُوَ ذَا يُصَوِّرُ أَحَدَهُم بالبَدرِ فِي قَولِهِ:[1]

[الخفيف]

يـــا بَـــدْرُ بـــادِرْ إِلَـــيَّ بِالْكَـــاسِ فَـــرُبَّ خَيْـــرٍ أَتَـــى عَلَـــى يَـــاسِ

وَوَصَفَ فِي بَعضِ أَشعَارِهِ رِدْفَ أَحَدِهِم بِأَنَّهُ؛ لامتِلائِهِ يَهتَزُّ وَيَتَرَجرَجُ خَلفَهُ عِنْدَمَا يَسِير، وَهُوَ فِي هَذِهِ الحَال كَمَن يَسِيرُ عَلَى قِطَعٍ مِنَ الزُّجَاجِ يَخَافُ أَنْ تَجرَحَه، يقول:[2]

[المنسرح]

كَـــم حَـــثَّ شُـــربي لِكأْســـها قَمَـــرٌ بِقَـــدٍّ غُصْـــنٍ وَخَصْـــرِ زُنبـــورِ
يَجْذِبُـــــهُ رِدْفُـــــهُ فَأَحْسِـــــبُهُ يَـــرُومُ مَشْـــياً عَلَـــى قَـــوَارِيرِ

وَوَصَفَ فِي شِعْرٍ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ المُجُونِ وَالانحِلالِ وَالتَّهَتُّكِ لِقَاءَهُ بِسَاقٍ جَمِيلٍ وَجهُـــهُ كَالبَدرِ، وَقوامُهُ كَالغُصن، وَقَدْ قَدَّمَ لَهُ الخَمْرَ، فَشَرِبَاهُ مَعَاً، مِمَّا أَتَاحَ لَهُ فِي تِلكَ اللَّحظَاتِ استِغلالَ سَكرَةِ ذَلِكَ الغُلام، بِأَنْ عَبِثَ بِهِ وَتَهَتَّكَ فِيهِ، وَطَارَحَهُ الغَرَامَ عَلَى فِراشِ الحُبِّ، يقول:[3]

[المتقارب]

وَسَاقٍ حَكَـــى الْبَـــدْرَ وَالغُصْـــنَ لِـــي فَـــــذَا بالتَّمَـــــامِ وَذَا بِـــــالْقَوامْ
سَـــقَانِي بِكَأْسَـــيْنِ فِـــي مَجْلِـــسٍ بِكَـــأْسِ المُـــدامِ وَكَـــأْسِ الغَـــرَامْ
بَطِـــيءِ الإِفَاقَـــةِ مِثْلِـــي وَقَـــدْ شَـــرِبْتُ المُـــدَامَيْنِ شُـــرْبَ اغْتِنَـــامْ

وَفِي خِتَامِ استِعرَاضِ خَمرِيَّاتِ الوأواءِ الدِّمشقِيِّ يُمكِنُ القولُ: إِنَّهُ كَثِيراً مَـــا كَـــانَ يَعقِـــدُ مَجَالِسَ الخَمرِ وَاللَّهوِ في أَحضَانِ الطَّبِيعَة، تَحتَ الأَشجَار، وَبَينَ الوُرُودِ وَالأزهَار، وَلأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِهَا تَعَلُّقاً كَبِيراً، وَصَفَهَا وَصفاً دَقِيقاً، وَصَوَّرَ كَثِيراً مِنَ أَبعَادِهَا وَجُزئِيَّاتِهَا، حَيثُ وَصَفَ لَونَهَـــا وَشُعاعَهَا وَمَزْجَهَا بالماءِ، وَتَأثِيرَهَا في شارِبِيهَا، وَسُقَاتِهَا، وَمَجَالِسَهَا.

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص125.

[2] المصدر السابق، ص107.

[3] المصدر السابق، ص207.

الفصل الثاني

الغَزَلُ في شِعرِ الوأواءِ الدِّمشقِيِّ

الفصل الثاني

الغَزَلُ في شِعرِ الوأواءِ الدِّمشقِيِّ

يُعَدُّ الغَزَلُ أَحَدَ الأَغراضِ الشِّعريَّةِ الأَساسِيَّةِ الأَصيلةِ في الأَدَبِ العَرَبِيِّ في مُختَلَفِ العُصورِ والأَزمان، وَهُوَ مِن أَقدَمِهَا وأكثرها شيوعاً لاتصاله الوثيق بالطبيعة الإنسانية، وَهُوَ "قريب من النفوس، لائطٌ بالقلوب، لما (قد) جعل الله في تركيب العبادِ من محبَّة الغزل، وَإلفِ النساء، فليس يكادُ أحدٌ يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب، وضارباً فيه بسهم، حلال أو حرام"[1]، ولِهذَا فَقَد تَعَدَّدَ شُعَراؤُهُ وكَثُرُوا كَثرَةً مُفرِطةً، حَيْثُ يُمكِنُنَا القولُ إِنَّ مُعظَمَ الشُّعَراءِ العَرَب طَرَقُوا هذا الغَرَضَ الفَنِّيَّ وَنَظمُوا فيهِ الكَثيرَ مِنَ الأَشعَار.

وَمِنْ بَينِ الشُّعَراءِ الذينَ اشتهَرُوا بالغَزَلِ وَأَكثَرُوا مِنْهُ الوأواءُ الدِّمشقِيّ، إِذْ إِنَّ أَكثَرَ دِيوانِهِ غَزَلٌ؛ لأَنَّه كانَ حَياتَهُ كُلَّها فيما نَعتَقِد[2]، وَقَدْ تَمَيَّزَ الدِّمشقِيُّ وَأَبدَعَ في هذا الفَنِّ إِبداعاً كَبِيراً، الأَمر الذي دَفَعَ مُصطفى الشَّكعة إِلى تَتويجِهِ أَميراً لِلغَزَلِ الرَّقيقِ عَلَى شُعَراءِ بَني حَمدان[3]؛ لأَنَّ "مذهبه جمال كله، ورقة متناهية"[4]، كَمَا أَنَّ سعود عبد الجابر جَعَلَهُ إِماماً للشُّعَراءِ الغَزِلينَ في بَلاطِ سَيْفِ الدَّولَةِ الحَمدانِيّ[5].

وَإِذا مَا أَلقَينا نَظْرَةً فاحِصَةً مُمَحِّصَةً في غَزَلِهِ فَإِنَّنا نَجِدُ أَنَّ مِنْهُ ما جاءَ عَلَى هَيئَةِ قَصائِدَ مُستَقِلّة، وَمِنهُ مَا جَاءَ عَلَى صُورَةِ مَقطوعاتٍ قَصيرَةٍ وَطَويلة، وَمِنْهُ مَا صُدِّرَتْ فيهِ قَصائِدُهُ غَيْرُ الغَزَلِيَّة، وَتَتَمَثَّلُ في قَصائِدِ المَدِيحِ وَالخَمْرِ وَوَصْفِ الطَّبيعَة، وَهُوَ مَا يُعرَف بالغَزَلِ التَّقليدِيّ، وَقَدْ أُطلِقَ عَلَيْهِ هَذا المُصطلحُ؛ لأَنَّ استِهلالَ القَصائِدِ –على اختِلافِ مَوضوعَاتِهَا وَأَغراضِهَا– بالغَزَلِ تقليدٌ سَارَ عَلَيْهِ الشُّعَراءُ العَرَبُ في عُصورِهِم الأَدَبِيَّةِ جميعِها، إِلى حَدٍّ أَنَّهُم كانُوا فيهِ

---

[1] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: **الشعر والشعراء**، بيروت–لبنان: دار الثقافة، 1964، 21/1.

[2] يُنظر: الوأواء: **ديوانه**، مقدمة المحقق، ص26.

[3] يُنظر: الشكعة، مصطفى: **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، ص234–235.

[4] المرجع السابق، ص235.

[5] يُنظر: عبد الجابر، سعود محمود: **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني**، ص245.

يُطلِقونَ عَلَى القَصيدَةِ التي تَخلُو مِنَ المُقَدِّمَةِ الغَزَلِيَّةِ مُصطَلَحَ القصيدَة البَتْراء، قِياساً عَلى الخُطبَةِ البَتراءِ التي لا تَبدأُ بِحَمْدِ الله عَزَّ وَجَلّ[1]، لِذلِكَ فَهَذا النَّوعُ غالِباً ما يكونُ غَزَلاً صِناعِيَّاً مُتَكَلَّفاً لا أَثَرَ فِيهِ لِعَاطِفَةِ الحُبِّ الصَّادِقَةِ، وَحَرارَةِ الجَوى الذي يُذيبُ النَّفسَ شَوْقَاً وَحَنِيناً.

وَمِنَ المُلاحَظِ أَنَّ الوأواءَ لَمْ يَتَغَزَّلْ بِفَتَاةٍ مُحدَّدَةٍ بِعَيْنِهَا، حَيْثُ إِنَّهُ لَمْ تَذْكُرْ كُتُبُ التَّـاريخِ والتَّراجِمِ أَخبَاراً لَهُ مَعَ فَتَاةٍ مُعَيَّنَةٍ يَعشَقُهَا، وَلَمْ يُضَمِّنْ شِعْرَهُ الغَزَلِيّ مَا يُدَلِّلُ عَلَى ذلك، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى ذِكْرِ أَسْمَاءِ مَنْ تَغَزَّلَ بِهِنّ، وَلَمْ يَذكُرْ أَيَّةَ قَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى شَخْصِيَّاتِهِنّ، وَرُبَّمَا كانَ ذَلِكَ حِفَاظَاً عَلَى سُمعَتِهِنَّ مِن أَنْ تُدَنَّسَ أَوْ تُهان، وَخَوفَاً مِنْ أَنْ يشتَهِرَ أَمْرُهُ مَعَهُنَّ بَيْنَ النَّاس، غَيْرَ أَنَّ طَبيعَةَ الحَياةِ اللَّاهِيَةِ الماجِنَةِ الفَاسِقَةِ التي كانَ الوأواءُ يَحيَاهَا تَجعَلُ هذا التَّعليلَ مُستَبعَداً، وَنَقُودُنا إِلى تَفْسِيرٍ آخَرَ يَخْتَلِفُ عَنِ الأَوَّلِ اختِلافَاً جَذرِيَّاً، وَيَتَمَثَّلُ في أَنَّ عِشْقَهُ لِلنِّساءِ اللَّواتي تَغَزَّلَ بِهِنَّ لَمْ يَكُنْ –في الأَعَمِّ الأَغلَبِ– عِشْقَاً حَقِيقِيَّاً صادِقَاً نابِعَاً مِن أَعماقِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا كانَ تَسْلِيَةً وَتَزْجِيَةَ فَرَاغٍ، وَشَهوَةً طارِئَةً وَنَزوَةً عَابِرَةً يَقضِيهَا مَعَ الإِماءِ وَالجَوارِي اللَّواتي انتَشَرْنَ فِـي العَصْـرِ العَبَّاسِيِّ انتِشاراً كَبِيراً، وَاشتَهَرنَ اشتِهَاراً عَظيمَاً، وَكُنَّ يُجِدْنَ الرَّقصَ وَالغِنَاءَ وَفُنُونَ الإِغـراء، وَيُخالِطْنَ الرِّجالَ في مَجَالِسِ اللَّهوِ وَالعَبَثِ وَالقَصْفِ وَالخَلاعَةِ وَالمُجُونِ التِي كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَـا بِكَثْرَةٍ، وَيَقضِي فِيهَا أَيَّامَهُ الصَّاخِبَةَ وَلَيَالِيَهُ الحَمراء[2].

وَيُمْكِنُ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ غَزَلِيَّاتِ الوأواءِ وَالتَّدقِيقِ فِيها تَقسِيمهَا اعتِمَادَاً عَلَـى طَبيعَتِهـا وَمَضامِينِها إِلى قِسْمَيْنِ اثنَين، هُمَا:

أَوّلاً: الغَزَلُ المَعنَوِيُّ العَفِيف

هُوَ الغَزَلُ الذي يُصَوِّرُ فِيهِ الشَّاعِرُ –أَيُّ شَاعِرٍ– مَا اعْتَوَرَ نَفْسَـهُ مِـنْ حُـبٍّ صَـادِقٍ مُخْلِصٍ، وَمَشَاعِرَ مُلتَهِبَةٍ وَعَواطِفَ حَرَّاقَة، وَتَأْثِيرَهَا فِي نَفْسِهِ، وَيَصِفُ فِيْهِ –كَـذلِكَ– مَوقِـفَ

---

[1] يُنظر: ابن رشيق، القيرواني: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، 231/1.

[2] يُنظر: بكار، يوسف حسين: **اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري**، ص105، نقلاً عن: الجـواري، أحمـد عبـد الستار: **الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، بيروت: مطابع دار الكشاف، 1956، ص207.

المَحبُوبَةِ مِن حُبِّه، وَعِتَابَ الأَصدِقَاءِ لَهُ فِيهِ، إِلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النَّواحِي المَعْنَوِيَّةِ التي لا تَشــرَحُ جَسَدَ المَرأَةِ وَلا تَتَعَرَّضُ لِمَوَاضِعَ حِسِّيَّةٍ فِيهِ، وَلا تَشْتَمِلُ عَلَــى التَّعَــابِيرِ المَكشُــوفَةِ وَالأَلفَــاظِ الفَاضِحَةِ وَالصَّرَاحَةِ المُخجِلَةِ التي تَخْدِشُ الحَيَاءَ العَامّ[1].

وَفِيما يَأتِي تَفصِيلٌ لأَهَمِّ المَضامِين والمَعانِي التي يَقُومُ عَلَيهَا الغَزَلُ المَعنَوِيُّ فِي شِــعرِ الوأواءِ الدِّمَشقِيّ، وذلِكَ عَلَى النَّحوِ الآتِي:

أَوَّلاً: المُعَانَاة:

يُعَدُّ تَصويرُ المُعانَاةِ التي يَشعُرُ بِها الوأواءُ مِنَ الحُبِّ، وَمِنْ صُدُودِ المَحبُوبَةِ وَهجرانِهَــا وَفِراقِهَا لَهُ، مِن أَهَمِّ المَضامِين المَعنَوِيَّةِ فِي غَزَلِيَّاتِه، ولَقَدْ تَعَدَّدَتِ الصُّوَرُ وَالوَسَائِلُ وَالأَسَــالِيبُ التي استَخْدَمَهَا لِلْكَشْفِ عَن هَذِهِ المُعَانَاةِ وَإِبرازِهَا، وَهِي:

أ: تصويرُ عَذَابِهِ وَحُزنِهِ وَمَرَضِه:

مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَتَعَذَّبَ العاشِقُونَ وَيَحزَنُوا وَيَتَــأَوَّهُوا وَيَتَــأَلَّمُوا، وَتَضــعُفَ أَجْسَــادُهُم وَيُبَرِّحَهَا العِشقُ وَالهِيامُ وَيُصِيبَهَا المَرَضُ وَالسّقَام[2]، وَقَدْ عَبَّرَ الوأواءُ عَنْ ذَلِكَ في غَيْرِ مَوْضِعٍ مِن دِيوانِه، فَهَا هُوَ ذَا يَجْعَلُ أَشوَاقَهُ وَحَنِينَهُ إِلى المَحبُوبَةِ جَيْشَاً يَحتَلُّ قَلْبَهُ وَيُعَسكِرُ فــي فُــؤَادِه، وَيُشِيرُ إِلى المَرَضِ وَالسَّقَمِ الذي أَصابَهُ وَأَبلَى جَسَدَهُ فِي قَولِه:[3]

[البسيط]

عَســاكِرُ الشَّــوْقِ فــي قَلْبِــي مُخَيِّمَــةٌ ... مُذْ خَيَّمَ الوَجْدُ لِــيْ فــي رَبْــعِ حُبِّيهــا
هَا قَدْ لَبِسْتُ ثِيــابَ الضُّــرِّ فِيــكِ فَقَــدْ ... بُلِيــتُ بِالسُّــقْمِ فيهــا قَبْــلَ أُبْلِيهــا

---

[1] يُنظر: هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، القــاهرة: دار المعــارف، 1963، ص503.

[2] ينظر: ابن حزم، الأندلسي: **طوق الحمامة في الألفة والألّاف**، تح: إحسان عبَّاس، ط1، بيــروت: المؤسســة العربيــة للدراسات والنشر، 1993، ص26.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص249.

وَيَجعَلُ تِلكَ الأَشواقَ الحَرَّاقَةَ التي يَختَزِنُهَا دَاخِلَ نَفْسِهِ نَاراً مُتَجَدِّدَةً تَمْتَدُّ أَلسِنَتُهَا لِتَحــرِقَ قَلبَهُ وَأَحشَاءَه، وَفِي هَذِهِ الصُّورَةِ دلالَةٌ عَلَى المُعَانَاةِ العَظِيمَةِ وَالأَلَمِ الشَّدِيدِ الذي يُعانِي مِنْهُ فِــي عِشقِهِ، يقول:[1]

[البسيط]

يا مُوقِــدَ النَّــارِ فــي قلبــي وفــي كَبِــدِي أَوْقَدْتَ ما لَــيْسَ يُطْفــا آخِــرَ الأَبَــدِ
أَوقَــدْتَ نَــارَ الهــوى بالشَّــوْقِ فاشْــتَعَلَتْ مِنَ الْجوانِحِ لــم تَخْمُــدْ ولــم تَكَــدِ

وَيُصَرِّحُ بِأَنَّ الشَّوقَ وَالجَوَى يُشعِلانِ قَلبَهُ وَفُؤَادَه، وَلِذا صَارَ مُؤَرَّقاً لا يَعــرِفُ لِلنَّــومِ طَعماً، يَقول:[2]

[الكامل]

بــــانَ الحبيـــبُ فبـــانَ عنـــه صـــبرُهُ بعــد الحبيــبِ ومــا رأى محبوبــا
ســكنَ الجــوى والشــوقُ بــينَ جَــوانحي وغَدا الكــرى فــي مقلتــيَّ غريبــا

وَيُشِيرُ فِي إِحدى غَزَلِيَّاتِهِ إِلى أَنَّ قَلبَ العَاشِقِ المُخلِصِ لِمَحبُوبِهِ يَــذُوبُ كَمَــدَاً وَحُزنَــاً وَشَوقَاً إِذَا مَا فُجِعَ بالبَينِ وَالفراق، حَتَّى لَو كَانَت مَادَّتُهُ مِنْ حَدِيد، فَكَيفَ وَهُوَ مَخلُوقٌ مِن لَحْــمٍ وَدَم ؟ وَذَلِكَ فِي قولِهِ:[3]

[مُخلّع البسيط]

لَــوْ فَجَــعَ البَــينُ قلــبَ صَــبٍّ ذَابَ ولــوْ كــانَ مِــنْ حَديــدِ

وَلأنَّ العِشقَ أَذَابَ قَلبَهُ وَأَهلَكَهُ، وَمَنَعَ عَينَيهِ مِنَ الغَمضِ وَالنَّوم؛ فَإِنَّهُ يَشْتَكِي مِنَ التَّعَــبِ وَالنَّصَبِ الذي أَصَابَهُ، وَيَصِفُهُ –لِكَثْرَتِهِ– بِأَنَّهُ عَظِيمٌ لا يَنتَهِي وَلا حُدُودَ لَه، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[4]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص86.

[2] المصدر السابق، ص51.

[3] المصدر السابق، ص88.

[4] المصدر السابق، ص76.

[المنسرح]

فُـــؤادُ صَـــبٍّ أَذابَـــهُ الْكَمَـــدُ وَجَفْـــنُ عَـــيْنٍ أُودى بِـــهِ السَّـــهَدُ
يـــا زَفَراتـــي كَـــمْ أَشْـــتَكيكِ فَمَـــا يُنْصِـــفُني مِنْـــكِ فـــي الْهَـــوى أَحَـــدُ
لِكُـــلِّ شَـــيْءٍ حَـــدٌّ يَبِـــينُ بِـــهِ وَمَـــا لِوَجْـــدِي حَـــدٌّ وَلا أَمَـــدُ

وَيُصَوِّرُ الوأواءُ –مَرَّةً أُخرى– مَا فَعَلَتهُ الأَحزانُ وَالأَشواقُ بِقَلْبِهِ فِي قَولِهِ:[1]

[الطويل]

لَقد بَـــرَّحَ البَـــيْنُ الْمُبَـــرِّحُ والحـــبُّ بقلبي؛ وهل يبقـــى عَلَـــى لوعَـــةٍ قلـــبُ!
تعزَّزْتُ مُغتـــرّاً بمـــا البـــينُ صـــانعٌ ولـــم أَدرِ أَنَّ البـــينَ مركبُـــهُ صَـــعْبُ

وَيُصَرِّحُ بِأَنَّهُ لَو كَانَتِ الأَحزَانُ وَالأَشواقُ تُميتُ صَاحِبَهَا، لَكَانَ أَوَّلَ عَاشِقٍ مَاتَ حُزْنَـــاً وَكَمَداً مِنَ الحُبِّ، وَيَبدُو أَنَّ صُدودَ المَحبُوبَةِ وَهَجرَهَا لِلشَّاعِرِ قَدْ طَالَتْ مُدَّتُهُ ؛ لِذَا جَعَلَ نَفْسَهُ وَقْفاً لِلأَحزانِ وَالأَسقَامِ وَالأَمراضِ بِأَنواعِهَا وَأَصنَافِهَا المُختَلِفة، يَقُول:[2]

[البسيط]

لَوْ قِيـــلَ: هَـــلْ رَجُـــلٌ طالَـــتْ بَلِيَّتُـــهُ لاسْتَعْبَرَتْ مُقْلَتِـــي حَتَّـــى أَقُـــولَ: أَنَـــا
ولَـــوْ قَضَـــى حَزَنـــاً مُسْـــتَهتِرٌ دَنِـــفٌ لَكُنْـــتُ أَوَّلَ مَحْـــزُونٍ قَضَـــى حَزَنـــا
هَـــذا كِتـــابُ فَتَـــىً طالَـــتْ صَـــبَابَتُهُ مُكَبَّلٍ فِي الْهَـــوى وَقْـــفٍ لِكُـــلِّ ضَـــنى

وَإِذَا مَا رَأَى الوأواءُ دِيَارَ المَحبُوبَةِ فَإِنَّ نِيرانَ الأَشواقِ تَضْطَرِمُ فِي جَسَدِهِ فَيَذُوبُ كَمَـــدَاً وَشَوقَاً وَحَنِيناً، وَتَذْرِفُ عَينَاهُ دَمْعَاً غَزِيراً مِدرَاراً، يَقُول:[3]

[الوافر]

كَتَبْـــتُ إِلَـــيْكُمُ بِيَـــدِ الـــدُّمُوعِ وَما أَمْلَـــى سِـــوى قَلْبِـــي الْمَـــرُوعِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص47.

[2] المصدر السابق، ص240–241.

[3] المصدر السابق، ص145.

أَرى آثـــــارَكُمْ فَـــــأَذُوبُ شَـــــوْقاً وَأَسْـــكُبُ فـــي مَـــوَاطِنِكُمْ دُمُـــوعي

ولَجَأَ الوأواءُ إلى مُبالَغَةٍ عَظِيمَةٍ؛ لِيُظهِرَ شِدَّةَ النَّصَبِ وَالسَّقَمِ وَالضَّنَى وَالضَّـــعفِ الـــذي أَصَابَ جَسَدَهُ بِسَبَبِ الحُبِّ، وَمَفَادُهَا أَنَّهُ أَصبَحَ يَستَطِيعُ أَنْ يَمْشِيَ عَلَى الماءِ دُونَ أَنْ يَغْرَقَ فِيـــهِ، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[1]

[السريع]

حَوَيْـــتُ أَسْـــقامَ الْـــورَى مُفْـــرداً وحازهـــــا النَّـــــاسُ بأَســـــماءِ

لَـــوْ شِـــئْتُ أَنْ أَمشـــي لِفَـــرْطِ الضَّـــنى مشـــيتُ مِـــن سُـــقْمي عَلَـــى المـــاءِ

وَفِي مُبالَغَةٍ أُخرى يَقولُ إِنَّهُ إِذَا مَا اجْتَمَعَتْ أَشْجَانُ العَاشِقِينَ جَمِيعِهُم وَقُورِنَتْ بالأَشجَانِ وَالأَحزَانِ المُتَجَمِّعَةِ في قَلْبِهِ، فَإِنَّهُ لا بُدَّ أَنْ تَرجَحَ الثَّانِيَةُ عَلَى الأُولَى:[2]

[البسيط]

قَالُوا جَفَاكَ الـــذي تَهْـــوى فَقُلْـــتُ لَهُـــمْ: نَـــوْمِي تَعَلَّـــمَ مِنْـــهُ فَهْـــوَ يَجْفُـــوني

لَوْ قَاسَ مَـــنْ قَـــدْ مَضَـــى حُبِّـــي بِحُـــبِّهِمُ كَـــانُوا إِذا وُصِـــفَتْ أَشْـــجَانُهُمْ دُونـــي

وَيُصَرِّحُ بِأَنَّهُ لَو أَرادَ أَنْ يَصِفَ أَشواقَهُ لِلمَحبُوبَةِ فَإِنَّهُ لا يَستَطِيعُ ذَلِك، لا عَجْزَاً، وَإِنَّمَـــا لأَنَّهَا تَفُوقُ حُدُودَ الوَصفِ وَتَتَجَاوَزُهَا، وَلا تَستَطِيعُ الكَلِمَاتُ استِيعَابَهَا وَالتَّعبِيرَ عَنهَا:[3]

[أحذّ الكامل]

شَـــوْقي إِلَيْـــكَ مُجَـــاوِزٌ وَصْـــفِي وَظُهورُ وَجْـــدِي فَـــوْقَ مَـــا أُخْفِـــي

وَفِي طُرْفَةٍ ظَرِيفَةٍ استَعْمَلَ الوأواءُ الاستِعَارَةَ لِلْكَشْفِ عَمَّا في نَفْسِهِ مِنْ جَوَىً وَأَشْـــواق وَحَنِين إِلى مَحبُوبَتِهِ، وَصَرَّحَ بِأَنَّهُ إِذَا مَا أَرَادَ تسجيلَ تِلكَ الأَشواقِ عَلَى قِرطَـــاسٍ فَـــإِنَّ ذَلِـــكَ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص6.

[2] المصدر السابق، ص225-226.

[3] المصدر السابق، ص149.

القَرطَاسَ لَنْ يَحْتَمِلَ تِلكَ العَواطِفَ الحارَّةَ والأَشواقَ المُلتَهِبَةَ؛ ولِذَا فَإِنَّهُ –أي القِرطاس– سَيَبدَأُ بالبُكاءِ حُزناً عَلَيهِ، ثُمَّ سَيَحتَرِقُ وَيُصبِحُ رَمَاداً، يقول:[1]

[البسيط]

إنِّي طَلَبْتُ إلى الْقِرْطاسِ يَحْمِلُ لي ... بَعْضَ الَّذي بي إِلَيْكُمْ زَادَنِي قَلَقا
فَظَلَّ يَرْعَدُ في كَفِّي فَأَوْهَمَني ... بِأَنَّهُ لِلَّذي أَهْواهُ قَدْ عَشِقا
أَشْكُو إِلَيْهِ فَيَبْكي حِينَ يَسْمَعُنِي ... مِنْ رَحْمَتي ولَوِ اسْتَنْطَقْتُهُ نَطَقا
حَتّى إِذا عَلِمَ القِرْطاسُ ما كَتَبَتْ ... كَفِّي مِنَ الشَّوْقِ في أَحْشائِهِ احْتَرَقا

وَيُصَرِّحُ بِأَنَّ لَوْعَةَ الحُبِّ فِي قَلْبِهِ مُتَجَدِّدَةٌ مُستَمِرَّةٌ، لا تَنْضَبُ وَلا نِهَايَةَ لَهَا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:[2]

[البسيط]

لِكُلِّ شَيْءٍ نِهاياتٌ تَبيدُ وَما ... لِلَوْعَةِ الحُبِّ في قَلْبي نِهاياتُ

وَالوأواءُ دَائِمُ الشَّكوى مِنَ الحُبِّ وَعَذابِهِ وَنِيرانِه، وَيَظهَرُ ذَلِكَ جَلِيًّا فِي مَقطُوعَةٍ بَدِيعَةٍ لا تَخلُو مِن رُوحِ الفُكاهَةِ، يَتَغَزَّلُ فِيهَا بِمَحبُوبَةٍ أُصيبَت بِدَاءِ الجَرَبِ، فَبَينَمَا هِيَ تَشتَكِي مِن أَلَمِ الحَبِّ الظَّاهِرِ عَلَى جَسَدِها وَحَرِّهِ، كَان الوأواءُ يَشتَكي وَيَتَأَوَّهُ مِن حَرِّ النِّيرانِ المُستَعِرةِ فِي قَلبِهِ بِفِعلِ عِشقِهِ لَهَا، يقول:[3]

[مجزوء الرمل]

يا صُروفَ الدَّهرِ حَسْبي ... أَيُّ ذَنْبٍ كانَ ذَنْبي
طَرَقَتْني نائباتُ الدَّ ... هْرِ في إِعلالِ حبِّي
عِلَّةٌ عَمَّتْ وَخَصَّتْ ... في حَبيبٍ ومُحِبِّ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص170.

[2] المصدر السابق، ص62.

[3] المصدر السابق، ص56–57.

دَبَّ فـــي كَفَّيْـــهِ مَـــا مِـــنْ حُبِّـــــــــهِ دَبَّ بِقَلْبـــــــــي
فهـــو يشـــكو حَـــرَّ حَـــبٍّ واشـــــتكائِي حَـــــرَّ حُـــــبِّ

وَكَي يُظهِرَ الوأواءُ لِلمَعشُوقَةِ الحرقَةَ وَالمَرَارَةَ وَالكَمَدَ الذي أَصَابَهُ مِنَ الحُبّ، فَإِنَّهُ يَطلُبُ مِنهَا أَنْ تَصُبَّ عَلَى جَسَدِهِ المُحتَرِقِ بِنَارِ الجَوَى مَاءً بَارِدَاً، وَأَنْ تَستَمِعَ إِلى صَوتِ الماءِ حـــينَ يُلامِسُ قلبَهُ المُلتَهِب، يَقُول:[1]

[السريع]

يـــا مُنْكِـــراً شـــكوايَ نـــارَ الْهَـــوَى قـــد زدتَنِـــي كربـــاً عَلَـــى كَرْبِـــي
أَفِـــضْ عَلَـــيَّ المـــاءَ أَو فاســـقِني مـــاءً وكـــنْ مِنِّـــي عَلَـــى قُـــرْبِ
تَســـــمع لِلمـــــاءِ نَشيشـــــاً إِذا مـــا وصـــل المـــاءُ إِلـــى قلبـــي

وَلَقَد نَجَحَ الشَّاعِرُ في تَقرِيبِ المَعنى، باستِخدَامِهِ مُفرَدَةَ (نَشيشَاً)؛ لأَنَّها تَكشِفُ عَنِ المَعنَى المُراد مِن حَرفِ الشِّينِ المُكَرَّر، ذَلِكَ أَنَّ نُطقَهُ يُشبِهُ الصَّوتَ النَّاشِئَ عَن وُقُوعِ المَاءِ عَلَى جَسَـدٍ حَارّ.

وَقَدْ نَتَجَ عَن هَذِهِ الأَشواقِ وَالأَحزَانِ المَكبُوتَةِ فِي نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الصُّدُودِ وَالهجرانِ الـــذي تَعَرَّضَ لَهُ ضَعفٌ وَسَقَمٌ وَمَرَضٌ في جِسْمِهِ، حَيثُ كَرَّرَ الوأواءُ هذا المَعنَى فِي كَثِيرٍ مِن أَشعَارِهِ، وَمِن ذَلِكَ قولُهُ:[2]

[الكامل]

يـــا مَـــنْ أَقـــامَ قيـــامتي بصـــدودِهِ الجســـمُ ينحـــل والفُـــؤادُ يـــذوبُ
أَســـقَمْتَنِي فلقيـــتُ مـــنْ طـــولِ الضَّـــنا ما لا يُقاســـي بعضَـــهُ ((أَيُّـــوبُ))

وَقَولُهُ مُجانِساً بَينَ لَفظَتَي (بَليتُ) وَ (بُلِيْتُ)، وَمُستَعملاً عُنصُرَ المُبالَغَةِ وَالتَّهويلِ مُشـــيراً إِلى أَنَّ جِسمَهُ ذَابَ وَهَلَكَ إِلى دَرَجَةِ أَنَّهُ لا يَكَادُ يُرى؛ وَذَلِكَ إِبرازاً لِلمَعنى وَتَقوِيَتِـــهِ وَتَأكِيـــدِهِ، يقول:[3]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص37-38.

[2] المصدر السابق، ص49.

[3] المصدر السابق، ص62.

[الوافر]

بَلِيتُ لأَنَّنِي بِكَ قَدْ بُلِيتُ فَلَسْتُ بِمُنْتَهٍ مِمَّا نُهِيتُ
أُلامُ وَقَدْ أَصَمَّ الْحُبُّ سَمْعِي وَيُرْشِدُنِي الْعَذُولُ وَقَدْ عَمِيتُ
وَأَنْحَلَنِي فَلَوْ إِنْسَانُ عَيْنِي تَضَمَّنَ جَفْنُهُ جِسْمِي خَفِيتُ

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذلِكَ، فَإِنَّهُ يُقَرِّرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنهُ –بَعدَ ذَوَبَانِ جَسَدِهِ وَهَلاكِهِ– سِوى اسمِهِ الَّذي يَتَرَدَّدُ ذِكرُهُ بَينَ النَّاس، يقول فِي ذَلِكَ:[1]

[السريع]

يا حَاكِماً قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ وَهْوَ إِذَا يُنْصِفُنِي خَصْمِي
تَرَكْتَ جِسْمِي عَرَضاً قَائِماً لَمْ يَبْقَ لِي مِنْهُ سِوى اسْمِي

وَتَجدُرُ الإِشَارَةُ إِلى أَنَّ الوأواءَ، وَعَلَى الرّغمِ مِن مُعَانَاتِهِ وَحرقَتِهِ وَسَقَمِهِ وَأَرَقِهِ بِسَبَبِ فِراقِ المَحبُوبَةِ وَهجرَانِهَا وَبَيْنِهَا، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى لَهَا كُلَّ خَيرٍ، وَيَدعُو لَهَا بِدَوامِ الفَرَحِ وَالسَّعَادَةِ وَالسُّرُور، وَحينَ عَلِمَ بِأَنَّ سَقَمَهُ وَحُزنَهُ يُفرِحُ المَحبُوبَةَ، فَإِنَّهُ زَادَ مِن ذَلِكَ السَّقَمِ وَالمَرَض، لَيسَ لِشَيءٍ إِلا لِتَزدادَ المَحبُوبَةُ فَرَحاً وَسَعَادَةً، وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى صِدقِ الوأواءِ وَإِخلاصِهِ فِي عِشقِهِ وَهِيامِهِ، وَيَظهَرُ ذَلِكَ جَلِيّاً مِن قَولِهِ:[2]

[البسيط]

لا أَرَّقَ اللهُ عَيْنَيْ مَنْ يُؤَرِّقُنِي وَلا مَلا مثل قلبي قَلْبَهُ بُرَحَا
قَدْ سَرَّنِي أَنَّهُمْ قَدْ سَرَّهُمْ سَقَمِي فَازْدَدْتُ سُقْماً لِيَزْدادوا بِهِ فَرَحَا

وَكَرَّرَ شَيئاً مِمَّا سَبَقَ فِي قَولِهِ: :[3]

[البسيط]

قَدْ سَرَّنِي أَنَّهُمْ قَدْ سَرَّهُمْ سَقَمِي فَازْدَدْتُ كَيْمَا يُسَرُّوا بِالضَّنى سَقَما

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص211.

[2] المصدر السابق، ص69.

[3] المصدر السابق، ص200.

وَيَتَبيَّنُ لِمَن يُمعِنُ النَّظَرَ فِي الأَبياتِ السَّابِقَةِ جَميعِهَا، أَنَّهَا مُفعَمَةٌ بالحُبِّ وَالأَلَمِ، مَليئَةٌ بالمَعَانِي الوجدَانِيَّةِ الحَزِينَةِ الَّتي تَدُورُ بَينَ كُلِّ عَاشِقَين بَينَهُمَا صُدودٌ وَهجرَان، وَيُلاحَظُ أَنَّهَا تَشتَمِلُ عَلَى الكَثِيرِ مِنَ المُفرَدَاتِ وَالتَّراكِيبِ الَّتي يُستَشَفُّ مِنهَا صِدق عَاطِفَةِ الشَّاعِرِ الوأواءِ وَإِخلاصِهَا، وَالتِهَاب مَشاعِرِهِ في الحُبّ، كَمَا أَنَّهُ يُستَشَفُّ منها ما أَصَابَهُ مِن حُزْنٍ وَهزَالٍ وَسَقَمٍ عَظِيمٍ كَادَ يُودِي بِحَيَاتِهِ فِي سَبيلِ ذَلِكَ الحُبِّ، وَمِنهَا: ينحَلْ، وَيذُوب، وَأَسقَمتَنِي، وَالضَّنا، وَيُقاسِي، وَالجَوى، وَالشَّوق، وَبَلِيْتُ، وَأَنحَلَنِي، وَنار الهوى، وَاشتَعَلَت، وَفَجَعَ، وَالبَيْن، وَذابَ، وَنَشِيش.

ب: البُكَاءُ وَذَرْفُ الدُّمُوعِ الغِزار:

لَقَد كانَ الوأواءُ عَاشِقَاً مُتَيَّماً لا يَجِدُ الحَياةَ إِلَّا بِقُربِ مَنْ يُحِبُّ، وَلا يَشعُرُ بالسَّعادَةِ وَالطّمأنينَةِ إِلَّا بِوِصالِهِ، فَإِذا لَمْ يَنَلِ الوِصالَ أَصابَهُ المَرَضُ وَالسَّقَمُ، وَاحتَرَقَ قَلبُهُ، وَذَابَ فُؤادُهُ، وَنَحَلَ جِسمُهُ، وَطَفِقَ يَبكِي بِدَمْعٍ غَزيرٍ مِدرارٍ حُزناً وَأَسىً[1]، وَكَثيراً ما أَعلَنَ عَن هَذِهِ الحالَةِ في شِعرِهِ، وَمِن ذلِكَ قولُهُ:[2]

[السريع]

مَضَى الَّذي أَودَعَ قَلبي الْجَوى فَدَمْعَتي مِنْ حَسْرَتي قَاطِرَه

وَقَولُهُ مُستَحضِراً شَخصِيَّةَ النَّبِيِّ أَيوب عَلَيهِ السَّلام، وَمَا عاناهُ خِلالَ دَعوَتِهِ لِقَومِهِ مِن أَسَىً وَضَنىً وَسَقَم، حَيْثُ جَعَلَ مُعَاناتَهُ بِسَبَبِ فِراقِ إِلفِهِ مِثلَ مُعَاناةِ أَيوب عَلَيهِ السَّلام، كَمَا أَنَّهُ استَحضَرَ شَخصِيَّةَ النَّبِيِّ يعقوبَ عَلَيهِ السَّلام وَبُكاءَهُ عَلَى فِراقِ ابنِهِ النَّبِيّ يوسُف عَلَيهِ السَّلام[3]، حَيثُ جَعَلَ الشَّاعِرُ بُكاءَهُ عَلَى فِراقِ مَن يَعشَق كَبُكاءِ يعقوبَ عَلَيهِ السَّلام، وَذَلِكَ بِجامِعِ اشتِراكِهِمَا في غَزَارَةِ الدُّموعِ وَحَرارَتِهَا، يقول:[4]

---

[1] يُنظر: الوأواء: **ديوانه**، مقدمة المُحقق، ص27.

[2] المصدر السابق، ص106.

[3] للاستزادة: يُنظر: بيومي، محمد: **قصص القرآن دروس وعبر للدعوة والدعاة**، ط1، المنصورة: مكتبة الإيمان، 2006، ص189-212.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص49.

[الكامل]

يَـــا مَـــن أَقـــامَ قِيـــامَتي بصـــدودِهِ الجِســـمُ ينحـــل والفـــؤادُ يـــذوبُ
أَسْـقَمتَني فلقيـتُ مِـنْ طـولِ الضَّـنا مـــا لا يُقاســـي بعضَـــهُ ((أَيُّـــوبُ))
وبكيـــتُ مـــن جَـــزَعٍ عَلَيـــكَ بِحُرقَـــةٍ أَسَفاً عليكَ كَمـــا بَكـــى ((يَعْقُـــوبُ))

وَدُموعُ الوأواءِ تَنسابُ عَلَى وَجنَتَيهِ إِذا رَحَلَت عَنهُ المَحبُوبَةُ، أَو فَارَقَتهُ، وَقَد عَبَّرَ عـــن ذَلِكَ في بَعضِ أَشعارِهِ، وَمِنها قولُهُ:[1]

[المتقارب]

حَقِيـــــقٌ لِعَيْنَـــــيَّ أَنْ تَـــــدْمَعَا لِحَـــــرِّ الفِـــــراقِ وَأَنْ تَجْزَعـــــا
وَأَلْطِـــمُ خَـــدَّيَّ حُزْنَـــاً عَلَيْـــهِ وَأَبْكِـــي عَلَـــى الإِلْـــفِ إِذْ وَدَّعَـــا

وَبِمُجَرَّدِ أَن يَتَذَكَّر الشَّاعِرُ المَحبُوبَةَ البَعيدَةَ عَنهُ، فَإِنَّـــهُ يَـــذْرِفُ عَلَيْهَـــا دَمعـــاً غَزيـــراً مِدراراً:[2]

[أحذّ الكامل]

مَـــا دارَ ذِكْـــرٌ مِنْـــكَ فـــي خَلَـــدي إِلا طَرَفْـــــتُ بِـــــدمْعَتي طَرْفـــــي

وَهُوَ يَتَعَجَّبُ مِن أَنَّهُ اكتَفَى بالبُكَاءِ عَلَى فِراقِ الأحبابِ، وَلَمْ تَخرُجْ روحُهُ بِسَبَبِهِ، يقول:[3]

[الكامل]

سَاروا وَمَـــا عَـــاجوا عليـــكَ بنظـــرَةٍ اللهُ يحفـــظُ مَـــنْ جَفـــاك وَيَصـــحبُ
لـــيسَ التَّعجُّـــبُ مـــن بكـــاكَ لفقـــدِهِمْ لكـــنْ بقـــاكَ مَـــعَ التَّفـــرُّقِ أَعجَـــبُ

وَإِذا رَأَى الوأواءُ أَطلالَ المحبوبَةِ وَآثارَ دِيارِهَا بَعْدَ الرَّحيلِ عَنهَا، أَو مَرَّ بِهَا فَإِنَّهُ يَبكِـــي بِحُرقَةٍ وَمَرارَة، يقول:[4]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص141.

[2] المصدر السابق، ص150.

[3] المصدر السابق، ص43-44.

[4] المصدر السابق، ص16-17.

[الطويل]

أَمَغْنى الهَـوى غالَتْـكَ أَيْـدي النَّوائِـبِ فأَصْـبَحْتَ مَغْنَـىً لِلصَّـبا وَالْجَنائِـبِ[1]
إِذا أَبْصَـرَتْكَ الْعَـيْنُ جـادَتْ بِمُـذْهَبٍ عَلَى مَـذْهَبٍ فـي الْخَـدِّ بَـيْنَ المَـذَاهِبِ

والوأواءُ الشَّاعِرُ الحَسَّاسُ المُرهَفُ مَهمَا اجتَهَدَ في أَنْ يُخفيَ عِشقَهُ وَحُبَّهُ وَاشتِياقَهُ لِمَـنْ يَهوى فَإِنَّهُ يَفشَلُ؛ لأنَّ دُمُوعَهُ تَفضَحُهُ وَتَكشِفُ عَنْ مَكنوناتِ نَفسِهِ وَمَا يجولُ فيها مِنْ مَشـاعِرَ وَأَحاسيس، يقول:[2]

[البسيط]

إِنِّـي لأَخْفـي اشـتياقي ،وَهْـوَ مُشْـتَهِرٌ، مِـنْ أَيـنَ يَخفـى، ودَمْعـي صَـاحِبُ الخَبَـرِ؟!

وَيَقُول:[3]

[البسيط]

كَتَمْتُ مـا بـي فَنَمَّتْـهُ الـدُّمُوعُ وكـمْ حَذِرْتُ منها ومـا وُقِّيـتُ مِـنْ حَـذَرِي

وَلِكَثرَةِ دُمُوعِهِ وَغَزارَتِها وَمُعاناتِهِ بِسَبَبِها؛ فَإِنَّهُ يَطلُبُ مِنْ مَحبوبَتِهِ أَن تُسَاعِدَهُ وَتُعينَـه على إِيقافِ انحِدارِها مِن عَينَيه، وهذا لا يَتِمُّ إِلَّا بِوِصالِهَا لَهُ وَعَودَتِهَا إِليه، يقول:[4]

[الطويل]

وَصَـلْتُ أَنينـي فـي الهَـوى بِحَنينـي وَشَـكْوايَ مَـا أَلْقـى بِضَـعْفٍ يَقينـي
وَبَيَّضْـتُ بـالْهَجْرِ الطَّويـلِ نَـوَاظِرِي وَوَرَّدْتُ مَـاءَ الـدَّمْعِ بَـيْنَ جُفُـوني
فَيَا مُلْزِمـي ذَنْـبَ الـدُّمُوعِ الَّتـي جَـرَتْ فَأَبْـدَتْ مِـنَ الأَسْـرارِ كـلَّ مَصُـونِ

---

[1] النَّوائب: جمع نائبة، وهي ما يَنوبُ الإِنسانَ، أي ما ينزل به من المُهمَّات والحَوادث والمصائِب. ابن منظـور: **لسـان العـرب**، مادة (نوب). الجنائب: جمع جنوب، وهي ريح تهبُّ من جهة الجنوب. مصطفى، إبـراهيم وآخـرون: **المعجـم الوسيط**، مادة (جَنَبَ).

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص98.

[3] المصدر السابق، ص99.

[4] المصدر السابق، ص235-236.

أَعِنِّـــي عَلَـــى تَأْدِيـــبِ دَمْعِـــي فَإِنَّـــهُ يَتُـــوبُ إِذا مـــا كُنْـــتَ أَنْـــتَ مُعِينِـــي

وَإِذا كانتِ الدُّموعُ تَنحَدِرُ مِن عَينَيِ الوأواءِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ وَهَذِهِ الغَزارَة، فَمِنَ الطَّبيعِيِّ أَنْ يَتَوَقَّفَ عِندَهَا، وَهُوَ الشَّاعِرُ الحاذِقُ المُفَلِّق، وَيَصِفَهَا وَصفاً دَقيقاً، وَهَذا مَا حَدَثَ بالفِعل، فَهَا هُوَ ذَا يُقدِّمُ لَهَا صُورةً مُستمدَّةً مِن عَالَمِ الطَّبيعَةِ وَوُرودِهَا وَأَزهارِهَا، حَيثُ شَبَّهَ الدُّموعَ التي تَتَنَـــاثَرُ عَلَى خَدِّهِ بِحُبَيبَاتِ مَاءِ النَّدى التي تَتَساقَطُ عَلَى زَهْرِ النّسرينِ الأَبيض، يقول:[1]

[البسيط]

كَأَنَّ دَمْعِـــي عَلَـــى خَـــدِّي وَصُـــفْرَتَهُ حَبَابُ دَمْعِ النَّـــدى مِـــنْ حَـــوْلِ نِسْـــرِيْنِ

وَحُزناً عَلَى هَجْرِ المَحبوبَةِ لِلوأواءِ انحَدَرَتِ الدُّموعُ، التي صَوَّرَهَا بِحُبَيبَاتِ اللُّؤلُؤ، مِـــن عَينَيهِ انحداراً مُتَتابِعاً لا انقطاعَ فيهِ، وَجَعَلَ لَونَهَا أَحمَر؛ لأنَّ مَصدَرَهَا دَمُهُ وَقَلبُهُ، كِنَايَـــةً عَـــن حَرارَتِها وَعَنْ خُروجِهَا مِن أَعماقِ نَفْسِهِ وَوِجدانِهِ، لا مِنْ أَجفانِهِ وَحَسْب، وَقَد عَبَّرَ عَن ذلِكَ في قولِهِ:[2]

[مُخلّع البسيط]

يَـــا عاتِبـــاً لَـــي بِغَيْـــرِ عَتْـــبِ وَهَـــاجِراً لَـــي بِغَيْـــرِ ذَنْـــبِ
لَـــولاكَ لَـــمْ تَجْـــرِ لَـــي دُمُـــوعٌ سَـــكْباً عَلَـــى الخَـــدِّ فَـــوقَ سَـــكْبِ
لا تُنْكِـــرَن إِنْ جَـــرَتْ بِـــدُرٍّ مُنْتَثِـــرٍ لَـــمْ يُشَـــنْ بِثَقْـــبِ
صَـــيَّرَها فَـــي الجُفُـــونِ حُمْـــراً تَصـــعيدُها مِـــنْ دَمِـــي وَقَلبِـــي

وَكَرَّرَ المعنى الأَخيرَ في قولِهِ مُخاطِباً المحبوبة:[3]

[البسيط]

عَنَّتْ يَدُ الـدَّمْعِ فـي خَـدِّي عِنـانَ دَمٍ كَأَنَّـــهُ مِـــنْ أَديـــمِ الْقَلْـــبِ مَقْـــدُودُ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص226.

[2] المصدر السابق، ص55.

[3] المصدر السابق، ص71.

وَفِي لَحظَةِ فِراقٍ لاحَظَ الشَّاعِرُ دُموعَ مَعشوقَتِهِ وَهِيَ تَسيلُ عَلَى وَجنَتَيهـــا، فَصَـــوَّرَهَا باللُّؤلُؤ، وَصَوَّرَ وَجنَتَيهَا بالياقوتِ، وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يَصِفَ دُمُوعَهُ، حَيْثُ جَعَلَهَا كالحِجَارَةِ الكَرِيمَـــةِ الحَمراءِ وَذَلِكَ بِجَامِعِ اللَّون، وَصَوَّرَ خَدَّهُ الأَصفَرَ اللَّونِ بالذَّهَبِ، يقول:[1]

[البسيط]

أَجْرى دُمُوعَـــاً كَمِثْـــلِ الـــدُّرِّ أَهْمَلَهـــا مِنْ نَاظِرَيْـــهِ عَلَـــى يـــاقُوتِ وَجْنَتِـــهِ
فَحَدَّرَتْ مُقْلَتَـــا عَيْنِـــي العَقِيـــقَ عَلَـــى خَـــدٍّ حكـــى ذَهَبـــاً مِنْـــهُ بِصُـــفْرَتِهِ

وَفِي صورَةٍ أُخرى اعتَمَدَ في وَصفِ دُمُوعِهِ الشَّفَّافَةِ اللَّامِعَةِ التي تَنحَدِرُ عَلَى وَجنَتَيـــهِ البُنِّيَّتين عَلَى عُنصُرِ اللَّونِ، حَيْثُ صَوَّرَهَا بِمَادَّةِ الفِضَّةِ المَوضُوعَةِ عَلَى أَرضٍ مَصـــنوعَةٍ مِـــنَ الذَّهَبِ الدَّاكِنِ اللَّون، وَذَلِكَ في قولِهِ مُخاطِباً مَن يَعشَق:[2]

[المتقارب]

وَحَـــقِّ جُفُونِـــكَ فَهْـــيَ التَّـــي إِذا مـــا حَلَفْـــتُ بِهـــا أَصْـــدُقُ
لَقَدْ فَـــتَحَ الشَّـــوْقُ لِـــي مِـــنْ هَـــوَا كَ بَابـــاً مِـــنَ الشَّـــوْقِ لا يُغْلَـــقُ
كـــأَنَّ دُمُـــوعي عَلَـــى وَجْنَتِـــي لُجَـــيْنٌ عَلَـــى ذَهَـــبٍ مُحْـــرَقُ

وَفِي مَقطوعَةٍ أُخرى عَاوَدَ تَصويرَ حُبَيبَاتِ ماءِ الدَّمعِ المُتَنَاثِرَةِ عَلَى خَدِّهِ بـــاللُّؤلُؤِ، ثُـــمَّ استَعمَلَ أُسلوبَ التَّقسيمِ عَلَى لِسانِ مَحبوبَتِهِ، فَجَعَلَ الدَّمعَ الحقيقِيَّ الذي يَذرِفُهُ الإِنسانُ بِصِدقٍ مِن أَعماقِهِ ضَرْبَينِ اثنَين، هُمَا: دَمْعُ الغَريبِ المُهاجِرِ عَنْ وَطَنِهِ وَأَهلِهِ وَدِيارِهِ، وَدَمْعُ المَهجُورِ الذي فَارَقَهُ إِلفُهُ، وَوَصَفَ دَمعَهَا عَلَى فِراقِهِ مُستَعْمِلاً تَصويراً جَمِيلاً، وَمُعتَمِداً عَلَى الحِجَارَةِ الكريمَـــةِ المُلَوَّنَة، حَيْثُ صَوَّرَهُ بالعَقِيقِ الأَحمَرِ اللَّونِ المُذابِ في البلَّورِ الشَّفَّافِ اللَّامِع، يقول:[3]

[الخفيف]

لَسْتُ أَنْســـى مَقالَهَـــا لِـــي، ودمعـــي فَـــوقَ خَـــدِّي كَـــاللُّؤْلُؤِ الْمَنْثُـــورِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص63.

[2] المصدر السابق، ص168–169.

[3] المصدر السابق، ص109.

كُـــلُّ دَمْـــعٍ فَبِـــالتَّكَلُّفِ يجـــري غيـــرَ دَمْـــعِ الغَريـــبِ وَالْمَهْجُـــورِ

وَرَّدَ البَـــينُ دَمْـــعَ عينـــي فَأَضْـــحى كَعَقيـــقٍ أُذيـــبَ فـــي بِلَّـــورِ

وَبِهَذا فَإِنَّ الوأواءَ لَمْ يَصِفْ دُمُوعَهُ حَسْب، وَإِنَّما وَصَفَ دَمْعَ مَحبوبَتِهِ، وَهَا هُوَ ذَا يَرسُمُ صُورَةً جديدَةً لَهَا، يُصَوِّرُهَا فيهَا بِعِقدٍ مِنَ اللُّؤلُؤِ المُتناثِرَةِ حُبَيباتُهُ عَلَى وَجنَتَيهَا، وَفـــي صـــورَةٍ بَديعَةٍ صَوَّرَ بَقَايا الكُحلِ الّذي يُزيِّنُ عَينَيهَا، وَآثارَهُ عَلَى وَجهِهَا نَتيجَةَ ذَوَبانِـــهِ بِفِعـــلِ الـــدَّموع، صَوَّرَهَا بِبَقايا سَطرٍ قَديمٍ مَكتوبٍ عَلَى وَرَقَةٍ بالِيَةٍ، حَيثُ لا تَظْهَرُ مِنهُ إِلا بَعضُ الآثارِ البَسيطَةِ، وَذَلِكَ في قولِهِ:[1]

[الخفيف]

جَعَلَـــتْ تَشـــتَكي الفِـــراقَ وَفـــي أَجْ فَانِهـــا عِقْـــدُ لؤلـــؤٍ مَنثـــورِ

وَكـــأَنَّ الكُحْـــلَ السَّـــحيقَ مَـــعَ الـــدَّمْ عِ عَلَـــى خَـــدِّها بَقايـــا سُـــطُورِ

وَكَثيراً ما يَلجَأُ الوأواءُ في وَصفِهِ لِلدُّموعِ إِلى رَسْمِ الصُّورِ التي تَعتَمِدُ عَلَـــى عُنصُـــرِ المُبالَغَةِ وَالتَّهويلِ؛ إِبرازاً لِغَزارَةِ دُمُوعِهِ وَكَثرَتِهَا، وَمِن ذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ دُمُوعَهُ بَحراً وَاسِعاً مُمتَلِئاً بالماء، وَجَعَلَ جَفنَ عَينَيهِ إِنساناً حَاذِقاً لِلسِّباحَةِ التي لَولاها لَمَاتَ غَريقاً في ذَلِكَ البَحرِ، يقول:[2]

[المنسرح]

إِنْســـانُ عَـــيْنٍ لَـــوْلا ســـبَاحَتُهُ مـــاتَ غَرِيقـــاً بِبَحْـــرِ دَمْعَتِـــهِ

وَدُموعُ الوأواءِ غَزيرَةٌ مِدرارَةٌ إِلى الدَّرَجَةِ التي يُمكِنُ لَهَا أَنْ تَملأَ نَهرَ النِّيـــلِ العَظـــيم، وَتَجعَلَهُ يَفيضُ بالماء، فَقَد وَصَفَ في بَعْضِ أَشعارِهِ هَذا النَّهرَ بِأَنَّهُ مُمتَلِئٌ بالماءِ، وَيُعَلِّلُ ذَلِـــكَ لا بِكَثرَةِ المَطَرِ المُنهمِرِ مِنَ السَّماءِ كَمَا يَتَبادَرُ إِلى ذِهْنِ الإِنسانِ لأَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَإِنَّما بِكَثرَةِ الـــدُّمُوعِ التي تَنهَمِرُ مِن عَيْنَيْهِ، وَتَجَمُّعِها في ذَاكَ النَّهر، يقول:[3]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص111.

[2] المصدر السابق، ص64.

[3] المصدر السابق، ص274.

[مجزوء الرمل]

مَـــا تَـــرى النِّيـــلَ عَلَيْـــهِ حَبَكَـــاً مِثْـــلَ الـــدُّرُوعِ
إِنَّمـــــا زَادَ لأَنِّـــــي فيـــهِ أَجْرَيْـــتُ دُمُـــوعي

وَيَستَذكِرُ الوأواءُ مَعشُوقَهُ في إِحدى اللَّيالِي المُظلِمَةِ الشَّديدَةِ السَّواد، فَيَبدَأُ بالبُكَاءِ شَـوقَاً وَحَنِيناً، وَيَذرِفُ دَمعَاً مِدراراً فِضِّيَّ اللَّونِ حَتَّى كَادَ اللَّيلُ الأَسودُ، لِكَثرَةِ دُمُوعِهِ وَلَمَعَانِهَا، يَتَحَوَّلُ إِلى نَهَارٍ مُشرِقٍ، وفي ذَلِكَ يقول:[1]

[الطويل]

رَعَـى اللهُ لَـيْلاً ضَـلَّ عَنْـهُ صَـبَاحُهُ وَطَيفُـــكَ فيـــهِ لا يُفَـــارِقُ مَضْـــجَعِي
وَمَا زِلْـتُ أَبْكِـي فِـي دُجَـاهُ صَـبَابَةً مِنَ الْوَجْدِ حَتـى ابْـيَضَّ مِـنْ فَـيْضِ أَدْمُعِـي

وَفِي مُبَالَغَةٍ جَدِيدَةٍ، استَعمَلَ الوأواءُ فِي صِياغَتِهَا أُسلوبَ الشَّرط، وَاختارَ مِنْ أَدَواتِهِ مَـا يُفيدُ امتِنَاعَ الجَوابِ لامتِنَاعِ الشَّرط أَلا وَهُوَ الحَرْف "لو"، قَالَ لَوْ أَنَّ العُشْبَ وَالنَّباتَ يَنبُتُ في خَدِّ الإِنسانِ، وَيُسقى بِمَاءِ الدَّمْعِ لَتَكَوَّنَتْ في خَدَّيهِ، أَي الوأواء، لِغَزَارَةِ دُمُوعِهِ مَزارِعُ مِنَ النَّباتَـاتِ وَالأَزهَارِ المُتعَدِّدَةِ الأَلوانِ وَالأَشكال، يقول:[2]

[مُخلّع البسيط]

كَـــمْ زَفَـــرات وكَـــم دُمُـــوع هـــذا لَعَمْـــري هُـــوَ القُطُـــوعُ
لَـــوْ أَعْشَـــبَ الْخَـــدُّ مِـــنْ دُمُـــوع لَكَـــانَ فـــي خَـــدِّي الرَّبيـــعُ

وَفِي مَقطُوعَةٍ أُخرى تَحَدَّثَ عَنْ وِصَالِ المَحبُوبَةِ لَهُ بَعْدَ فَتـرَةٍ طَوِيلَـةٍ مِـنَ القَطِيعَـةِ وَالفِراق، فَحِينَمَا عَلِمَ بِقُدُومِهَا بَكَى بُكَاءً شَدِيداً، وَذَرَفَ دَمعَاً غَزِيراً، وَقَدْ صَوَّرَ تِلكَ الدُّموعَ حَيْثُ جَعَلَ عَينَيهِ مَصدَرَ الدَّمْعِ نَبْعَ مَاءٍ لا تَنضبُ مِياهُهُ وَلا تَنتَهِي، وَلِمُضاعَفَةِ المُبالَغَةِ التي يَسعَى إِلى إِظهارِهَا، يَقولُ إِنَّهُ إِذا مَا نُصِبَتْ رَحَىً بِجَانِبِ عَينَيهِ، وَصُرِّفَتْ دُمُوعُهُ إِلَيهَا، لَدَارَتْ تِلكَ الرَّحَى عَلى الرّغمِ مِن ثِقَلِ وَزنِهَا، يقول:[3]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص141-142.
[2] المصدر السابق، ص138.
[3] المصدر السابق، ص110-111.

[الوافر]

أَتــانِي زائِــراً مَــنْ كــانَ يُبــدي ... لِــيَ الهَجْــرَ الطويــلَ وَلا يَــزورُ
فَقــالَ النَّــاسُ لمَّــا أَبصــرُوهُ: ... لِيْهنِــكَ زارَكَ الْبَــدْرُ المُنيــرُ
فقلتُ لَهُــمْ، وَدَمْــعُ العَــيْنِ يجــري ... عَلَــى خَــدِّي لَــهُ دُرٌّ نَثيــرُ:
متى أَرْعــى ريــاضَ الحُسْــنِ منْــهُ ... وَعَيْنِــي قَــدْ تَضَــمَّنَهَا غَــديرُ !
وَلَو نَصَــبُوا رَحــى بِــإِزاءِ دَمعــي ... لَكانَــتْ مِــنْ تَحَــدُّرِهِ تَــدورُ !

وَلِكَثْرَةِ بُكاءِ الوأواءِ عِنْدَ رُؤيَةِ المَعشُوقَة، فَإِنَّهُ لا يَستَطِيعُ إِغماضَ عَينَيــهِ؛ لأَنَّ جُفُونَــهُ تَتَقَلَّصُ وَيَصْغُرُ حَجْمُهَا، بِسَبَبِ مَا لَقِيَتهُ مِنْ تَعَبٍ وَإِجهاد، يقولُ في هذا المعنى:[1]

[مجزوء الكامل]

فَــــــدَمَوعَ عَيْنــــــي إِذْ رَأَتْ ... هُ تَجُــــودُ بِالــــدَّمْعِ المَصُــــونِ
مَــــا تَطْعَــــمُ الإِغْمَــــاضَ مِــــنْ ... قِصَــــرِ الجُفُــــونِ عَــــنِ الجُفُــــونِ

يُستَخلَصُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الوأواءَ شاعِرٌ مُرهَفٌ حَسَّاس، وَعَاشِقٌ مُتَيَّمٌ بَكَى عَلَى فِراقِ مَــنْ يَعشَق، وَعَلَى صُدُودِهِ وَهِجرانِه، فَذَرَفَ دَمْعَاً غَزِيراً، فَوَصَفَهُ، وَاعتَمَدَ فِي وَصْفِهِ لَهُ، في مُعظَــمِ الأَحيانِ، عَلَى الصُّورَةِ اللَّونيَّةِ التي استَمَدَّهَا مِنَ بَعضِ الحِجَارَةِ الكَرِيمَةِ وَالمَعَادِنِ الثَّمِينَةِ كَاللُّؤلُؤ، وَالدُّرِّ، وَالياقوتِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّة، وَمِن بَعْضِ أَدَواتِ الزِّينَةِ كَالكُحلِ، وَالكافور، وَفَضْلاً عَــنْ ذَلِكَ فَقَد اعتَمَدَ في تَصويرِهَا عَلَى عُنصُرِ المُبَالَغَةِ وَالتَّهويلِ اعتِمَاداً كَبيراً؛ رَغبَةً فــي إِظهــارِ كَثرَتِهَا وَغَزَارَتِهَا.

ج: تَصويرُ طُولِ لَيلِه، وَمَا يُصيبُهُ فِيهِ مِن أَرَقٍ وَقَلَقٍ وَسُهاد:

من الوسائل التي استعملها الشاعر الوأواء للتَّعبيرِ عَن الأَلَمِ والمُكابَدَةِ والشَّــوقِ الــذي يُعانِيه، وَيَكتَوِي بِنَارِهِ نَتيجَةَ فِراقِ مَحبُوبَتِهِ وَصُدُودِهَا وَهِجرَانِهَا، وَصفُ اللَّيلِ، والتَّركيزُ عَلَــى

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص234.

إبرازِ طُولِ سَاعَاتِهِ وَامتِدَادِهَا تَركِيزَاً كَبِيرَاً، حَتَّى يَظهَرَ وَكَأَنَّهُ لَيسَ لَهُ نِهَاية، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِن قَولِهِ:[1]

[البسيط]

أَمـا لِتَطْويـلِ هـذا اللَّيْـلِ تقصـيرُ مِنْ شَفَّهُ الشَّـوْقُ فـي شـكواهُ مَعـذورُ
بـانَ الحَبيـبُ فَإلمـامي بِـهِ لَمَـمٌ بعـدَ البِعـادِ وزَوْراتـي لَـهُ زُورُ

وعبَّر عَنْ هذِهِ الفكرةِ في العديدِ مِنَ الصُّوَرِ الدَّالّة، وَقَد لَجَأَ إلى الغُلُوِّ؛ لِيُظهِرَ المُعانـاةَ والمُكابَدَةَ والحُزنَ الذي يُعانِيهِ، وَمِنْ ذلكَ أَنَّهُ جَعَلَ اللَّيلَ –لِشدَّة طولِ ساعاتِهِ وامتـدادِهَا– شـيئاً ضائِعاً ضالّاً لا يتمكَّنُ صاحِبُهُ، أيْ الصَّباح، مِنَ العُثورِ عَلَيهِ، ثُمَّ يُصَوِّرُ بُكَاءَهُ عَلى المَحبُوبَـة، فَهُوَ لِكَثرَةِ الدُّموعِ التي انحَدَرَتْ مِنْ عَينَيهِ، تحوَّلَ ظَلامُ اللَّيلِ الأَسود إلى بَياضٍ ناصِعٍ، وَفـي هذا ما يكشِفُ عَنْ نفسيَّةِ الوأواءِ المُدمَّرة، وحالَةِ الشَّوقِ والحنينِ والأَرَقِ التي كانَ يعيشُهَا عِنـدَ نَظْمِ هذِهِ الأَبيات، يَقُول:[2]

[الطويل]

رَعى اللّهُ لَـيْلاً ضَـلَّ عَنْـهُ صَـبَاحُهُ وَطَيْفُـكَ فيـهِ لا يُفَـارِقُ مَضْـجَعِي
وَلَمْ أَرَ مِثْلي غـارَ مِـنْ طُـولِ لَيْلِـهِ عَلَيْـهِ كـأَنَّ اللَّيْـلَ يَعْشَـقُهُ مَعِـي
وَما زِلْتُ أَبْكـي فـي دُجَـاهُ صَـبَابَةً مِنَ الوَجْـدِ حَتـى ابـيَضَّ مِـنْ فَـيْضِ أَدْمُعـي

ويلجأُ الوأواءُ إلى تكرارِ شَيءٍ مِنَ الصُّورَةِ السَّابِقَة، وَمِن ذَلِكَ قولُهُ:[3]

[الكامل]

فلـرُبَّ لَيْـلٍ ضَـلَّ عنـهُ صَـباحُهُ فَكَأَنَّـه بِـك خطـرةُ المتفكِّـرِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص112.
[2] المصدر السابق، ص141–142.
[3] المصدر السابق، ص108.

وفي مَوضعٍ آخرَ، شَبَّهَ ليلَهُ بِلَيلِ النِّساءِ اللَّواتي يَندُبنَ أَبنــاءَهنَّ بعــدَ فَقــدِهِم، بِجــامِعِ الطُّولِ وشِدَّةِ المُعاناةِ، حيثُ لا يَعرِفُ الإِنسانُ فيهِ شرقَهُ مِن غَربــهِ ولا شــماله مِــنْ جَنوبِــهِ، يقول:[1]

[الطويل]

وليــــلٍ كلَيْــــلِ الثَّــــاكِلاتِ لَبِســــتُهُ مشــــارقُهُ لا تَهْتَــــدي للمغــــاربِ

وفي صورةٍ جديدةٍ مُعبّرةٍ دالَّة على طولِ لَيلِهِ، يصوِّرُهُ بغــرابٍ أســودَ لَــفَّ الأَرضَ بجناحَيْهِ واحتَضنَها، فَأَصْبَحَت سوداءَ مُظلِمَةً، لا يُرى فيها النُّور، وَبِهذا أَيقَنَ أَنَّ الصَّــباحَ لَــن يَنبَلِجَ، وأَنَّ اللَّيلَ لَنْ ينتهي، يقول:[2]

[مُخلَّع البسيط]

أَطــــالَ ليــــلَ الصُّــــدودِ حتّــــى يَئِسْــــتُ مِــــنْ غُــــرَّةِ الصَّــــباحِ
كأنَّــــــهُ إِذا دَجــــــا غُــــــدافٌ قَــــدْ حَضَــــنَ الأَرْضَ بالجَنــــاحِ[3]

ويبالِغُ في تصويرِ ليلِهِ الطَّويلِ المُمتَدّ، فَيَشعُرُ بأَنَّهُ لا حدودَ لَهُ ولا نهاية، وَقَد عَبَّرَ عــن ذلكَ في قَولِهِ:[4]

[الطويل]

وليلٍ كَفِكْــري فــي صُــدودِ مُعَــذِّبي وإِلا كأَنْفاســي عليــهِ مِــنَ الْوَجْــدِ
وإِلا كَعُمْــرِ الْهجــرِ مِنْــهُ فَإِنَّــهُ إِذا قِسْــتَهُ بالْوَصْــفِ كــانَ بِــلا حَــدِّ

واللَّيل عندَهُ يُشبِهُ نَفَسَ العاشِقِ في طولِهِ، بَلْ هُوَ أَطوَلُ منهُ، يقول:[5]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص18.

[2] المصدر السابق، ص69.

[3] الغُداف: هو الغُراب، وخَصَّ بعضهم به غُراب القيظ الضَّخم الوافِرِ الجناحَين، والجمع غُدْفان. ابــن منظــور: **لســان العرب**، مادة (غدف).

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص87.

[5] المصدر السابق، ص262.

[الخفيف]

رُبَّ لَيْـــلٍ أَمَـــدُّ مِـــنْ نَفَـــسِ العَـــا شِـــقِ طُـــولاً قَطَعْتُـــهُ بِانْتِحـــابِ

وصوَّر الوأواءُ لَحَظاتِ اللَّيلِ المُمتَدِّ، المُتَجدِّدة كواكبُهُ ونومُهُ بلحظاتِ انفصالِ العاشِقين، وساعاتِ فراقِهِم، وكَأَنَّ الوقتَ –آنذاك– لا ينقضي، يقول:[1]

[الوافر]

ولَيْـــلٍ مِثْـــل يَـــوْمِ الْبَـــيْنِ طُـــولاً كَواكِبُـــــهُ إِذا أَفَلَـــــتْ تَعُـــــودُ
يُـــدافِعُ نَوْمَهـــا فِيـــهِ انْتِبـــاهٌ فَأَعْيُنُهـــــا مُفَتَّحَـــــةٌ رُقُـــــودُ

ويُكَرِّر هذهِ الصُّورَةَ في قولِهِ:[2]

[الوافر]

وليـــلٍ مثـــلِ يـــومِ البَـــيْنِ طُـــولاً كـــأنَّ ظَلامَـــهُ لَـــوْنُ الصُّـــدودِ

ولم يَنسَ أن يُشيرَ إلى ما يُصيبُهُ مِن أَرَقٍ وَسُهادٍ نتيجةَ هجران المحبوبِ وَبَينِهِ، ومـــن ذلِكَ قولُهُ:[3]

[السريع]

لَـــا تُكْثِـــروا عَـــذْلاً وَلا لَوْمـــا لَـــمْ يُبْـــقِ حَـــرُّ الهَجْـــرِ لـــي نَوْمَـــا
وَيْلِـــي عَلَـــى هِجْـــرانِ مَـــنْ هَجْـــرُهُ قَـــدْ سَـــامَنِي وِرْدَ الـــرَّدى سَـــوْمَا
أَنْكَرَنـــي حَتَّـــى كـــأنْ لَـــمْ يَكُـــنْ يَعْرِفُنـــي مِـــنْ دَهْـــرِهِ يَوْمَـــا

وَفِي فِكْرِ الشَّاعِرِ أنَّ هناكَ وسيلتين لتسليةَ النَّفْسِ، وتقصيرِ ذاكَ اللَّيـــلِ الطَّويـــلِ، أَمَّـــا أولاهُما، فَهِيَ شُربُ الخَمرِ وَمُعاقَرَتُها، يقول:[4]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص76.

[2] المصدر السابق، ص86.

[3] المصدر السابق، ص213.

[4] المصدر السابق، ص10.

[الطويل]

وليـــلٍ تمَـــادى طولُـــه فقَصَـــرتُه بِرَاحٍ تُعيرُ الْمــاءَ مِــنْ صــفوِها صــفا

وأمَّا ثانيَتُهُما، فَهِيَ لقاءُ مَنْ يعشق، حيثُ يُصْبِحُ اللَّيلُ –آنذاك– قصيراً جداً، يَمــرُّ فــي لَحَظاتٍ قليلةٍ، كَتِلكَ التي تَسْتَغرِقُها خَفْقَةٌ مِنْ خَفَقاتِ القَلْبِ، أَوْ قبلَة عاشِقٍ يأخُذُها مِنْ مَحبوبَتِــهِ على عَجَلٍ وَحَذَر، أَو تحتاجُها رَمشةُ عَيْنٍ، يقول:[1]

[الطويل]

وليـــلٍ طويـــلٍ كـــان لمَّـــا قَرَنْتُـــهُ برؤية مَــن أَهــوى قصــيرَ الجوانــبِ

د: الإقرارُ بالذُّلِّ وَالهَوان، وَبالعُبُودِيَّةِ لِلمَحبُوبَة:

صَرَّحَ الوأواءُ بالذُّلِّ وَالهَوانِ الذي أَصابَهُ مِنَ الحُبِّ، وَبالعُبُودِيَّةِ لِلمَحبُوبَةِ التــي قَابَلَتــهُ بالصُّدُودِ وَالهجرانِ وَالبَينِ وَالإعراض، وَذَلِكَ نَتيجَةَ السَّعيِ وَرَاءَهــا؛ رَغبَــةً فِــي إِرضَــائِهَا وَالحُصُولِ عَلَى عَطفِهَا وَوِصَالِهَا، وَقَد صَوَّرَ شَيئاً مِن ذَلِكَ فِي قولِهِ:[2]

[الطويل]

أَلَــم تــرَ أَنّــي بِعْــتُ عِــزّي بِذِلَّــةٍ وَطاوَعْتُ مــا تهــوى لِطَوْعِــكَ مــا تَشــا

وَهُوَ رَاضٍ بِذُلِّهِ فِي الحُبِّ وَمُسَلِّمٌ بِهِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِن قَولِهِ:[3]

[مجزوء الرمل]

أَنْــــتَ بِــــالْعِزَّةِ مــــاضِ وَأَنــــا بِالــــذُّلِّ رَاضِ
هَــــلْ سَــــمِعْتُمْ بِغَــــزَالٍ صــادَ لَيْثــاً فــي غِيَــاضِ ؟!
بِــأَبِي رِيــمٌ رَمــى قَــلْ بِــي بِأَحْــداقٍ مِــرَاضِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص26.

[2] المصدر السابق، ص9.

[3] المصدر السابق، ص137.

وَبِفعلِ خبرَتِه الطَّويلَةِ فِي العِشقِ وَالهِيَام، يُقَدِّمُ نَصيحَةً لِلعَاشِقِينَ جَميعِهِم يُوصِيهِم فِيهَا بِضَرُورَةِ الخُضُوعِ وَالتَّذلُّلِ لِلمَحبُوبِ الَّذي يَعِزُّ وِصالُهُ، فَرُبَّما يَحِنُّ عَلَى العَاشِقِ وَيَجُودُ عَلَيهِ بِشَيءٍ مِنَ الوِصَالِ وَاللِّقاء، يقول:[1]

[البسيط]

اخْضَعْ إذا عَزَّ مَنْ تَهْوَى وَذِلَّ لَهُ فَودٌّ أَهْلِ الهَوى أَبْقى إذا خَضَعُوا

وَجَعَلَ نَفْسَهُ عَبداً طَائِعاً لِمَن يَعشَق، لا يُرِيدُ مِنهُ سِوى الرِّضى، كَمَا أَنَّه جَعَلَ مَحبُوبَهُ سَيِّداً لَهُ يُلقِي عَلَيهِ الأَوامِر، وَقَد رَكَّزَ عَلَى هَذَا المَعنى وَكَرَّرَهُ فِي كَثِيرٍ مِن أَشعَارِهِ، وَمِنهَا قَولُهُ مُحاوِلاً استِعطَافَ مَعشُوقِهِ وَاسترضاءَهُ وَاستِثَارَةَ حَفِيظَتِهِ مِن أَجلِ أَنْ يَحصُلَ عَلَى قُربِهِ وَوِصالِهِ:[2]

[مجزوء الكامل]

يا سَيِّدِي كَمْ ذا الْبِعَا دُ أَمَا لَهُ يَوْمَاً دُنُوُّ !
أَغْرَيْتَ قَلْبِي بِالْغَرا مِ فَمَا لَهُ مِنْهُ سُلُوُّ
أَهْبَطْتَ قَلْبِي بَعْدَ مَا أَعْلَى مَرَاتِبَهُ العُلُوُّ
فَرَأى صَدِيقي شَيْنَهُ وَرَأى مَسَرَّتَهُ الْعَدُوُّ

وَهَا هُوَ ذَا يَستَحلِفُ المَحبُوبَةَ وَيَطلُبُ مَنهَا بِنَوعٍ مِنَ التَّرَجِّي أَلا تُخَاطِبَهُ بِعِبَارةِ (سَيِّدي) عِندَ الحَدِيثِ مَعَهُ، لأَنَّ السَّادَةَ لا يُخاطِبُونَ عَبِيدَهُم بِمِثلِ هَذَا القَول، يقول:[3]

[الكامل]

إِنِّي سَأَلتُكَ بِالنَّبِيِّ ((محمدٍ)) ووصِيَّةِ الهادِي الأَمينِ المهتدي
وَبِحُبِّ مَنْ أَغرى فُؤادَكَ حُبُّهُ بِصَبابَةٍ ممزوجَةٍ بتجلُّدِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص139.

[2] المصدر السابق، ص247.

[3] المصدر السابق، ص89.

وبســـحرِ منطقِـــكَ الَّـــذي سُـــلْطانُهُ حُكمٌ يَجـــورُ عَلَـــى القُلـــوبِ وَيَعْتَـــدي
هَلا هجـــرتَ بفيـــكَ قولَـــكَ: سَـــيِّدي مَـــوْلَىً يقـــولُ لعبـــدِه: يـــا سَـــيِّدي !

وَيُصَرِّحُ الوأواءُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ طَائِعٌ لِمَن يُحِبّ، فَهُوَ يَفْعَلُ كُلَّ مَا يَرِيدُهُ مِنهُ، إِلى دَرَجَةِ أَنَّـــه يَمُوتَ عَلَى الفَورِ وَدُونَ تَرَدُّدٍ أَو تَفْكِيرٍ إِذَا مَا طَلَبَ مِنهُ ذَلِك، يقول:[1]

[مجزوء الكامل]

بِـــــاللهِ يـــــا سَـــــطَواتِ هَجْـــــرِهْ لا تَعْجَلـــــي بِحُلُـــــولِ ضُـــــرِّهْ
لَـــوْ قـــالَ لـــي: مُـــتْ طَاعَـــةً مَـــا عِشْـــتُ بَعْـــدَ سَـــماعِ أَمْـــرِهْ

وَيَقُول:[2]

[مجزوء الكامل]

لَـــوْ قـــالَ لـــي: مُـــتْ طاعَـــةً لأَطَعْتُـــــهُ وَقَبِلْـــــتُ أَمْـــــرَهْ

وَالوأواءُ يَفْتَخِرُ كُلَّ الافتِخَارِ بِعُبُودِيَّتِهِ لِلمَعشُوقَة، إِذْ صَرَّحَ بِأَنَّهُ يَكفِيهِ شَرَفَاً وَعِزَّاً وَنُـــبلاً أَنْ يكونَ عَبدَاً لَهَا يَأْتَمِرُ بِأَمْرِهَا، يَقُول:[3]

[الخفيف]

سَـــيِّدي أَنْـــتَ لَـــمْ أَقُـــلْ سَـــيِّدي أَنْ تَ لأنِّـــي عَـــدَدْتُ نَفْسِـــيَ أَهْلَـــا
أَنـــا حُـــرٌّ وَالحُـــرُّ يَشْـــهَدُ أَنِّـــي لَـــكَ عَبْـــدٌ فَاكْتُـــبْ بِـــذاكَ سِـــجِلَّا
شَرَفي إِنْ رَضِـــيتَ بـــي لَـــكَ مَمْلُـــو كـــاً وَحَسْـــبِي بِـــذَاكَ عِـــزَّاً وَنُـــبْلا

ه: تَمَنِّي المَوت وَطَلَبُهُ:

كانَ الوأواءُ مُتَعَلِّقاً بالمَرأَةِ المَحبُوبَةِ تَعَلُّقَاً شَديداً، وَلا يَستَطِيعُ العَيْشَ بَعيداً عَنْهَا، فَإِذَا مَـــا فَارَقَتْهُ وَبَانَتْ عَنْهُ أَصَابَهُ اليأسُ مِنَ الحَياة، وَحُطِّمَتْ نَفْسُهُ وَدُمِّرَتْ مَشَاعِرُهُ، وَأَصـــبَحَ يَتَمَنَّـــى

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص117.

[2] المصدر السابق، ص118.

[3] المصدر السابق، ص182.

المَوتَ وَيَطلُبُه؛ لأَنَّهُ فِيهِ يَحْصُلُ عَلَى الرَّاحَةِ مِنَ العَذَابِ الذي يُعَانِي مِنْهُ، وَلَقَد عَبَّرَ عَــن هَــذِهِ الفِكرَةِ فِي كَثِيرٍ مِن أَشعَارِهِ، وَمِنهَا قَولُهُ في إِحدَى مَقطُوعَاتِهِ الغَزَلِيَّةِ بَعْدَ ذِكْرِ مُعَانَاتِهِ وَأَلَمِه:[1]

[المنسرح]

مَــنْ كَــانَ مِثْلِــي فَــالْمَوْتُ راحَتُــهُ وَالمَــــوْتُ وَاللهِ دُونَ مَــــا أَجِــــدُ

وَقَولُهُ:[2]

[البسيط]

شَــغَلْتُ قلبــي وسَــمْعي فــي مــودَّتِكُمْ لا خَلَّــصَ اللهُ قلبــي مِــنْ مَحَبَّــتِكُمْ
ولا رُزِقْــتُ حيــاةً بَعْــدَ بَيْــنِكُمُ إِنْ لَمْ أَمُتْ نَــدَماً مِــنْ بَعْــدِ فُــرْقَتِكُمْ
هَا قَــدْ غَضِــبْتُ عَلَــى رُوحــي لأَجْلِكُــمُ حتى جَفَــوْتُ حيــاتي عِنْــدَ جَفْــوَتِكُمْ

وَفِي مَقطُوعَةٍ أُخرى يُعرِبُ عَنْ خَجَلِه وَحَيائِهِ مِنْ بَقَائِهِ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ بَعْدَ بَيْنِ المَحبُوبَةِ وَفِراقِهَا، ثُمَّ يَرَى أَنَّ طَلَبَهُ المَوتَ لَيْسَ غَرِيباً، وَإِنَّمَا الغريبُ العَجيبُ هُوَ بَقَاؤُهُ حَيًّا، يقُول:[3]

[البسيط]

وَاخَجْلتي مِــن بقــائي بعــدَ فُــرْقَتِكُمُ إِذ لــيس لــي فــي حيــاتي بَعــدكم أَربُ
ولــيس مــوتي عجيبــاً بَعْــدَ بيــنِكُمُ وإِنَّمــا فــي حيــاتي بَعــدكم عَجَــبُ

وَهَا هُوَ ذَا يُعَاتِبُ المَنِيَّةَ التي لَمْ تَقْبِضْ رُوحَهُ بَعْدَ رَحِيلِ المَحبُوبَةِ وَفِرَاقِهَا، فِي قَولِهِ:[4]

[البسيط]

هُوَ الْفِــراقُ فَعِــشْ إِنْ شِــئْتَ أَوْ فَمُــتِ لَــيْسَ الحَيــاةُ إِذا بــانُوا بِمُعْجِبَتِــي

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص76.

[2] المصدر السابق، ص66.

[3] المصدر السابق، ص34.

[4] المصدر السابق، ص60.

وَيْـــحَ الْمَنِيَّـــةِ إِذْ ســـارَتْ رِكَـــائِبُهُمْ لَوْ أَنَّهـــا قَبَضَـــتْ رُوحـــي لأحْسَـــنَتِ

وَإِذَا كَانَ الحَالُ كَذَلِكَ فَلَيسَ مِنَ المُستَغْرَبِ أَنْ يُقَدِّمَ الشَّـاعِرُ رُوحَـهُ هَدِيَّـةً رَخِيصَـةً لِلمَحبُوبَةِ، فَكُلُّ مَا يَهُمُّهُ هُوَ بَقَاؤُهَا في نَعِيمٍ وَسَلامٍ وَخَيرٍ حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى حِسَابِ حَيَاتِـهِ، وَهَذا يُمَثِّلُ غَايَةَ العَفَافِ وَالإِخلاصِ فِي الحُبّ، يقول:[1]

[الكامل]

لا تُنْكِـرِي مـا بـي فَلَـيْسَ بِمُنْكَـرِ عِنْـدَ التَّفَـرُّقِ حَيْـرَةُ المُتَحَيِّـرِ
هَـا هَـذِهِ رُوحِـي إِلَيْـكِ هَدِيَّـةً فتجمَّلِـي فِـي أَخـذِها أَوْ فاعْـذِرِي

يَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الوأواءَ صَوَّرَ فِي غَزَلِيَّاتِهِ المَعنَوِيَّةِ الطَّاهِرَةِ العَفِيفَةِ، المُعَانَاةَ وَالأَلَـمَ وَالحُزْنَ الذي يَشْعُرُ بِهِ مِنَ الحُبِّ، وَمِنْ صُدُودِ المَحبُوبَةِ وَهجرانِهَا وَفِراقِهَا لَهُ، وَقَـدِ اسـتَعمَلَ لإبرازِ ذَلِكَ العَدِيدَ مِنَ الوَسائِلِ والأساليبِ الدَّالَّةِ المُعَبِّرَةِ، وَهُوَ بِهذَا مُلتَزِمٌ بِمَا أَوْصَى بِـهِ كِبَـارُ الشُّعَرَاءِ وَالنُّقَّادِ تَلاميذَهُم وَحَثُّوهُمْ عَلَيْهِ، فَهَا هُوَ ذَا أَبو تَمام يُوصِي تِلميذَهُ البُحتُرِيَّ بِـذَلِكَ، فِـي قُولِهِ: "إن أردتَ التشبيب فاجعل اللفظ رشيقاً، والمعنى رقيقاً، وأكْثِر فيه مـن بيـان الصَّـبَابة، وتوجُّع الكآبة، وقلق الأشواق، ولَوْعَة الفراق"[2]، وَفِي مِثْلِ هَذَا المَعنى قَالَ قُدَامَةُ بـنُ جَعفَـر: "يجب أن يكون النسيب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصـبابة، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وما كان فيه من التصابي والرقة أكثر ممـا يكون من الخشن والجلادة، ومن الخشوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الإباء والعز، وأن يكون جماع الأمر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة، ووافق الانحلال والرخاوة، فإذا كان النسيب كـذلك فهو المصاب به الغرض"[3].

وَأَكَّدَ ذَلِكَ أَبو هِلال العَسْكَرِيِّ فِي قَولِهِ: "وينبغي أن يكون التشبيب ... دالاً علـى شـدة الصبابة، وإفراط الوجد، والتهالك في الصبوة ... ويكون بريئاً من دلائل الخشـونة والجـلادة،

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص107.

[2] الحُصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني: **زهر الآداب وثمر الألباب**، تفصيل وضبط وشرح زكي مبارك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972، 152/1.

[3] ابن جعفر، أبو الفرج قدامة: **نقد الشعر**، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص134.

وإمارات الإباء والعزة ... ويُستجاد التشبيب أيضاً إذا تضمَّن ذكر التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بهبوب الرياح، ولمع البروق، وما يجري مجراهما من ذكر الديار والآثار ... وكذا ينبغـــي أن يكون التشبيب دالاً على الحنين والتحسّر وشدة الأسف"[1]

ثانياً: اللَّومُ وَالعَذلُ:

يُشَكِّلُ لَوْمُ اللَّائِمِينَ وَعَذلُ العَاذِلِينَ مَظهَراً مِنْ مَظَاهِرِ غَزَلِ الوأواء، حَيْثُ يُشِـيرُ فِـي بَعضِ غَزَلِيَّاتِهِ إِلى اللَّومِ وَالعَذلِ الشَّدِيدِ الَّذي يَتَعَرَّضُ لَهُ فِي عِشْقِهِ؛ وَذَلِكَ نَتِيجَةً لِمَا أَصَابَهُ مِـن سَقَمٍ وَهُزَالٍ وَضَعْفٍ وَبَلاء، لَكِنَّهُ يَقِفُ مَوقِفاً سَلبِيَّاً مُعادِياً مِمَّن يَلُومُونَه، وَيُصَرِّحُ بِأَنَّهُ لَـمْ وَلَـنْ يَستَمِعَ لِنَصَائِحِهِم وَإِرشَادَاتِهِم، يَقُول:[2]

[الوافر]

بَلِيـتُ لأَنِّنـي بِـكَ قَـدْ بُلِيـتُ فَلَسْـتُ بِمُنْتَـهِ مِمَّـا نُهِيـتُ
أُلامُ وقَـدْ أَصَـمَّ الحُـبُّ سَـمْعِي وَيُرْشِـدُنِي الْعَـذُولُ وَقَـدْ عَمِيـتُ

وَرَسَمَ الوأواءُ صُورَةً قَاتِمَةً مُنَفِّرَةً لِمَن يَلُومُهُ فِي حُبِّهِ، إِذْ جَعَلَهُ رَسُولاً لِـإبليس، حَيـثُ يَدعُوهُ إِلى مُمَارَسَةِ الأُمُورِ المُحَرَّمَةِ، وَجَعَلَهُ كَمَن يُمارِسُ فِعلاً شَاذّاً شَنِيعاً قَبِيحاً مُخالِفاً لِلـدِّينِ، عَلَى اعتِبارِ أَنَّ عِشْقَهُ لِلغِلمانِ شَرِيفٌ نَبِيلٌ مُوافِقٌ لِلفِطرَةِ الإنسانِيَّة !!!، يقول:[3]

[الخفيف]

أَكْثَـرْتَ لَـوْمِي بِغَيْـرِ تَنْفِـيسِ مَـا أَنْـتَ إِلا رَسُـولُ إِبْلِـيسِ
جَفْنِي مِنَ الـدَّمْعِ مُوْسِـرٌ ومِـنَ السَّـلْ وَةِ قَلْبِـي مِـنَ الْمَفَـالِيسِ
مَـنْ لامَنِـي فِـي الْحَبِيـبِ كَـانَ كَمَـنْ يَضْـرِبُ فِـي مَسْـجِدٍ بِنَـاقُوسِ

---

[1] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: **الصناعتين (الكتابة والشعر)**، تح: مفيد قميحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1981، 145ص-146.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص62.

[3] المصدر السابق، ص127.

وَرَاحَ الشَّاعِرُ يُدافِعُ عَنْ حُبِّهِ، وَيُبَرِّرُ عِشْقَهُ، لِلرَّدِّ عَلَى أُولئِكَ العَاذِلِينَ وَإِسكاتِهِم، وَقَدِ اعتَمَدَ فِي ذَلِكَ عَلَى مُبَرِّرٍ وَاحِدٍ، أَلا وَهُوَ حُسنُ مَحْبُوبِتِهِ وَجَمالُهَا السَّاحِرُ الفَتَّان، يقول:[1]

[المديد]

والهَوى لا خِفْتُ عاذِلَتي ... في هَوى مَنْ جَلَّ عن صِفَتي
مَنْ لَحاني عَنْ هَوَاهُ فَفِي ... وَجْهِهِ الفَتَّانِ مَعْذِرَتي

وَيَقُول:[2]

[أحذّ الكامل]

نَطَقَ الْجَمالُ بِعُذْرِ عَاشِقِها ... لِلْعاذِلينَ فَأُخْرِسَ الْعَذْلُ

وَلِيُقنِعَ العُذَّالَ الَّذينَ يُحَاوِلُونَ مُحَاوَلاتٍ دَائِبَةً أَنْ يُوقِعُوا شَيئاً مِنَ القَطِيعَةِ بَينَهُ وَبَينَ مَعشُوقَتِهِ، لِيُقنِعَهُم بِاستِحَالَةِ عُدُولِهِ عَنْهَا وَتَركِهَا، فَإِنَّهُ يُوَضِّحُ لَهُم بِأَنَّ العَذْلَ وَاللَّومَ الذي يَستَمِعُ إِلَيهِ لا يَزِيدُهُ إِلا تَعَلُّقاً وَتَمَسُّكاً بِهَا، وَعِشقاً لَهَا؛ لِذَا صَرَّحَ لَهُم بِحُبِّهِ وَمَيلِهِ إِلَى الاستِمَاعِ إِلَى عَذْلِهِم؛ كَيْ يَبقَى ذِكرُ مَحبُوبَتِهِ جَارِياً عَلَى مَسَامِعِهِ دَوماً، وَهَذا أَقصَى أَمَانِيه، يقول:[3]

[البسيط]

لَوْ كانَ يَعْلَمُ عُذَّالي بِما صَنَعُوا ... لأَقْصَرُوا عَنْ مَلامي فيكَ وَارْتَدَعُوا
زَادُوكَ عِنْدِيَ، إِذْ عَابُوكَ، مَنْزِلَةً ... كَأَنَّهُمْ رَفَعُوا مِنْكَ الَّذي وَضَعُوا
فَمَنْ يَكُنْ فيهِ عَنْ عُذَّالِهِ صَمَمٌ ... فَإِنَّني فيكَ لِلْعُذَّالِ مُسْتَمِعُ
حُبَّاً لِذِكْرِكَ أَنْ يَجْري عَلَى أُذُني ... فَلْيُقْصِروا عَنْ مَلامِي فِيكَ وَلْيَدَعُوا

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص64.

[2] المصدر السابق، ص190.

[3] المصدر السابق، ص138.

ثَالِثَاً: الوُقُوفُ عَلى الأَطلال:

يُشَكِّلُ الوقُوفُ عَلَى أَطلالِ المَحبُوبَةِ وَوَصفُهَا أَحَدَ العَناصِرِ المُهِمَّةِ في غَزَلِ الوأواء، فَهَا هُوَ ذَا يَصِفُ مَا أَصَابَهَا مِن بَلاءٍ وَدَمَارٍ وَهَلاكٍ وَسُكونٍ وَانعِدَامٍ لِلحَرَكَةِ نَتيجَةً لِلارتِحَالِ عَنْهَا، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[1]

[الكامل]

لِمَنِ الرُّسُومُ بِ ((رَامَتَيْنِ))[2] بَلِينَا كُسِيَتْ مَعَالِمُهَا الْهَوى وَعَرِينَا

دِمَنٌ فُطِمْنَ مِنَ الصِّبى وَتَبَدَّلَتْ حَرَكَاتُهُنَّ مِنَ الغَرامِ سُكُونا

وَيَصِفُهَا بِأَنَّهَا صَارَتْ مَكَانَاً خَالِيَاً مُقفِرَاً تَلعَبُ فِيهِ رِيَاحُ الشَّمالِ وَرِيَاحُ الجَنُوب:[3]

[الطويل]

أَمَغْنى الهَوى غَالَتْكَ أَيدي النَّوائِبِ فَأَصْبَحْتَ مَغْنَىً لِلصِّبا وَالْجَنائِبِ

وَتَوَقَّفَ الوأواءُ فِي شِعْرِهِ عِنْدَ اثنَيْنِ مِن مُكَوِّنَاتِ الأَطلالِ، وَهُمَا الأَثَافِي وَالنُّؤي، وَصَوَّرَهُمَا مُستَعمِلاً تَشبيهَينِ مُستَمَدَّينِ مِنْ عِلْمِ الكِتَابَةِ وَالخَطّ، حَيثُ شَبَّهَ الأَثافِيَ بِالنُّقَطِ الثَّلاثِ التي تُوضَعُ فَوْقَ حَرفِ الثَّاء، وَجَعَلَ النُّؤيَ مِثْلَ حَرفِ النُّونِ في استِدَارَتِهِ وَالتِفَافِهِ، يقول:[4]

[الطويل]

أَثافٍ كَنَقْطِ الثَّاءِ فِي طِرْسِ دِمْنَةٍ ونُؤْيٍ كَدَوْرِ النُّونِ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ

أَمَّا سَبَبُ إِقبَالِهِ عَلَى الأَطلالِ وَالوُقُوفِ عَلَيهَا، فَهُوَ الشَّوقُ وَالحَنينُ الذي يَمْلأُ قَلبَهُ لِلمَحبُوبَةِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِن قَولِهِ مُخاطِبَاً أَحَدَ الأَطلالِ:[5]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص214.

[2] رامتين: مفردها رامة، وهي منزل بينه وبين الرّمّادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة، ومنه إلى إمّرة، وهي آخر بلاد بني تميم، وبين رامة والبصرة اثنتا عشرة مرحلة. الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، 20/3.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص16.

[4] المصدر السابق، ص17.

[5] المصدر السابق، ص171.

[الطويل]

أَرَى الشَّــوقَ يُلْجِينــي إِلَيْــكِ كَمَــا الْتَجــا إِلــى الــرِّيِّ مِــنْ مــاءِ الْحَيــاةِ رُبــاكِ

وَيَشكُو الشَّاعِرُ لِلأَطلالِ هُمُومَهُ وَأَحزَانَهُ وَوَجْدَهُ فِي قَوْلِهِ:[1]

[الطويل]

أَرَبْــعَ الْبِلــى إِنِّــي إِلَيْــكَ لَشَــاكِ وَإِنِّــي عَلَــى وَجْــدي عَلَيْــكَ لَبَــاكِ
وَمَــا ذَاكَ مِــنْ بُقْيــا عَلَيْــكَ وَإِنَّمــا لِعِشْــقِ بُكــائي فِيــكَ حُــبَّ هَلاكــي

وَيَستَوقفُ أَصحَابَهُ عَلَى تِلكَ الأَطلالِ؛ كَيْ يَذرِفُوا مَعَهُ الدُّمُوعَ الغِزَارَ عَلَى مَا أَصَــابَهَا مِنْ تَغَيُّرٍ وَدَمَارٍ وَهَلاك، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[2]

[الطويل]

قِفُوا مــا علــيكم مــن وقــوفِ الرَّكائِــبِ لِنَبْــذِلَ مَــذخورَ الــدُّموعِ السَّــواكِبِ

وَهَا هُوَ ذَا يَدعُو لِتِلكَ الأَطلالِ بالسُّقيَا وَالخَيْر؛ كَي تُذَكِّرَهُ بالمَحبُوبَةِ دَومَاً:[3]

[الطويل]

سَــقَى اللهُ آجــالَ الهَــوى فيــكَ لِلْبَقــا مُــدامَ الأَمــاني مــن ثُغُــورِ الْحَبائِــبِ

وَيَدْعُو لَهَا بِدَوَامِ الإِشراقِ وَالبَهَاءِ وَالجَمَال، وَبِأَنْ تُبعَثَ فِيهَا الحَيَاةُ مِنْ جَدِيد:[4]

[الطويل]

أَيَــا دِمْنَــةَ اللَّــذَّاتِ لا زَالَ دائِمــاً عَلَيْــكِ مِــنَ الإِشْــراقِ نُــورُ بَهــاكِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص171.

[2] المصدر السابق، ص24.

[3] المصدر السابق، ص17.

[4] المصدر السابق، ص171.

وَيُلاحَظُ مِنِ استِعراضِ وُقُوفِ الشَّاعِرِ الوأواءِ عَلَى الأَطلالِ أَنَّهُ ذَكَرَ بَعْضَ عَنَاصِرِ الحيَاةِ البَدَوِيَّةِ (النُّؤي وَالأَثَافي)، وَجَاءَ عَلَى ذِكْرِ بَعْضِ الأَمَاكِنِ مِن شِبْهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ (رامتين وَمُنعَرَج اللِّوى)، وَيَبدُو أَنَّ هَذَا لَيْسَ إلا تَقْلِيداً كَانَ يُقَلِّدُ بِهِ الشُّعَراءَ السَّابِقِين؛ حَتَّى لا يَخْرُجَ عَنِ السَّمْتِ الذي التَزَمُوهُ، حَيْثُ أَشَارَ ابنُ رَشِيق القَيروَانِيُّ إِلى أَنَّ بَعْضَ الشُّعَرَاءِ كَانُوا يَذْكُرُونَ فِي أَشعَارِهِم أَسمَاءَ الأَمَاكِنِ التي ذَكَرَهَا الشُّعَرَاءُ القُدَامَى اقتِدَاءً بِهِمْ وَاتِّباعاً لِمَا أَلِفَتْهُ طِبَاعُ النَّاس[1].

وَفِي خَاتِمَةِ استِعرَاضِ الغَزَلِ المَعنَوِيِّ فِي شِعْرِ الوأواءِ، تَجْدُرُ الإِشَارَةُ إِلى أَنَّ عِفَّتَهُ تُتَوَّجُ مِن خِلالِ وَصْفِهِ لِمَوقِفِ وَدَاعٍ لِلمَحبُوبَةِ الرَّاحِلَةِ، حَيْثُ أَشَارَ إِلى أَنَّهُ وَدَّعَهَا بالمُنَاجَاةِ مِن بَعِيد بِلُغَةِ العُيون، مِن خِلالِ استِرَاقِ النَّظَرَاتِ السَّرِيعَةِ إِلَيهَا، وَبالإِشَارَةِ لَهَا بِيَدِهِ مِنْ بَعِيد، وَقَدْ عَبَّرَ عَن هَذا المَعنَى فِي قَوْلِه:[2]

[البسيط]

وَدَّعتُهـا ولَهِيـبُ الشَّـوْقِ فـي كبـدي والبَـينُ يُبْعِـدُ بـينَ الـرُّوحِ والْجَسَـدِ
وَدَاعَ صَـبَّيْنِ لـم يُمكِـنْ وَدَاعُهُمـا إلا بِأَلْحَـاظِ عَـيْنٍ أَوْ بَنَـانِ يَـدِ

ثَانِياً: الغَزَلُ الحِسِّيُّ:

لَمْ يَكُنْ غَزَلُ الوأواءِ كُلُّهُ مَعنَوِيَّاً عَفِيفَاً يَهتَمُّ بالبَثِّ وَالشَّكوى، وَإِنَّمَا مِنهُ مَا كَانَ حِسِّيّاً مَادِّيَّاً، يَدُورُ حَولَ جَسَدِ المَرأَةِ وَيَتَّخِذُهُ مِحوَرَاً لَهُ، وَإِذَا مَا أَمعَنَ البَاحِثُ النَّظَرَ فِي هَذَا النَّوعِ الأَخيرِ فَإِنَّهُ يُمكِنُهُ أَنْ يَقْسِمَهُ إِلى قِسمَينِ اثنَين، هُمَا: غَزَلٌ حِسِّيٌّ فاحِشٌ، وَحِسِّيٌّ غَيرُ فَاحِشٍ، وَيَتَمَثَّلُ الفرقُ بَينَهُمَا في أَنَّ الغَزَلَ الحِسِّيَّ الفَاحِشَ يَتَحَدَّثُ فِيهِ الشَّاعِرُ عَمَّا وَقَعَ بَينَهُ وَبَينَ المَحبُوبَةِ مِن صِلَةٍ حِسِّيَّةٍ مَادِّيَّةٍ، وَيَصِفُ مُغَامَرَاتِهِ الجِنسِيَّةَ مَعَهَا بِكُلِّ جُرأَةٍ وَصَرَاحَة، وَيُستَشَفُّ مِنهُ نَهَمَهُ إِلى جَسَدِ المرأَةِ وَشَهوَتَهُ لَه، وَرَغبَتَهُ في مُطَارَحَتِهَا الغَرامَ عَلَى الفِرَاش، فَضْلا عَن أَنَّهُ لا يَخلُو مِن بَعْضِ الأَلفَاظِ الفَاضِحَةِ وَالتَّعَابِيرِ المَكشُوفَةِ التي تَخدِشُ الحَياءَ العَامّ. أَمَّا الغَزَلُ

---

[1] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، 225/1.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص91.

الحِسِّيُّ غَيْرُ الفَاحِشِ، فَإِنَّهُ يَصِفُ جَسَدَ المَحبُوبَةِ وَصفاً دَقِيقاً، وَيَتَحَدَّثُ عَن مَفَاتِنِهَا الأُنثَوِيَّةِ، وَيُشَبِّهُهَا بِأَشياءَ مَادِّيَّةٍ حِسِّيَّةٍ، لَكِن دُونَ الوُصولِ إِلى حَدِّ الابتِذَالِ وَالإِسفافِ المَقِيتَينِ، وَالتَّهتُّكِ الفَاضِحِ، وَلَيسَ هَذا بِغَرِيبٍ عَنِ الوأواءِ الدِّمَشقِيِّ، فَقَد عَاشَ حَيَاةً لاهِيَةً مَاجِنَةً عَابِثَةً بَعِيدَةً عَنِ وَالأَخلاقِ وَالعِفَّةِ، قَضَاهَا بَيْنَ الجَواري الحِسَان، وَالرِّياضِ وَالأَزهارِ وَالخُمُور، وَفِي الصَّفحاتِ الآتِيَةِ تَفصيلٌ لِكِلا النَّوعَين وَبَيانٌ لَهُمَا.

أ: الغَزَلُ الحِسِّيُّ الفَاحِشُ:

يَشتَمِلُ غَزَلُ الوأواءِ عَلَى العَدِيدِ مِنَ المَقطُوعَاتِ وَالقَصَائِدِ الشِّعرِيَّةِ الفَاحِشَةِ التي وَصَفَ فِيهَا مُغَامَرَاتٍ حِسِّيَّةً وَسَرَدَ قِصَصاً جِنسِيَّةً فَاضِحَةً حَصَلَت بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَحبُوبَةِ، سَرْدَاً مُفَصَّلاً دَقِيقاً يَكشِفُ عَن قَدرٍ كَبِيرٍ مِنَ التّهَتُّكِ وَالابتِذَالِ الذي كَانَ يَعِيشُ فِيهِ وَيَقضِي أَيَّامَهُ وَلَيَالِيه، وَمِن ذَلِكَ، وَصْفُهُ لِمُغَامَرَةٍ حِسِّيَّةٍ صَاغَهَا عَلَى هَيئَةِ قِصَّةٍ مَلِيئَةٍ بِالإِشَارَاتِ الجِنسِيَّةِ المُثِيرة، وَقَد صَوَّرَ فِيهَا لِقَاءَه بِإِحدى الفَتَيَاتِ الحِسَانِ الجَمِيلاتِ اللَّاتِي فَسدَتْ أَخلاقُهُنَّ، وَذَلِكَ باعتِرَافِهِ فِي قَولِهِ: (مُرَّةَ الأَخلاق)، فَوَصَفَ مشيَتَهَا المُتدَلِّلة المُتَغَنِّجَةَ وَهِيَ مُقبِلَةٌ عَلَيه، وَرَكَّزَ عَلَى تَصوِيرِ عَجُزِهَا العَظِيمَةِ التي تَسَبَّبَتْ –لِثِقَلِهَا– فِي دَفعِ صَدْرِهَا إِلى الأَمَام، ثُمَّ وَصَفَ مَا جَرَى بَينَهُمَا مِن اتِّصَالٍ حِسِّيٍّ مَادِّيٍّ كَالعَضِّ وَالقَرصِ وَمَصِّ اللِّسانِ، لَكِنَّهَا وَعَلَى الرَّغمِ مِن تَهَتُّكِهَا وَانحِلالِ أَخلاقِهَا حَاوَلَتْ مَنْعَهُ مِنَ التَّمكُّنِ مِنهَا، إِذْ مَنَعَتْهُ مِنْ خَلْعِ السِّروالِ الذي تَرْتَدِيه، غَيْرَ أَنَّهُ هَدَّدَهَا بِأَنَّهَا إِذا مَا تَمَسَّكَتْ بِمَوقِفِهَا الرَّافِضِ فَإِنَّهُ سَيَجعَلُهَا تَخْلَعهُ غَصْبَاً عَنْهَا، وَهَذَا مَا حَدَثَ بالفِعل، مِمَّا جَعَلَهُ يَتَمَكَّنُ مِنْهَا، يقُول:[1]

[الخفيف]

أَنَا أَفْدي مَكْتُومَةً لَا تُسَمَّى ... هَامَ قَلْبِي بِهَا هُياماً وَهَمّا
حُلْوَةُ الْخَلْقِ مُرَّةُ الخُلْقِ قَدْ أَصْ ... بَحْتُ مِنْهَا فِي الحُبِّ أَعْمَى أَصَمَّا
أَقْبَلَتْ فِي تَمامِهَا فَنَسِينا ... حُسْنَ بَدْرِ التَّمامِ سَاعَةَ تَمَّا

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص208–209.

تَتَمَشَّـــــى وَثِقْـــــلُ رَانْفَتَيْهـــــا[1] قَـــدَّمَتْ صَـــدْرَها مِـــنَ الْمَشْـــيِ قُـــدْما

ثُـــمَّ طَـــالَ الْعِتـــابُ، وَالْعَـــضُّ وَالْقَـــرْ صُ، وَمَـــصُّ اللِّســـانِ مِنْهـــا فَلَمَّـــا

مَنَعَتْنِـــي مِـــنْ تِكَّـــةٍ ثُـــمَّ قَالَـــتْ: تِـــهْ عَلَـــى الْقَـــدْمِ مَـــا ظَنَنْتُـــكَ فَـــدْمَا[2]

قُلْـــتُ: جُـــودي بِحَلِّهـــا لِـــي وَإِلا قَطْعُهـــا هَـــيِّنٌ كَمَـــا أَشْـــرَبُ المَـــا

فَهْـــيَ وَقْـــفٌ مَـــا بَـــيْنَ حَـــلٍّ وَقَطْـــعٍ وَإِلَيْـــكِ الْخِيـــارُ إِمَّـــا وَإِمَّـــا

قَالَـــت: احْلُـــمْ فَقُلْـــتُ: لِلْحِلْـــمِ وَقْـــتٌ أَنَـــا لا أَسْـــتَطِيعُ فِـــي الْحُـــبِّ حِلْمـــا

قُلْـــتُ: لا بُـــدَّ أَنْ يُـــدَمَّى غَـــزَالٌ ثُـــمَّ يُكْفَـــى مِـــنَ الْغَـــزالِ المُـــدَمَّى

فَتَلَقَّيْتُهـــا بِرُوحـــي وَقَلْبِـــي لا بِجِسْـــمِي مِـــنْ أَيْـــنَ أَمْلِـــكُ جِسْـــما؟!

وَيَبرُزُ فِي القَصِيدَةِ أَعلاه اعتِمَادُ الشَّاعِرِ فِي صِيَاغَتِهَا عَلَـــى الأُســـلُوبِ القَصَصِـــيّ، إِذ تَشتَمِلُ عَلَى شَخصِيَّتَين، هُمَا الشَّاعِرُ وَمَعشُوقَتُهُ، وَيَبرُزُ فِيهَا عُنصُرُ الحِوَارِ الذي يَضطَلِّعُ بِدَورٍ مُهِمٍّ فِي بِنَاءِ القِصَّةِ وَتَطَوُّرِ أَحدَاثِهَا، مُنذُ أَن عَرَضَ الشَّاعِرُ عَلَى مَعشُوقَتِهِ أَن تُسَلِّمَهُ نَفسَهَا، إِلى أَن تَمَكَّنَ مِنهَا غَصبًا عَنهَا.

وَيَكشِفُ فِي إِحدَى غَزَلِيَّاتِهِ المَاجِنَةِ عَن مُغَامَرَةٍ حِسِّيَّةٍ خَاضَهَا مَعَ مَنْ يَعشَق، فَيُصَـــرِّحُ بِأَنَّهُ عَانَقَهُ، وَتَمَكَّنَ مِنهُ وَقَضَى حَاجَتَهُ، وَحَصَلَ عَلَى كُلِّ مَا يُرِيدُ وَيَشتَهِي، لَكِن مِن غَيْرِ الدُّخُولِ فِي تَفَاصِيلِ هَذَا اللِّقَاءِ وَحَيثِيَّاتِهِ، يقول:[3]

[المنسرح]

عَانَقْـــتُ مَـــوْلايَ عِنْـــدَ رُؤْيَتِـــهِ وَنِلْـــتُ سُـــؤْلِي بِحُسْـــنِ مـــا صَـــنَعَا

مِـــنْ قَمَـــرٍ صـــارَ فِـــي تَنَصُّـــفِهِ كَأَنَّـــهُ نِصْـــفُ دِرْهَـــمٍ قُطِعـــا

---

[1] الرَّانفتين: مُثنَى رانِفة، وهي أسفل الأَلية، وقيل: هي منتهى أطراف الأَليتين مما يلي الفخذين، وقيل: هي ناحية الأَليـــة. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (رنف).

[2] التِّكّة: رباط السروال، وجمعها تِكَك. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (تكك). الفَدْم من الناس: العَيِيُّ عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم، وهو أيضاً الغليظ السمين الأحمق الجافي. السابق، مادة (فدم).

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص139.

وَيُقِرُّ فِي مَوضِعٍ آخَرَ بالأَفعَالِ المُتَهَتِّكَةِ التي قَامَ بِهَا مَعَ المَحبُوبَة، حَيثُ يُشِيرُ إِلى أَنَّــهُ قَبَّلَ فَمَهَا، فَشَرِبَ مِنْهُ رِيقاً كَالخَمرِ فِعلاً وَمَذاقاً، وَقَبَّلَ مِنْهَا خَدَّاً كَالزَّهْرِ لَوْنَــاً وَنُعُومَــةً وَرِقَّــةَ مَلمَس، ثُمَّ يَتَحَدَّثُ عَن مُشاهَدَتِهِ وَمُعايَنَتِهِ لِبَعضِ مَوَاضِعِ الفِتنَةِ وَالإِغرَاءِ مِن جَسَــدِهَا الأَبــيَضِ النَّاصِعِ الَّذي يُنيرُ اللَّيلَ وَيَنفِي ظَلامَه، يقول:[1]

[المتقارب]

تَرَشَّــفْتُ مِــنْ شَــفَتَيْهِ الْعُقَــارَا وَقَبَّلْــتُ مِــنْ خَــدِّهِ الجُلَّنَــارَا
وَشَــاهَدْتُ مِنْــهُ كَثِيبــاً مَهِــيلاً وَغُصْــناً رَطِيبــاً وَبَــدْراً أَنَــارَا
وَأَبْصَرْتُ مِــنْ وَجْهِــهِ فِــي الظَّــلامِ بِكُــلِّ مَكَــانٍ بِلَيْــلٍ نَهَــارَا

وَتَحَدَّثَ الوأواءُ عَنْ زِيارَةِ المَحبُوبَةِ لَهُ بَعْدَ فَترَةٍ مِنَ الغِيابِ وَالجَفَــاءِ، وَاعْتَــرَفَ بِأَنَّــهُ عَانَقَهَا وَارتَكَبَ مَعَهَا الكَثِيرَ مِنَ الآثامِ وَالأَوزار، وَذَلِكَ فِي قَولِه:[2]

[السريع]

زارَ المُنَــى والسُّــؤْلُ إِذْ زارَنَــي وكَــانَ قِــدْماً غيــرَ زَوّارِ
يــا زَوْرَةً ســاعدَ فيهــا الهَــوى بِحَمْــلِ آثَــامٍ وأَوْزارِ
عَانَقْــتُ مَــنْ أَهْــوى ويــا طالمــا بِــتُّ مِــنَ الشَّــوقِ عَلَــى نــارِ
وفَوْقَنَــا الْبَــدْرُ عَلَــى نِصْــفِهِ كَأَنَّــهُ شِــقَّةُ دِينَــارِ

وَأَغلَبُ الظَّنِّ أَنَّ هَذِهِ المُغَامَرَةَ قَدْ تَمَّتْ فِي الطَّبِيعَةِ فِي إِحدَى الرِّيَاضِ، وَفِــي مُنتَصَــفِ الشَّهر، وَيُلاحَظُ ذَلِكَ مِن خِلالِ تَشبِيهِهِ لِلبَدرِ –خِلالَ عِنَاقِهِ لِلمَحبُوبَةِ– وَهُوَ فَوقَهُمَا فِــي السَّــمَاءِ بِنِصْفِ دِينَارٍ يَلمَعُ وَيَتَلأَلأ.

وَفِي إِحدَى غَزَلِيَّاتِهِ الفَاحِشَةِ يَتَحدَّثُ عَن لَيْلَةٍ صَاخِبَةٍ قَضَاهَا فِــي جَــوِّ الطَّبِيعَــةِ مَــعَ المَحبُوبَة، وَهُوَ يَلثُمُهَا وَيُقَبِّلُهَا، وَذَلِكَ فِي قولِه:[3]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص269.

[2] المصدر السابق، ص116–117.

[3] المصدر السابق، ص80.

[الخفيف]

رُبَّ لَيْـــلٍ مـــا زِلْـــتُ أَلْـــثِمُ فيـــهِ قَمَـــــراً لابِســـــاً غِلالَـــــةَ وَرْدِ
وَالثُّرَيَّـــا كَأَنَّهـــا كَـــفُّ خَـــوْدٍ داخَلَتْهـــا لِلْبَـــيْنِ رِعْـــدَةُ وَجْـــدِ
لَـــمْ تُطِـــقْ دَفْعَهـــا عَـــنِ الوَجْـــدِ حَتَّـــى قَطَّعَتْهـــا لِلْبَـــيْنِ مِـــنْ أَصْـــلِ زَنْـــدِ

وَفِي مَقطُوعَةٍ أُخرى تَفُوحُ مِنهَا رَائِحَةُ التَّهَتُّكِ وَالابتِذَالِ، يَكشِفُ الوأواءُ عَن تِلكَ العلاقَةِ الحَمِيمِيَّةِ بَيْنَ العُشَّاق، حَيْثُ يَصِفُ مَوقِفَ لِقَائِهِ وَوِصَالِهِ لِلمَحبُوبَةِ، وَعِنَاقِهِ لَهَا بَعدَ أَنْ دَفَعَهَا إِلَيهِ الشَّوقُ وَالحَنِينُ مَادِدَةً يَدَهَا النَّاعِمَةَ لَه، وَقَدْ ضَمَّنَ الشَّاعِرُ هَذِهِ المقطُوعَةَ وَصـفَاً حِسِّـيَّاً مُثِيـرَاً لِلمَحبُوبَةِ، فَشَعْرُهَا الأَسودُ الطَّوِيلُ مُنسَدِلٌ عَلَى خَدَّيها وَمُؤَلَّفٌ عَلَى هَيئَةِ حَرفِ الواوِ فِي انثِنَائِـهِ وَاعتِكَافِهِ، وَخَصرُهَا دَقِيقٌ رَقِيقٌ رَشِيق، يقول:[1]

[مجزوء الخفيف]

كَتَبَـــتْ فـــي نَهـــارِ خَـــدٍّ أَنِيـــقِ وَاوَ لَيْـــلٍ مَلِيحَـــةَ التَّفْرِيـــقِ
وَتَبَـــدَّتْ بِمُقْلَـــةٍ تَرْشُـــقُ القَـــلْ بَ بِأَلْحاظِهـــا وَقَـــدٍّ رَشِـــيقِ
ثُـــمَّ مَـــدَّتْ إِلَـــيَّ كَفّـــاً مِـــنَ اللُّـــؤ لُـــؤِ فيهـــا أَنامِـــلٌ مِـــنْ عَقِيـــقِ
فَاعْتَنَقْنَـــا عَلَـــى الطَّرِيـــقِ كَأَنّـــا مَـــا عَلَيْنَـــا لِنَـــاظِرٍ مِـــنْ طَرِيـــقِ

وَوَصَفَ –كَذَلِكَ– كَيفَ قَامَتْ مَحبُوبَتُهُ خِلالَ إِحدَى التَّجارِبِ الجِنسِيَّةِ بِتَغطِيَتِهِ وَتَغطِيَـتِ نَفسِهَا بِشَعرِهَا الأَسودِ الحَالِكِ الطَّوِيلِ؛ خَوفَاً مِنَ الرُّقَبَاءِ وَالوُشَاة، ثُمَّ صَوَّرَ نَفسَهُ مَـعَ المَحبُوبَـةِ لِشِدَّةِ بَيَاضِ جَسَدَيهِمَا بِالصُّبحِ المُنبَلِجِ خِلالَ الظَّلامِ المُطبِقِ وَاللَّيلِ البَهِيمِ الحَالِكِ السَّـواد، وَلِهَـذا التَّشبِيهِ دِلالَتُهُ الجِنسِيَّةُ الخَالِصَةُ، إِذْ يُشِيرُ إِلى تَجَرُّدِهِمَا مِنَ المَلابِسِ، وَقَد عَبَّرَ عَن ذَلِكَ كُلِّهِ فِـي قَولِهِ:[2]

[الكامل]

خِفْـــتُ الرَّقِيـــبَ فَجَلَّلَتْنِـــي شَـــعْرَها وَتَجَلَّلَـــتْ مِـــنْ خَـــوْفِ وَاشٍ يَرْمُـــقُ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص169.

[2] المصدر السابق، ص166.

فَكأَنَّنَـــا صُـــبْحانِ فـــي لَيْـــلٍ حَـــوى فَجْـــرَيْنِ بَيْنَهُمـــا ظَلَـــامٌ مُطْبِـــقُ
نَخْفَـــى إِذا خِفْنَـــا وَنَبْـــدُو تَـــارَةً فيـــهِ وَأَحْيانـــاً يَغِيـــبُ وَيُشْـــرِقُ
وَعُيُونُنَـــا قَـــدْ خَالَفَـــتْ رُقَبَاءَنَـــا وَقُلوبُنَـــا لِلْبَـــيْنِ مِـــنْهُمْ تَخْفُـــقُ

وَيَصِفُ الوأواءُ لَحظَةَ لِقَائِهِ بالمَحبُوبِ، وَعِنَاقِهِمَا وَتَطوِيقِهِمَا بَعضَهُمَا بَعضاً خِلالَ فَتـرَةِ الصَّباحِ فِي قولِهِ:[1]

[المنسرح]

عَانَقْـــتُ بَـــدْراً فِيـــهِ وَعَـــانَقَنِي فَصَـــارَ حَظِّـــي مِـــنْ ذَيْـــنِ حَظَّـــيْنِ
وَالبَـــدْرُ قَـــدْ وَشَّـــحَتْ يَـــداهُ مِـــنَ الْ وَجْـــدِ لأَعْنَاقِنَـــا وَشَـــاحَيْنِ
كَأَنَّمَـــا كَـــانَ عَاشِـــقاً ظَفِـــرَتْ يَـــدَاهُ مِـــنْ هَجْرِنَـــا بِوَصْـــلَيْنِ
كَأَنَّنَـــا وَالظَّـــلامُ يَجْمَعُنَـــا صُـــبْحانِ لاحَـــا مِـــنْ تَحْـــتِ لَيْلَـــينِ

وَهَا هُوَ ذَا يُصَوِّرُ بِكُلِّ جُرأَةٍ وَصَرَاحَةٍ زِيارَةَ المَحبُوبَةِ لَهُ صَبَاحاً، حَيْثُ دَعَتهُ إِلى نَفْسِهَا، وَيُصَرِّحُ بِأَنَّهُ أَجَابَ دَعوَتَهَا دونَ تَرَدُّدٍ أَو تَمَهُّل، وَقَامَ بِوِصَالِهَا حِسِّيَّاً، يقول:[2]

[مجزوء الرمل]

طَـــــالَعَتْني كطُلُـــــوعِ الْ بَـــدْرِ فـــي وَجْـــهِ الصَّـــباحِ
كَصَـــباحٍ تَحْـــتَ لَيْـــلٍ وَدَعَتْنـــي لاصْـــطِباحِ
فَأَجَبْناهـــا بِـــلا مَـــنْ عٍ إِلـــى تَـــرْكِ الصَّـــلاحِ
وَوَصَـــلْنَاها وَمَـــنْ يَـــصْ بِـــرُ عَـــنْ وَصْـــلِ الْمِـــلاحِ!

وَالوأواءُ لا يَأْبَهُ بِأَنْ يَدعُوَ المَحبُوبَةَ التي جَمَعَتْ كُلَّ صِفَاتِ الحُسْنِ وَالجَمَـالِ إِلـى أَنْ تُسَاعِدَهُ عَلَى نَفْيِ الشَّوقِ وَالسَّهَرِ وَالسَّقَمِ وَالضَّنى الذي يُعَانِيه، وَذَلِكَ بِأَنْ تَجُودَ عَلَيهِ بِقُبلَـةٍ مِـن فَمِهَا وَبِرَشْفَةٍ مِن رِيقِهَا:[3]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص225.

[2] المصدر السابق، ص70-71.

[3] المصدر السابق، ص268.

[الكامل]

يا مَنْ حَـوَتْ كُـلَّ الْمَحاسِـنِ فـي الـوَرى وَالْحُسْـنُ فيهـا عَـاكِفٌ فِـي بـادِ
رِفْقـاً بِمَـنْ أَسَـرَتْ عُيُونُـكَ قَلْبَـهُ وَدَعِـي السُّـيُوفَ تَقِـرُّ فـي الأَغْمـادِ
وَتَعَطَّفِـي جُـوداً عَلَـيَّ بِقُبْلَـةٍ فَبِمِـيمِ مَبْسَـمِكِ شِـفاءُ الصَّـادِي
مَاتَـتْ -أَطَـالَ اللهُ عُمْـرَكِ- سَـلْوَتِي وَلَقَـدْ فَنِـي صَـبْرِي وَعَـاشَ سُـهَادِي

وَتَجدُرُ الإِشَارَةُ إِلى أَنَّهُ كَثِيراً مَا كَانَ يَحِنُّ إِلى لَيالِي اللِّقَاءِ وَالوِصَالِ وَالعِنَـاقِ، وَيَتُـوقُ إِلَيهَا، فَهَا هُوَ ذَا يَدعُو لَهَا بالسُّقيا وَالخَير:[1]

[الطويل]

سَـقَى اللهُ لَـيْلا طَـالَ إِذْ زَارَ طَيْفُـهُ فَأَفْنَيْتُـهُ حَتَّـى الصَّـباحِ عِناقَـا
بِطِيـبِ نَسِـيمٍ مِنْـهُ يُسْـتَجْلَبُ الكَـرى وَلَـوْ رَقَـدَ الْمَخْمُـورُ فيـهِ أَفاقَـا
تَمَلَّكَنِـي لَمَّـا تَمَلَّـكَ مُهْجَتِـي وَفَـارَقَنِي لَمَّـا أَمِنْـتُ فِراقَـا

وَلا يَخلُو هَذَا الضَّرْبُ مِنْ غَزَلِ الوأواءِ مِنَ العِتَابِ، حَيثُ يَبدُو أَنَّـهُ قُوبِـلَ بالصُّـدُودِ وَالهِجرَانِ مِن المَحبُوبَةِ بَعدَ أَنْ حَصَلَ مِنْهَا عَلَى الوُدِّ وَالوِصَال، فَأَخَذَ يُذَكِّرُهَا بِمَا جَرَى بَينَهُمَـا مِن غَرَامٍ وَهِيَامٍ وَاتِّصَالٍ جَسَدِيٍّ وَمُغَامَرَةٍ حِسِّيَّةٍ فِي لَيلَةٍ غَابَ عَنهُمَا فِيهَا الرُّقَبَاء؛ فَلَعَلَّـهُ بِـذَلِكَ يَستفِزُّهَا وَيَستَثِيرُ حَفِيظَتَهَا، وَيَدفَعُهَا لِلعَودَةِ إِلى وِصَالِهِ، يقول:[2]

[المُجتث]

لمَّـا تحققـتَ ودِّي أَعْقَبْـتَ وَصْـلاً بِصَـدِّ
يـا أَصـفَقَ النـاسِ وَجْهـاً يـا ناقِضـاً كُـلَّ عَهْـدِ
لا تَـنْسَ لَيْلَـةَ كُنَّـا فـي الضَّـمِّ رُوحـاً لِفَـرْدِ
ومـا عَلَيْنـا رَقِيـبٌ يُـديلُ قُرْبـاً بِبُعْـدِ
إِلا نُجـومٌ أَنـارَتْ كالـدُّرِّ فـي لازَوَرْدِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص164-165.

[2] المصدر السابق، ص93.

هَذِهِ هِيَ الحِسِّيَّةُ المَادِّيَّةُ الفَاحِشَةُ الفَاضِحَةُ التي تَغَنَّى بِهَا الوأواءُ فِي شِعرِهِ الغَزَلِيّ، فَهِيَ تَغصُّ بالإِشَارَاتِ الجِنسِيَّةِ المُتَهَتِّكَةِ المُبتَذَلَةِ وَالتَّعَابِيرِ الفَاضِحَةِ التي تَنحَدِرُ مَعَهَا الأَخلاقُ، وَتُهدَرُ العِفَّةُ، وَيُخدَشُ الحَياءُ العَامّ، مِن مِثل: العَضّ، وَالقَرص، وَمَصّ اللِّسان، وَخَلَعتُ عَذاري، وَتَهَتَّكَ سِتري، وَأَلثُم، وَالضَّمّ، وَالتَّقبِيل، وَعَانَقت، وَعَانَقَنِي، وَتَرشَّفتُ مِن شَفَتَيه ...

ب: الغَزَلُ الحِسِّيُّ غَيرُ الفَاحِش

يَضُمُّ ديوانُ الوأواءِ الكَثيرَ مِنَ الأَشعارِ الغَزَلِيَّةِ الحِسِّيَّةِ التي تَدُورُ حَولَ جَسَدِ المَرأَةِ، وَتَشرَحُهُ وَتَصِفُهُ وَصْفاً مَادِّيّاً، وَتُصَوِّرُ مَفَاتِنَهُ، وَتَتَغَنَّى بِمُغرياتِهِ لَكِن مِنْ غَيْرِ الوُصُولِ –في مُعْظَمِ الأَحيانِ– إِلى مَرحَلَةِ التَّهتُّكِ، وَالخَلاعَةِ، وَالإِسفافِ، وَالابتِذَالِ، وَخَلعِ العَذارِ الذي يَخدِشُ الحَياءَ وَلا يُناسِبُ الذَّوقَ العَامّ.

وَإِذَا مَا تَتَبَّعنَا تِلكَ الأَشعَارَ، نَجِدُ أَنَّ الشَّاعِرَ الوأواءَ قَدْ رَسَمَ فِيها صُورَةً جَسَدِيَّةً مِثَالِيَّةً مُتكامِلَةً لِلمَرأَةِ المَحبُوبَةِ، وَلِمَواضِعِ الإِغراءِ وَالفِتنَةِ فِيهَا، وَقَدْ جَمَعَ كَثيراً مِنهَا فِي قَولِهِ:[1]

[الخفيف]

فَتَنَتْنَا سَوالِفٌ وَخُدُودُ وعيونٌ فَوَاتِرٌ وقُدُودُ
ووُجُوهٌ مثلُ التَّواصُلِ بيضٌ وشُعورٌ مثلُ التَّقاطُعِ سُودُ
ملكتْنا بِضِعْفِهِنَّ ظِباءٌ فَخَضَعنا لها ونحنُ أُسُودُ

وَيُصَرِّحُ الوأواءُ بِأَنَّ المَحبُوبَةَ أَكثَرُ حُسْناً وَجَمَالاً مِنَ الشَّمسِ ذَاتِهَا، فَهِيَ إِذا مَا رَأَتْهَا اختَفَتْ خَجَلاً وَحَيَاءً، يقول:[2]

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ ما طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَتِها يَوْماً عَلَى أَحَدِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص90.

[2] المصدر السابق، ص266.

وَيُكَرِّرُ المَعنَى السَّابِقَ فِي القَالبِ ذَاتِهِ مَعَ تَغييرِ بَعْضِ الأَلفاظِ فِي قَولِهِ:[1]

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَوْ رَأَتْهـا الشَّـمْسُ مَـا طَلَعَـتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَتِهـا يَوْمـاً عَلَـى أَحَـدِ

وَيَذكُرُ أَنَّ مَحبُوبَتَهُ أَجمَلُ مِنَ البَدرِ، فَالبَدرُ ذَاتُهُ إِذَا مَا رَآهَا فَإِنَّـهُ يُصَـابُ بالكُسُـوفِ وَالخَجَلِ، وَيَختَفِي احتِرَامَاً وَإِجلالا لَهَا، وَاعتِرَافَاً بِأَنَّهَا تَفُوقُهُ حُسنَاً وَمَلاحَةً وَإِشراقَاً، يقول:[2]

[مُخلّع البسيط]

لَـمْ يَبْـدُ لِلْبَـدْرِ قَـطُّ إِلا أَخْجَلَـهُ فَاكْتَسَـى كُسُـوفا

وَإِذا قَالَ أَحَدُهُم –مُستَعمِلاً التَّشبِيهَ المَقلُوبَ لِلمُبالَغَةِ فِي جَمَـالِ المَحبُوبَـةِ– إِنَّ البَـدرَ يُشبِهُهَا، فَإِنَّ البَدْرَ يَعتَرِضُ عَلَى هَذَا التَّشبِيهِ، وَيَعتَذِرُ لَهَا؛ لأَنَّهُ لَيسَ بِمُستَوَى حُسْنِهَا وَجَمالِهَـا، وَلَيسَ أَهلاً لِلتَّشَبُّهِ فِيهَا، وَقَد عَبَّرَ الوأواءُ عَنْ هَذِهِ الفِكرَةِ فِي قولِهِ:[3]

[البسيط]

يا ذا الَّـذي تُخْجِـلُ الأَغْصـانَ قَامَتُـهُ وَمَـنْ لَـهُ البَـدْرُ وَجْـهٌ وَالـدُّجى شَـعَرُ
وَمَـنْ إِذا قِيـلَ: إِنَّ البَـدْرَ يُشْـبِهُهُ حُسْـناً أَتـى البَـدْرُ مِمَّـا قِيـلَ يَعْتَـذِرُ

وَيَصِفُ الوأواءُ جَمَالَ المَحبُوبَةِ بِأَنَّهُ مِثَالِيٌّ مُتَكامِلٌ لا مَثِيلَ لَهُ وَلا مُشابِه، إِلى الدَّرَجَـةِ التي يَعجَزُ مَعَهَا الوَصَّافُونَ عَن وَصفِهِ، يقولُ فِي ذَلِكَ:[4]

[البسيط]

جَلَّـتْ مَحاسِـنُهُ عَـنْ كُـلِّ تَشْـبِيهِ وَجَلَّ عَنْ مُشْـبِهٍ فِـي الحُسْـنِ يَحْكِيـهِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص85.

[2] المصدر السابق، ص146.

[3] المصدر السابق، ص118.

[4] المصدر السابق، ص251.

انْظُرْ إِلى وَجْهِـهِ وَاسْـتَغْنِ عَـنْ صِـفَتِي سُـــبْحَانَ خالِقِـــهِ سُـــبْحانَ بارِيـــهِ

وَيَقُول:[1]

[المُجتث]

أَفْـــدِي الَّـــذي شَـــفَّ قَلْبِـــي بِغُنْجِـــــــــهِ وَالتِّيـــــــــهِ
حَـــــازَ الكَمـــــالَ فَأَضْـــحى بَـــــدْرُ الـــــدُّجى يَحْكِيـــــهِ
يُبـــــدِي غَرائِـــــبَ حُسْـــــنٍ جَلَّـــــتْ عَـــــنِ التَّشْـــــبِيهِ

وَجَعَلَ الوأواءُ وَجهَ المَحبُوبَةِ أَبيَضَ اللَّونِ، مُشرِقاً يَشِعُّ مِنهُ النُّورُ وَالضِّياءُ الـذي يُنيـرُ الظَّلامَ، وَبِذَلِكَ فَهُوَ يُغنِي عَن شُعلَةِ النَّارِ التي يُستَضَاءُ بِهَا، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ في قَولِهِ:[2]

[البسيط]

لَوْ أَنَّهـا فـي ظَـلامٍ لاسـتنارَ بِهَـا لأنَّ إِشـراقَها يُغنـي عَـنِ السُّـرُجِ

وَعَيْنَا المَحبُوبَةِ –مَصدَرُ السِّحْرِ وَالجَمَال– وَاسِعَتَانِ شَدِيدَتَا البَيَاض وَالسَّواد، وَالأَجفَـانُ فَاتِرَةٌ مُنكَسِرَةٌ ضَعِيفَةٌ مِن شِدَّةِ الغَنجِ وَالدَّلال، وَكَأَنَّها مُصَابَةٌ بِمَرَضٍ عُضَال:[3]

[البسيط]

انْظُـرْ إِلـى السِّـحرِ فـي عينيـهِ وَالـدَّعَجِ[4] كَأَنَّ أَجفانَـهُ مَرْضـى مـن الغُـنُجِ

وَيُكَرِّرُ شيئاً مِمَّا سَبَقَ فِي قَولِهِ:[5]

[الكامل]

وَمَرِيضِ كَـرِّ اللَّحْـظِ تَحسـبُ أَنَّمـا أَجفانُـــهُ نَشْـــوى بِـــلا خَمْـــرِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص253.

[2] المصدر سابق،ص68.

[3] المصدر السابق، ص67.

[4] الدَّعَج: شِدَّة سواد العين، وشِدَّة بياض بياضها، وقيل شِدَّة سوادها مع سعتها. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (دعج).

[5] الوأواء: **ديوانه**، ص105.

وَفِي قَولِهِ:[1]

[البسيط]

كَأَنَّهـــا اسْـــتَرْهَنَتْ[2] فـــي نـــاظِرِي سَـــقَماً بِلَحْظِ أَجْفانِهـــا المَرْضـــى مِـــنَ الغُـــنُجِ

وَيَبدُو أَنَّهُ أُعجِبَ بِشَعْرِهَا وَكَيفِيَّةِ تَصفيفِهِ وَطَرِيقَةِ تَنسيقِهِ، فَوَصَفَهُ وَصفاً بَارِعَـــاً، فَهُـــوَ نَاعِمٌ كَثِيفٌ مُنسَّقٌ عَلَى هَيئَةِ مَجمُوعَتَينِ مُتَخَالِفَتَينِ تُغَطِّيانِ مَنَاكِبَهَا، وَشَبَّه هَذَا التَّنسِيقَ بالصُّورَةِ التي تُكتَبُ عَلَيها كَلِمَةُ (لا)؛ لأَنَّها تَتَأَلَّفُ مِن خَطَّينِ مُتَخَالِفَين، وَقَدْ أَحْسَنَ باستِخدامِ كَلِمَةِ (غدائر) لِلدِّلالَةِ عَلَى كَثَافَةِ شَعْرِهَا وَنُعُومَتِهِ وَلُيُونَتِهِ، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ، وَتَشتَمِلُ عَلَى حَرفِ الأَلِفِ الذي يَحمِلُ مَعنَى اللُّيونَةِ وَالنُّعُومَةِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَن كُلِّ هَذا فِي قَولِهِ:[3]

[الطويل]

إِذا أَســبلتْ زهــواً غــدائِرَ شــعرِهَا تَوَشَّـــحْنَها مـــن طولهـــا بالمناكـــبِ
وخالَفْنَها لمـــا اســـتجرنَ لنـــا بهـــا كمـــا خالَفَـــتْ فـــي ((لا)) أَنامِـــلُ كاتـــبِ

وَشَعرُ صَدغِهَا الأَسوَدُ مُصَفَّفٌ عَلَى هَيئَةِ حَرفِ اللَّامِ، وَمُنسَدِلٌ عَلَى جَانِبَي وَجهِهَا، وَقَدْ شَبَّهَهُ بالخَرَزِ الأَسوَدِ، بِجَامِعِ الاشتِراكِ بِاللَّون، يقول:[4]

[البسيط]

تَقَنَّعَـــتْ بالـــدُّجى فَـــوْقَ الضـــحى فَجَلَـــتْ فـــي عـــاجِ عارِضِـــها لامـــاً مـــن السَّـــبَجِ[5]

وَدَمَجَ الوأواءُ فِي بَعضِ أَشعَارِهِ بَينَ وَصْفِ هَيئَةِ تَصفِيفِ شَعْرِ مَنْ يَعشَق وَلَونِهِ، فَهُـــوَ مُصَفَّفٌ وَمُقَوَّسٌ فَوقَ وَجنَتَيهِ النَّاصِعَتَينِ المُشرِقَتَينِ عَلَى هَيئَةِ حَرفِ اللَّام، وَلَونُهُ أَسْوَدُ حَالِك:[6]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص68.

[2] استرهن فلان من فلان: طلب منه رهنا. مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة (رَهَنَ).

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص25-26.

[4] المصدر السابق، ص67.

[5] السَّبَج: الخرز الأسود، وهي كلمة دخيلة مُعَرَّبة. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سبج).

[6] الوأواء: **ديوانه**، ص220.

[المنسرح]

صَـــوْلَجُ لامَـــيْنِ فـــي عِـــذَارَيْنِ فـــــي ذَهَبِيَّـــــيْنِ جَـــــوْهَرِيَّيْنِ
يَـــا بِـــأَبِي كَيْـــفَ شَـــفَّنِي سَـــقَماً سَـــوَادُ هَـــذَيْنِ فـــي سَـــنَا ذَيْـــنِ

وَتَحَدَّثَ –كَذَلِكَ– عَن صَدغَيْ المَعشُوقِ اللَّذَينِ صَفَّفَهُمَا فَوْقَ خَدَّيهِ عَلَـى هَيْئَـةِ حَلْقَـةٍ دَائِرِيَّةٍ، الأَمر الذي جَعَلَهُ يَزدَادُ حُسْنَاً وَجَمَالاً وَسِحرا، يقول:[1]

[السريع]

مَـــرَّ بِنَـــا فـــي قُرْطَـــقٍ أَخْضَـــرِ مُـــزَرفَنَ الأَصْـــداغِ بِـــالعَنْبَرِ[2]
قَـــدْ كَتَـــبَ الْحُسْـــنُ عَلَـــى خَـــدِّهِ: يَا أَعْـيُنَ النَّـاسِ قِفـي وانْظُـري!

وَشَبَّهَ شَعْرَ الصَّدغِ المُنَسَّق عَلَى هَيئَةِ حَرفِ اللَّامِ فِي لَونِهِ بالخَرَزِ الأَسوَدِ، وَذَلِـكَ فِـي قولِهِ:[3]

[البسيط]

لَهُ مِـنَ الـدُّرِّ عِقْـدٌ تَحْـتَ شَـارِبِهِ وَفَـوْقَ أَصْـداغِهِ لامـانِ مِـن سَـبَجِ[4]

وَجَعَلَ –فِي مُبالَغَةٍ وَاضِحَةٍ– شَعْرَ المَحبُوبَةِ أَشَدَّ سَوادَاً مِنَ اللَّيلِ الحَالِكِ:[5]

[البسيط]

وَزَائِـرٍ رَاعَ وَجْـهَ البَـيْنِ مَنْظَـرُهُ أَحْلَى مِنَ الأَمْـنِ عِنْـدَ الخَـائِفِ الوَجِـلِ
أَلْقَى عَلَـى اللَّيْـلِ لَـيْلا مِـنْ ذَوَائِبِـهِ فَهَابَـهُ الصُّـبْحُ أَنْ يَبْـدُو مِـنَ الْخَجَـلِ

وَلَقَد فُتِن الوأواءُ بالخُدُودِ الوَرديَّةِ الحَمراء، فَشَبَّهَهَا بِزَهْرِ الرُّمَّان في قولِهِ:[6]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص112.

[2] القُرطَق: القباء. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (قرطق). زرفن صُدغَيه: جعلهما كالحلقة. السابق، مادة (زرفن).

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص67.

[4] السَّبَج: الخَرَزُ الأسوَد، وأصله سَبَهْ. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سبج).

[5] الوأواء: **ديوانه**، ص180–181.

[6] المصدر السابق، ص266.

[البسيط]

إن كان فـــي جُلَّنَـــار[1] الخَـــدِّ مِـــنْ عَجَـــبٍ فَالصَّدْرُ يَطْـــرَحُ رُمَّانـــاً لِمَـــنْ يَـــرِدِ

وَشَبَّهَهَا –كَذَلِكَ– بالوَرد بِجَامِعِ الاشتِرَاكِ فِي النُّعُومَةِ وَالرِّقَّةِ وَالصَّفَاءِ وَاللَّون، وَمِن ذَلِكَ قولُهُ:[2]

[الوافر]

تَبَـــارَكَ مَـــنْ كَسَـــا خَـــدَّيْكَ وَرْداً تَطَلَّـــعَ مِـــنْ فُـــرُوعِ اليَاسَـــمِينِ

وَقَولُهُ:[3]

[مجزوء الرمل]

لـــــي حَبِيـــــبٌ خَـــــدُّهُ كـــــالْ وَردِ حُسْـــــناً فـــــي بَيـــــاضِ

وَلإظهَارِ شِدَّةِ نُعُومَتِهِمَا وَرِقَّتِهِمَا صَرَّحَ بِأَنَّ الوَردَ ذَاتَهُ مَأخُوذٌ مِنهُمَا:[4]

[البسيط]

النَّـــرْجِسُ الْغَـــضُّ مِـــنْ أَجْفَـــانِ مُقْلَتِـــهِ وَالوَرْدُ مِنْ خَـــدِّهِ وَالـــدُّرُّ مِـــنْ فِيـــهِ

وَفي قَولِهِ :[5]

[الكامل]

لَطَمَـــتْ بِعُنَّـــابِ الْبَنَـــانِ شَـــقَائِقَ الْ وَجَنَـــاتِ لَـــي فِـــي مَـــأْتَمِ الصَّـــدِّ
فَكَأَنَّـــهُ لَمَّـــا تَكَـــاثَفَ لَطْمُهَـــا فِـــي خَـــدِّها مِسْـــكٌ عَلَـــى وَرْدِ

---

[1] الجُلَّنار: زهر الرُّمّان. مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة (جُلَّنار).

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص228.

[3] المصدر السابق، ص134.

[4] المصدر السابق، ص251.

[5] المصدر السابق، ص77.

صوَّرَ البَنَانَ بالعنَّابِ، وَالوَجنَتَينِ بِشَقائِقِ النُّعمان، وَوَقَفَ عَلى الرَّائِحَةِ التي تَنبَعِثُ مِنَ الخَدِّ عِندَ اللَّطمِ، وجعلَها مِسكاً.

أُخرى شُمُوساً لا تَنطَفِئُ وَلا يَغِيبُ نُورُها وَضِياؤُها، يقول:[1]

[الطويل]

يُقِمْنَ لنا برقَ الثُّغورِ أَدِلَّةً إذا ما ضللنا في ظَلامِ الذَّوائبِ
شموسٌ متى تبدو تُضيءُ لنا الدُّجى فَمشرِقُها فيه بغيرِ مَغَاربِ

وَلَقَد دَهَشَتْ أَسنَانُهَا البَيضَاءُ النّاصِعَةُ اللَّامِعَةُ المُنتَظَمَةُ المُرتَّبَةُ تَرتِيباً مُحْكَماً يَخطِفُ عَقْلَ مَنْ يَنظُرُ إِلَيهَا، الوأواءَ، وَدَفَعَتهُ إِلى تَشبِيهِهَا بالدُّرِّ وَالحِجَارَةِ الكريمَة، يقول:[2]

[المتقارب]

لَهُ ضَاحِكٌ بَرْقُهُ خَاطِفٌ عُقُولَ الرِّجالِ إذا مَا ابْتَسَمْ
أَقُولُ لَهُ إِذْ بَدَا دُرُّهُ شَهِدْنَا لِصَانِعِهِ بِالْحِكَمْ
أَرى الدُّرَّ يَثْقُبُهُ النَّاظِمُونَ وَمَا ثَقَبُوا ذَا فَكَيْفَ انْتَظَمْ!

وَهَا هُوَ ذَا يُشَبِّهُهَا بِحُبَيبَاتِ البَرَدِ المُتجَمِّدَةِ المُتَسَاقِطَةِ مِنَ السَّماءِ، وَذَلِكَ فِي قولِه:[3]

[الكامل]

مُتَبَسِّمٌ عن لُؤلُؤٍ رَطبٍ حكى بَرَداً تساقَطَ من عُقُودِ سَماءِ

وَأُعجِبَ الوأواءُ بالنُّهُودِ وَالثُّدى المُستَدِيرَةِ، فَصَوَّرَهَا بِثَمَرَةِ الرُّمَّان فِي قولِه:[4]

[البسيط]

إن كان في جُلَّنارِ الخَدِّ مِنْ عَجَبٍ فَالصَّدْرُ يَطْرَحُ رُمَّاناً لِمَنْ يَرِدِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص26.

[2] المصدر السابق، ص212.

[3] المصدر السابق، ص4.

[4] المصدر السابق، ص266.

وَصوَّرَهَا –كَذَلِكَ– بالبَدْرِ وَقتَ تَمَامِهِ فِي قولِهِ:[1]

[الطويل]

وَتُظْهِرُ لـــي مـــن تَحْـــتِ أَزْرارِ جَيْبِهـــا إِذا ما بَدَتْ مـــن كُـــلِّ ناحيـــةٍ بَـــدْرَا

وَذَاتَ يَومٍ رَأَى الوأواءُ مَحبُوبَتَهُ فَجأَةً، فَغَطَّتْ وَجهَهَا بِسَاعِدِهَا خَجَلاً وَحَيَـــاءً، فَلاحَـــظَ جَمالَ ذَاكَ السَّاعِدِ وَحُسنَهُ وَضِياءَه، فَجَعَلَهُ عَمُوداً يُشِعُّ نُوراً وَضِيَاءً، وَجَعَلَ وَجهَهَا الأَبيضَ قَمَراً يَنبَعِثُ مِنهُ النُّور، وَذَلِكَ فِي قولِهِ:[2]

[المنسرح]

قَـــدْ سَـــتَرَتْ وَجْهَهـــا مِـــنَ الْخَفَـــرِ بِســـاعِدٍ حَـــلَّ عِقْـــدَ مُصْـــطَبَرِي
كَأَنَّـــــهُ –والعُيـــــونُ تَرْمُقُـــــهُ– عَمُـــودُ نُـــورٍ فـــي دَارَةِ القَمَـــرِ

وَيَبدُو أَنَّهُ لاحَظَ المَحبُوبَةَ وَقَد نَقشَتْ معصَمَهَا وَزَرْكَشَتْهُ وَخَضَّبَتهُ بالحِنَّاء، فَأُعجِبَ بِذَاكَ المَنظَرِ، وَشَبَّهَهُ بِمَنظَرِ النَّملِ وَهُوَ يَسِيرُ مُتَتَالِياً وَرَاءَ بَعْضِهِ بَعضَاً، وَبِالبَرَدِ الذي يَتَسَـــاقَطُ مِـــنَ السُّحبِ وَيَتَجَمَّعُ فِي كُتَلٍ تُشَكِّلُ مَنَاظِرَ مُمَيَّزَةً، يقول:[3]

[البسيط]

نَالَتْ عَلَى يَـدِها مَـا لَـمْ تَنَلْـهُ يَـدِي نَقْشاً عَلَى مِعْصَـمٍ أَوْهَـتْ بِـهِ جَلَـدِي
كَأَنَّـــهُ طُـــرْقُ نَمْـــلٍ فـــي أَنَامِلِهـــا أَوْ رَوْضَـــةٌ رَصَّـــعَتْها السُّـــحْبُ بِـــالبَرَدِ

وَكَفُّ المَحبُوبَةِ –كَبَقِيَّةِ جَسَدِهَا– أَبيضُ ناعِمٌ مضيءٌ يشفُّ مثلَ الماء، يقول:[4]

[البسيط]

لَها مِـــنَ الْمَـــاءِ كَـــفٌّ فـــي أَنامِلِهـــا إِذْ صافَحَتْني بِـــهِ نَـــارٌ عَلَـــى وَهَـــجِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص104.

[2] المصدر السابق، ص102.

[3] المصدر السابق، ص265.

[4] المصدر السابق، ص68.

تَكادُ مِـنْ لَمَعـانِ الْحُسْـنِ تَسْـتُرُهُ كَأَنَّمـا طَرَّفَتْـهُ مِـنْ دَمِ المُهَـجِ

وَفِي أَحَدِ مَجَالِسِ اللَّهوِ وَالمُجُونِ وَالغِناءِ تَأَمَّلَ أَصَابِعَ مُغَنِّيةٍ وَهِيَ تَضْرِبُ عَلَى العُودِ بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ وَدِقَّةٍ مُتَناهِيَةٍ، فَفُتِنَ بِهَا، وَجَعَلَهَا قِطَعاً مِنَ الحِجَارَةِ الكَرِيمَةِ (الدُّرّ والياقوت) فِي قولِهِ:[1]

[الطويل]

أَشَـارَتْ بِـأَطْرَافٍ لِطَـافٍ كَأَنَّهـا أَنَامِـلُ دُرٍّ قُمِّعَـتْ بِعَقِيـقِ
وَدَارَتْ عَلَـى الأَوْتَـارِ جَسَّـاً كَأَنَّهـا بَنَـانُ طَبِيـبٍ فِـي مَجَـسِّ عُـرُوقِ

وَلَمْ يَنْسَ الوأواءُ أَنْ يَقِفَ عِندَ اثنَينِ مِن أَكثَرِ مَواضِعِ الإِثارَةِ وَالفِتنَةِ فِي جَسَدِ المرأَة، وَهُمَا الخَصرُ وَالرِّدْفُ، فَوَصَفَهُمَا وَجَعَلَ الخَصْرَ نَاحِلاً لَيِّناً أَهيَف، وَجَعَلَ رِدْفَهَا عَظِيماً مُمتَلِئاً يَتَرَجرَجُ وَراءَها، يقول:[2]

[البسيط]

وَخَصْـرُها ناحِـلٌ مِثْلِـي علـى كَفَـلٍ مُرَجْرَجٍ قَدْ حَكَـى الأَحْـزَانَ فِـي الْخَلَـدِّ

وَهَا هُوَ ذَا يَتَغَنَّى بِضُمُورِ خَصرِ المَحبُوبَةِ وَهَيَفِهِ، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[3]

[مجزوء الكامل]

جَـرَحَ الْفُـؤادَ بِصَـدِّهِ مَـنْ لا يَـرِقُّ لِعَبْـدِهِ
حُلْـوُ الشَّـمائِلِ أَهْيَـفٌ فَضَـحَ القضـيبَ بِقَـدِّهِ

وَقولِهِ:[4]

[المنسرح]

تَـاهَ بِقَـدٍّ يُزْهَـى بِـهِ الهَيَـفُ كَأَنَّـهُ فِـي قَوامِـهِ أَلِـفُ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص275.

[2] المصدر السابق، ص266.

[3] المصدر السابق، ص89.

[4] المصدر السابق، ص151.

وَلِلمُبَالَغَةِ فِي إِظهَارِ نُحُولِ جَسَدَ المَعشُوقَةِ وَلِينِهِ وَرِقَّتِهِ، يُصَرِّحُ الوأواءُ بِأَنَّهُ يَخَافُ عَلَيهَا إِذا مَشَت عَلَى رِجْلَيْهَا أَنْ تَتَقَصَّفَ وَتَتَكَسَّر، يقول:[1]

[الكامل]

أَخْشَـــى عَلَيْـــكَ إِذا مَشَـــيْتَ تَقَصُّـــفَاً وَكَـــذا يُخَـــافُ عَلَـــى القَضـــيبِ إِذَا نَشَـــا

وَإِذَا كَانَ خَصرُ المَحبُوبَةِ نَاحِلَاً ضَامِرَاً، فَإِنَّ رِدفَها عَظِيمٌ مُمْتَلِئٌ ثَقِيلٌ إِلى دَرَجَـــةِ أَنَّـــهُ يَمنَعُهَا فِي بَعضِ الأَحيَانِ مِنَ النُّهُوضِ مِن مَجلِسِهَا، وَقَدْ عَبَّرَ الوأواءُ عَن هَذَا المَعنَى فِي قولِهِ:[2]

[الرجز]

مَرِيضُ كَرِّ الطَّـــرْفِ مِـــنْ غَيْـــرِ مَـــرَضْ كَأَنَّمَـــا قَتْلِـــي عَلَيْـــهِ مُفْتَـــرَضْ
تُقْعِـــــدُهُ أَرْدافُـــــهُ إِذا نَهَـــــضْ كَأَنَّـــهُ لَـــيْسَ لَـــهُ مِنْهَـــا عِـــوَضْ

وَالمَحبُوبُ مُنَعَّمٌ مُترَفٌ لَطِيفٌ حَسَّاسٌ إِلى الدَّرَجَةِ التي لا يَستَطِيعُ مَعَهَا حَمْـــلَ الوِشَـــاحِ الذي يَتَزَيَّنُ فِيهِ، وَذَلِكَ عَلَى الرّغمِ مِن خِفَّةِ وزنِهِ، يقول:[3]

[الكامل]

وَمُهَفْهَـــفٍ كالغُصـــنِ هَزَّتْـــهُ الصَّـــبا فَصَـــبا إِليـــهِ مِـــنَ الفُتُـــونِ هَـــوائِي
يُوهِيهِ حَمْـــلُ وِشَـــاحِهِ فَتَـــراهُ مِـــن تَـــرَفِ النَّعِـــيمِ يَـــئِنُّ فِـــي إِخْفَـــاءِ

وَفِي خَاتِمَةِ استِعراضِ هَذِهِ الجُزئِيَّةِ مِن غَزَلِ الوأواءِ، تَجدُرُ الإِشارَةُ إِلى أَنَّهُ جَمَعَ خَمْسَ استِعَارَاتٍ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، الأَمر الذي يَدُلُّ عَلَى بَرَاعَتِهِ الفنِّيَّة وَشَاعِرِيَّتِهِ الفَذَّة، مِمَّا دَفَعَ أَبا هِلال العَسكَرِيّ إِلى التَّعبيرِ عَن إِعجَابِهِ فِيهِ بِقولِهِ: "لا أعرف لهذا البيت ثانياً في أشعارهم"[4]، وَفِيـــهِ شَبَّهَ الشَّاعِرُ دُمُوعَ المَحبُوبَةِ اللَّامِعَةِ التي تَنحَدِرُ مِن عَينَيهَا بِحُبَيبَاتِ اللُّؤلـــؤ، وَعُيونَهَـــا بِزَهْـــرِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص133.

[2] المصدر السابق، ص135.

[3] المصدر السابق، ص3.

[4] العسكري، أبو هلال: **الصناعتين**، ص251.

النَّرجِس، وَجَعَلَ خُدودَهَا وَرداً بِجامِعِ النُّعُومَةِ وَالحُمرَةِ، وَشَبَّهَ أَنَاملَهَا المُخَضَّبَةَ بالعُنَّابِ الأَحمَر، وَأَسنَانَهَا بِحُبَيبَاتِ الماءِ المُتَجَمِّد، وَذَلِكَ فِي قولِه:[1]

[البسيط]

قَالَــتْ، وَقَــدْ فَتَكَــتْ فينــا لَواحِظُهَــا: كَمْ ذَا أَمَــا لِقَتيــلِ الْحُــبِّ مِــنْ قَــوَدِ؟!
وَأَمْطَــرَتْ لُؤْلُــؤاً مِــنْ نَــرْجِسٍ وَسَــقَتْ وَرْداً وَعَضَّــتْ عَلَــى العُنَّــابِ بِــالْبَرَدِ

وَمِمَّا سَبَقَ يَبدُو جَلِيَّاً أَنَّ الوأواءَ تَغَزَّلَ بالأُنثَى غَزَلاً حِسِّيَّاً غَيْرَ فَاحِشٍ، فَصَوَّرَ مَوَاضِعَ الجَمَالِ وَالفِتنَةِ وَالإغرَاءِ فِي جَسَدِهَا، كَالوَجهِ، وَالخُدُودِ، وَالأسنانِ، وَالشَّعرِ، وَالسَّاعِدِ، وَالنُّهُودِ، وَالخُصُورِ، وَالأردافِ مِن غَيرِ إِسفَافٍ أَو ابتِذَالٍ وَامتِهَانٍ، وَاستَعمَلَ لِتَحقِيقِ ذَلِكَ العديدَ مِنَ الصُّوَرِ التي اعتَمَدَ فِي صِيَاغَتِهَا عَلَى أَشيَاءَ مَادِّيَّةٍ تَشتَمِلُ عَلَى قَدرٍ مِنَ الرِّقَّةِ وَالنُّعومَةِ التي تَتَنَاسَبُ مَعَ نُعُومَةِ المرأَةِ وَحَسَاسِيَّتِهَا، كَالدُّرِّ، وَالياقُوتِ، وَالوردِ، وَزَهْرِ الرُّمَّانِ، وَشَقَائِقِ النُّعمانِ، وَالمَاءِ، وَالبَرَدِ، وَالشَّمسِ، وَالبَدر.

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص83-84.

الفَصلُ الثَّالث

السِّماتُ الفنِّيَّة لِلوَصفِ وَالغَزَلِ
في شِعرِ الوأواءِ الدِّمشقيّ

المَبحَثُ الأَوَّلُ

البناءُ الفَنِّيُّ لِلقَصيدَة

بينَ أَيدينا كَثيرٌ مِن شِعْرِ الوأواءِ الدِّمشقِيِّ، وَقَد جَاءَ مُوَزَّعاً عَلى أَربَعَةِ أَنمَاط، فَمِنهُ مَا كانَ عَلى هَيئَةِ قَصائِد، حَيثُ بَلَغَ عَدَدُها خَمساً وَثَلاثين قَصيدةً، وَمِنهُ مَا جَاءَ عَلى صُورَةِ مَقطُوعَاتٍ قَصيرةٍ، وَقَد بَلَغَ عَددُها مئَتَين وَتِسعَ مَقطوعاتٍ، وَمِنهُ مَا جَاءَ عَلى شَكلِ نُتَفٍ وَصَلَ عَدَدُها إِلى ثَمانٍ وَثَمانِينَ نُتفَةً، فَضلاً عَنِ الأَبياتِ المُفرَدَةِ التي بَلَغَ عَدَدُها بَيتَينِ اثنَين.

وَيَظهَرُ مِنَ الإحصائِيَّةِ السَّابِقَةِ كَثرة شَكلِ المَقطُوعَةِ وتَعَدُّدِ نماذِجِها فِي شِعرِهِ، حيثُ احتَلَّت حَيِّزاً كبيراً منهُ، وَالمَقطوعَةُ الشِّعريَّةُ "إطار محدود وضيق، يعبر فيه الشاعر أحياناً عن خاطر راوده، أو شعور حاد في لحظة من اللحظات، أو معنى طريف جال بنفسه فاقتنصه دون أن يتوسع فيه أو يولد منه ما يصنع قصيدة طويلة"[1]، وَرُبَّما تَكونُ "صورة لطيفة مبتكرة، لمعت في خيال الشاعر فبادر إلى تسجيلها ثم اكتفى بها حين رآها متكاملة تقوم بنفسها"[2].

وَلَقَد وَظَّفَ الوأواءُ المقطوعَةَ الشِّعريَّةَ لِلحَديثِ عَن كُلِّ آفاقِ التَّجرِبَةِ الشِّعرِيَّةِ التي حَلَّقَ فِيهَا وَأَبحَرَ بِها، كَالغَزَلِ، وَالخَمرِ، وَالمُجونِ، وَالرَّوضِيَّاتِ وَالزَّهرِيَّاتِ، وَوَصفِ وَالكواكِبِ وَالنُّجومِ وَمَظَاهِرِ الحَضارَة...

وَرُبَّمَا تُفَسَّرُ ظَاهِرَةُ كَثرَةِ المَقطُوعَاتِ فِي شِعرِهِ بِضَياعِ قَدرٍ كَبِيرٍ مِنهُ، وَبِهَذَا لَم يَبقَ مِن قَصائِدِهِ سوى مَقطُوعَاتٍ تَتَأَلَّفُ مِن عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنَ الأبيات، وَرُبَّمَا تَكونُ عَائِدَةً إلى إقبالِهِ عَلى هَذَا النَّمَطِ الشِّعرِيِّ، تَدفَعُهُ إِلَيهِ العَواملُ وَالأسبَابُ الآتِية:

أَوَّلاً: شُيوعُ الغِناء:

لَقَد انتَشَرَ الغِنَاءُ في العَصرِ العَبَّاسِيِّ انتِشاراً كَبيراً بَينَ مُختَلَفِ طَبَقاتِ المُجتَمَع، وَطَبيعَةُ هذا الفَنِّ تَفرِضُ عَلى الشُّعراءِ أَن يَقصرُوا شِعرَهُم عَلَى المُقَطَّعاتِ القَصيرَةِ؛ حَتَّى يَتَمَكَّنُوا مِن

---

[1] إسماعيل، عز الدين: **في الأدب العباسي الرؤية والفن**، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1975، ص418.

[2] المرجع السابق، ص419.

تَقديمِهَا فِي إِطارٍ مُوسيقِيٍّ جَذَّابٍ، وَحَتَّى تَتَلاءَمَ مَعانِيهَا المَحدودة المُباشرة مَعَ مَا يَتَطَلَّبُهُ الغِنـــاءُ مِن تَأثيرٍ سَرِيعٍ وَتَطرِيبٍ مُباشرٍ.

ثَانياً: الوحدةُ المَوضوعِيَّة:

فَبَعضُ الشُّعَرَاءِ العَبَّاسِيِّنَ كانوا يَقصرونَ أَشعارَهُم عَلَى فِكرَةٍ مُعيَّنة، لا يَتَجاوَزُونَها إِلى غَيرِها، وَمعالَجَةُ هذِهِ الفِكرَةِ تأتِي فِي أَبياتٍ قليلَةٍ مَعدودَة.

ثَالِثاً: التَّطَوُّرُ الحَضارِيّ:

مِنَ المَعلومِ أَنَّهُ كُلَّما تَعَقَّدَت أَسبابُ الحَضَارَةِ وَطَرائِقُ العَيْشِ أَصبَحَتْ نُفُوسُ النَّاسِ تَسأَمُ الأعمالَ الأَدَبِيَّةَ المُطَوَّلةَ وَتنفرُ مِنها؛ لأَنَّهم يَعيشُونَ –آنذاك– أَيَّامَهُم فِي إِيقاعٍ مُتسارِعٍ، حيثُ لا يَتَوَفَّرُ لَدَيهِم وَقتٌ لِقِراءَةِ مِثل تِلكَ المُطَوَّلاتِ أَو الاستِمَاعِ إِلَيها، فَهُم مُنشَغِلُونَ بالتِّجارَةِ وَالزِّراعَةِ وَالصِّناعَة، وَالاستِمتَاعِ بِالحَياةِ اللاهِيَةِ المَاجِنَةِ وَلَذائِذِهَا وَمُغرياتِها، وَهذا مَا هــوَ حاصِــلٌ فــي العَصرِ العبَّاسِيِّ، لِذا لَجَأَ بَعضُ الشُّعراءِ إِلى المُقَطَّعَاتِ القَصيرَةِ الخَفيفَةِ، فَهِيَ أَكثرُ تَقــبُّلاً لــدى النَّاس[1].

وَفِيمَا يَخُصُّ قَصَائِدَه، فَقَد تَعَدَّدَت مَوضُوعَاتُهَا وَأَغرَاضُها، فَمِنهَــا الغَزَلِيَّــات، وَمِنهَــا المَدَائِح، وَمِنهَا الخَمرِيَّات، وَمِنهَا الرَّوضِيَّات، أَمَّا مِن حَيثُ الكَمُّ، فَقَد كَانَت فِي الغَزَلِ وَالخَمــرِ وَالرِّياضِ تَتَراوَحُ بَينَ القِصَرِ وَالتَّوسُّط، فَعَدَدُ أَبياتِها بَينَ سَبعَةٍ إِلى ثَلاثِينَ بَيتاً، وَلَعَلَّ ذلِكَ عَائِــدٌ إِلى ضَيَاعِ قِسمٍ مِنهَا مَعَ مَا ضَاعَ مِن أَشعَارِه، أَمَّا مَدائِحُه، فَقَد كانَت طَوِيلةً إِلى متوسِّطة الحجمِ، وَأَطوَلُها بائِيَّتُهُ فِي سَيفِ الدَّولَةِ الحمدانِيّ، حيثُ بَلَغَ عَدَدُ أَبياتِهَا ثلاثةً وخمسينَ بَيتاً، وَهِيَ أَطولُ قَصيدَةٍ فِي دِيوانِه، وَيَرجِعُ ذلِكَ –أَي طول قَصائِدِ المدحِ فِي شِعرِهِ– إِلى أَنَّ أَغراضَهَا مُتنوِّعَــةٌ وَمَوضَوعاتُهَا مُتَعَدِّدة، لِذَا فَهوَ مُحتاجٌ إِلى مِساحَةٍ شِعريَّةٍ كبيرَةٍ، وَأَبياتٍ كثيرَةٍ لِلتَّعبيــرِ عَنهــا، وَمُعالَجَتِها عَلى أَكمَلِ وَجه.

---

[1] يُنظر: هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، ص148–149.

وَقَد قَدَّمَ الوأواءُ لِمُعظَمِ قَصَائِدِهِ بِمُقَدِّمَاتٍ تَسبِقُ الغَرَضَ الرَّئِيس، وَالمُقَدِّمَةُ عَادَةً مَا تَكُونُ "خاصة بالشاعر يتحدث فيها عن آماله وآلامه، عن ضميره وخلجات نفسه، عن حبٍ زال وحبيب رحل، عن شباب غاب وشيب سطع، إنها تعكس أهم ما يشغل بال الشاعر ويدور في نفسه، وذلك قبل أن يتلاشى في الغرض العام للقصيدة"[1].

وَقَد تَنَوَّعَت مُقَدِّمَاتُ الوأواءِ وَتَعَدَّدَت أَنمَاطُهَا، فَأَكثَرُهَا شُيُوعاً المُقَدِّمَةُ الطَّلَلِيَّة، حَيثُ تَصَدَّرَت كَثِيراً مِن مَدَائِحِهِ وَغَزَلِيَّاتِهِ وَخَمرِيَّاتِه، فَكَثِيراً مَا كَانَ يَقِفُ عَلَى الأطلالِ وَيَبكِيهَا، وَيَطلُبُ مِن أَصحَابِهِ الوُقُوفَ عَلَيهَا وَبُكاءَها، وَيَتَغَنَّى بِعَنَاصِرِهَا وَمُكَوِّنَاتِهَا كَالنُّؤي وَالأثَافِي، وَيَصِفُ مَا أَصَابَهَا مِن بَلاءٍ وَدَمَارٍ وَهَلاكٍ وَخَرابٍ وَانعِدَامٍ لِلحَرَكَةِ وَالحَيَاة، وَيَتَحَدَّثُ عَمَّا أَصَابَهُ مِن حُزنٍ وَسَقَمٍ وَأَلَمٍ عِندَ رُؤيَتِهَا وَالمُرُورِ بِهَا، وَأَحياناً يَدعُو لَهَا بالخَيرِ وَالسَّلامَة، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ لِمَدحِ سَيفِ الدَّولَةِ الحَمدَانِيّ:[2]

[الطويل]

أَمَغنَى الهَوَى غَالَتكَ أَيدِي النَّوائِبِ ... فَأَصبَحتَ مَغنَى لِلصَّبَا وَالجَنَائِبِ
إِذا أَبصَرَتكَ العَينُ جَادَتْ بِمُذْهَبٍ ... عَلَى مَذْهَبٍ فِي الخَدِّ بَينَ المَذَاهِبِ
أَثَافٍ كَنَقْطِ الشَّاءِ فِي طِرسِ دِمنَةٍ ... وَنُؤيٍ كَدَوْرِ النُّونِ مِن خَطِّ كَاتِبِ

وَقَولُهُ فِي مُقَدِّمَةِ مِدحَةٍ أُخرى لَه:[3]

[الطويل]

قِفُوا مَا عَلَيكُم مِن وُقُوفِ الرَّكَائِبِ ... لِنَبذِلَ مَذخُورَ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ
وَإِلا فَدُلُّونِي عَلَى الصَّبرِ إِنَّنِي ... رَأَيتُ اصطِبَارِي مِن أَعَزِّ المَطَالِبِ

وَقَولُهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ لِمَدحِ الشَّرِيفِ العَقِيقِيّ:[4]

---

[1] زاهر، جمال: **شعر الوأواء الدمشقي**، ص279.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص16-17.

[3] المصدر السابق، ص24.

[4] المصدر السابق، ص214.

[الكامل]

لِمَـــنِ الرُّسُـــومُ بِ ((رَامَتَـــيْنِ)) بَلِينـــا كُسِـــيَتْ مَعَالِمُهَـــا الْهَـــوى وَعَرِينـــا
دِمَـــنٌ فُطِمْـــنَ مِـــنَ الصِّـــبى وَتَبَـــدَّلَتْ حَرَكَـــاتُهُنَّ مِـــنَ الغَـــرامِ سُـــكُونا
أَيَقِظَـــتُ فِيهَـــا كُـــلَّ وَجـــدٍ هَـــاجِعٍ بِيَـــدِ السُّـــهَادِ وَمَـــا أَرَدتُ مُعِينَـــا

وَقَولُهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ لإحدى خَمرِيَّاتِه:[1]

[الطويل]

أَيَا رَبـــعَ صَـــبرِي كَيـــفَ طَاوَعَـــكَ البلـــى فَجَدَّدتَ عَهـــدَ الشَّـــوقِ فِـــي دِمَـــنِ الهَـــوَى
وَأَجرَيتَ مَـــاءَ الوَصـــلِ فِـــي تُربَـــةِ الجَفَـــا فَأَورَقَ غُصْـــنُ الحُـــبِّ فِـــي رَوضَـــةِ الرِّضَـــا

وَقَولُهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ لإحدى غَزَلِيَّاتِه:[2]

[الطويل]

أَرَبـــعَ البِلـــى إِنِّـــي إِلَيـــكَ لَشَـــاكِ وَإِنِّـــي عَلَـــى وَجـــدِي عَلَيـــكَ لَبَـــاكِ
وَمَـــا ذَاكَ مِـــن بُقْيَـــا عَلَيـــكَ وَإِنَّمَـــا لِعِشْـــقِ بُكَـــائِي فِيـــكَ حُـــبَّ هَلاكِـــي
أَيَـــا دِمنَـــةَ اللَّـــذَّاتِ لا زَالَ دَائِمَـــاً عَلَيـــكِ مِـــنَ الإِشْـــرَاقِ نُـــورُ بَهَـــاكِ

وَيَبرُزُ فِي شِعرِهِ نَمَطٌ آخَر مِنَ المُقَدِّمَات، وَهِي المُقَدِّمَةُ الغَزَلِيَّة، وَقَد اهتَمَّ بِهَا كَغَيرِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ، وَذَلِكَ لِمَا فِي الغَزَلِ وَالنَّسِيبِ "من عطف القلوب، واستدعاء القَبُول بحسب ما في الطباع من حب الغزل، والميل إلى اللهو والنساء"[3]، وَفِي هَذِهِ المُقَدِّمَاتِ تَغَزَّلَ بالمَحبُوبَةِ، وَتَغَنَّى بِحُسنِهَا وَجَمَالِها، وَبِمَظَاهِرِ فِتنَتِهَا وَبَهائِهَا وَسِحرِهَا، وَوَصَفَ قوامَها وَرِقَّتَهَا وَنُعُومَتَها وَإِشرَاقَ وَجهِهَا، وَتَغَنَّى بِشَعرِهَا وَعُيُونِهَا وَخُدُودِهَا وَأَسنَانِهَا...، وَيَظهَرُ ذَلِكَ مِن مُقَدِّمَتِهِ لإحدى خَمرِيَّاتِه، حَيثُ يَقُول:[4]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص8.

[2] المصدر السابق، ص171.

[3] القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسنِ الشعر وآدابه ونقده**، 225/1.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص3-4.

[الكامل]

وَمُهَفهَـــفٍ كَالغُصـــنِ هَزَّتـــهُ الصَّـــبَا ... فَصَـــبا إِلَيـــهِ مِـــنَ الفُتُـــونِ هَـــوائِي
يُوهِيـــهِ حَمـــلُ وِشَـــاحِهِ فَتَـــرَاهُ مِـــن ... تَـــرَفِ النَّعِـــيمِ يَـــئِنُّ فِـــي إِخفَـــاءِ
تَـــــدمَى سَـــــوالِفُهُ إِذا لاحَظتَهـــــا ... بِخَفِـــيٍّ كَـــرِّ اللَّحـــظِ وَالإِيمَـــاءِ
وَكَـــأَنَّ عَقـــرَبَ صُـــدغِهِ لَمَّـــا انثَنَـــتْ ... قَـــافٌ مُعَلَقَـــةٌ بِعَطفَـــةِ فَـــاءِ

وَمِن مُقَدِّمَتِهِ لإِحدى مَدَائِحِهِ لِلعَقِيقِيّ:[1]

[البسيط]

تَظَلَّـــمَ الـــوَردُ مِـــن خَدَّيـــهِ إِذ ظَلَمَـــا ... وَعَلَّـــمَ السُّـــقمَ مِـــن أَجفَانِـــهِ السَّـــقَمَا
وَلَـــم أَرِد بِلِحـــاظِي مَـــاءَ نَـــاظِرِهِ ... إِلا سَـــقَى نَـــاظِرِي مِـــن رِيِّـــهِ بِظَمَـــا

وَمِن مُقَدِّمَتِهِ لإِحدى مَدَائِحِهِ لِسَيفِ الدَّولة، وَمِنهَا قَولُهُ:[2]

[المنسرح]

صَـــولَجُ لامَـــيْنِ فِـــي عِـــذَارَينِ ... فِـــي ذَهَبِيَّـــينِ جَـــوهَرِيَّينِ
يَـــا بِـــأَبِي كَيـــفَ شَـــفَّنِي سَـــقَماً ... سَـــوَادُ هَـــذَينِ فِـــي سَـــنَا ذَيْـــنِ
قَـــد زَهَـــتِ الـــرَّاءُ مِـــنْ مُقَبَّلِـــهِ ... فَـــوقَ نِظَـــامَينِ لُؤلُـــؤِيَّيْنِ

وَهُنَاكَ صِنفٌ ثَالِثٌ مِن مُقَدِّمَاتِ الوأواءِ لِقَصَائِدِه، وَهِيَ المُقَدِّمَاتُ الخَمرِيَّة، وَفِيهَا يَطلُبُ مِنَ السَّاقِي أَن يُقَدِّمَ لَهُ الخَمرَ وَالشَّراب، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ لإِحدى مَدَائِحِهِ لِلعَقِيقِيّ:[3]

[الخفيف]

زَمَـــنٌ مِثـــلُ زَورَةِ الأَحبَـــابِ ... بَعـــدَ يَـــأسٍ مِـــن مُغْـــرَمٍ باجتِنَـــابِ
فَاســقِنِي يَـــا غُـــلامُ، عَـــاشَ لِـــيَ العَـــيْ ... شُ، مُـــدَامَاً تُجْلَـــى بِحَلْـــيِ الحَبَـــابِ

وَفِي مُقَدِّمَتِهِ لإِحدى رَوضِيَّاتِه:[4]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص191.
[2] المصدر السابق، ص220.
[3] المصدر السابق، ص11–12.
[4] المصدر السابق، ص175.

[الكامل]

قُـــمْ فَاســـقِنِي بالكـــأسِ لا بالقَنقَـــلِ وَاشـــرَب عَلَـــى وَجـــهِ الزَّمَـــانِ المُقْبِـــلِ

وَهُنَاكَ نَمَطٌ آخر مِنَ المُقَدِّمَاتِ فِي شِعرِه، وَهُوَ وَصفُ الرِّيَاض، وَيَبـــرُزُ فِـــي قَصِـــيدَةٍ وَاحِدَةٍ في الخَمر، وَفِيهَا يَصِفُ الرِّيَاضَ وَالأشجارَ وَالأزهَـــارَ المُتَعَـــدِّدَةَ الأَنـــواعِ وَالأصـــنَافِ وَالألوان، وَيَصِفُ حَرَكَةَ أَغصَانِ الأشجار، وَتَمَايُلَها يَمِيناً وَشمالاً تبعاً لِحَرَكَـــةِ الـــرِّيح، وَفِيهَـــا يَقُول:[1]

[الخفيف]

زَمَـــــنٌ ضَـــــاحِكٌ وَرَوضٌ جَدِيـــــدُ وَغُصُـــــونٌ مُرَنَّحَـــــاتٌ تَمِيـــــدُ
أَنجُـــمُ الزَّهْـــرِ حَوْلَهَـــا فَتَرَاهَـــا طَالِعَـــات كَـــأَنَّهُنَّ سُـــعُودُ
تَغتَـــدِي لِلعُيُـــونِ مِنهَـــا عُيُـــونٌ وَتُلاقِـــي الخُـــدُودَ مِنهَـــا خُـــدُودُ
تَتَثَنَّـــى مَـــعَ الرِّيَـــاحِ اختِيَـــالاً بِغُصُـــونٍ كَـــأَنَّهُنَّ قُـــدُودُ

هَذِهِ هِيَ أَنمَاطُ مُقَدِّمَاتِ الوأواءِ لِقَصَائِدِه، غَير أَنَّهُ لَم يَلتَزِم بِهَا فِي جَمِيعِ قَصَائِدِه، فَأَحيَانَاً كَانَ يَتَخَلَّى عَنِ المُقَدِّمَة، وَيَلِجُ إِلى المَوضُوعِ مُبَاشَرَةً، كَمَا هُوَ الحـــالُ فـــي بعـــضِ غَزَلِيَّاتِـــه، وَخَمرِيَّاتِه، وَرَوضِيَّاتِه، مُتَجاهِلاً دَعَواتِ النُّقَّادِ التَّقلِيدِيِّين التي تُصرِّحُ بِضرورَةِ الالتِـــزامِ بِتِلـــكَ المُقَدِّمات، حيثُ أَطلَقُوا عَلَى القَصائِدِ التي لا تَلتَزِمُ بِها مُصطَلَحَ القَصيدَةِ البَتـــراءِ قِياسَـــاً عَلَـــى الخُطبَةِ البَتراء، كَمَا أَنَّهُم أَطلَقُوا عَلَى عَمَلِيَّةِ تَركِهَا وَإِهمالِهَا العَدِيدَ مِنَ المُصطَلَحاتِ التي تُـــدَلِّلُ عَلَى ضَعفِ القصيدَةِ وَنَقصِهَا وَتَقصيرِها، كَالوَثبِ وَالبَترِ وَالقَطعِ وَالكَسعِ وَالاقتِضَاب[2].

وَهَا هُوَ ذَا ابنُ طَبَاطَبا العَلَوِيّ يَدعُو الشُّعراءَ إِلى ضَرورَةِ "الوقوف على مذاهب العـــرب في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه، في كل فن قالته العرب فيه، وسلوك مناهجهـــا فـــي صفاتها ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها"[3].

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص74-75.

[2] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسنِ الشعر وآدابه ونقده**، 231/1.

[3] ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي: **عيار الشعر**، تح: طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام، القاهرة: المكتبة التجاريـــة الكبرى بشارع محمد علي، 1956، ص4.

وَمِنَ الأمثِلَةِ عَلَى هذا النَّمَطِ مِن قَصائِدِ الوأواء، غَزَلِيَّتُهُ التي مَطلَعُهَا:[1]

[الكامل]

بَـــــــدرٌ تَقَنَّـــــــعَ بـــــــالظَّلا مِ عَلَـــــى قَضِـــيبٍ فـــي كَثِيـــبِ
تَـــــدعو مَحاسِـــــنُهُ القُلُـــــو بَ إِلـــــى مُشـــــافَهَةِ الـــــذُّنُوبِ

وَخَمرِيَّتُهُ التي مَطلَعُهَا:[2]

[المنسرح]

قُـــمْ يَـــا غُـــلامُ اســـقِنِي مُشَعشَـــعَةً تَســـيرُ فـــي الكَـــأسِ بالتَّبَاشِـــيرِ

هَذا فِيمَا يَخُصُّ مُقَدِّمَاتِ قَصَائِدِ الوأواء، أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِخَواتِيمِهَا، فَيُمكِنُ تَقسِيمُ قَصـــائِدِهِ وفقاً لَهَا إِلى قِسمَينِ اثنَين، هُمَا: قَصائِدُ يَشعُرُ قَارِئهَا بِأَنَّها اقتَرَبَت مِنَ الانتِهَـــاء، وَبِـــأَنَّ أَبياتهـــا الأخيرَةَ لَيسَت إِلا خَاتِمَةً لَها، وَهَذا الصِّنفُ يَنحَصِرُ فِي مَدَائِحِه، حَيثُ اهتَمَّ بِتَجوِيدِ خَواتِيمِهَا؛ لأنَّ "خاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق بالنفس؛ لقرب العهد بها؛ فإن حسنت حسن ... والأعمال بخواتيمها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"[3]، وَبِذَلِكَ يَضمَنُ الاستِحواذَ عَلى إِعجَـــابِ المَمدُوحِ، وَمَا يَنتُجُ عَنهُ مِنَ الحُصُولِ عَلَى المَالِ وَالعَطَاءِ وَالنَّوال، يُؤَكِّـــدُ ذَلِـــكَ مَوضُـــوعَاتُ خَواتِيمِهِ وَأَنمَاطُهَا المُتَعَدِّدَةُ المُتَنَوِّعَة، فَمِنهَا مَا يَشتَمِلُ عَلَى الفَخرِ وَالتَّبَاهِي بِشِـــعرِهِ وَبِمَقدِرَتِـــهِ الفَنِّيَّة، وَيَظهَرُ ذَلِكَ مِن قَولِهِ فِي خَاتِمَةِ قَصِيدَتِهِ البَائِيَّةِ في مَدحِ سَيفِ الدَّولة:[4]

[الطويل]

أَبَا حَسَنٍ هَـــذَا ابـــنُ مَـــدحِكَ قَـــد أَتَـــى لِمَـــدْحِكَ وَالأَيَّـــامُ خُضْـــرُ الشَّـــوارِبِ
بِمالِكَـــةٍ لِلسَّـــمعِ مَملُوكَـــةٍ بِـــهِ عَجائِبُهَـــا مِـــن أُمَّهَـــاتِ العَجَائِـــبِ
إِذَا أُنشِـــدَتْ فِـــي مَشـــهَدٍ شَـــهِدُوا لَهـــا بِحُسنِ التَّنـــاهِي فِـــي اختِصَـــارِ المَـــذَاهِبِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص32.

[2] المصدر السابق، ص106.

[3] القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسنِ الشعر وآدابه ونقده**، 217/1.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص23.

لِـــتَعلَمَ أَنِّـــي حَـــاتِمُ الشِّـــعرِ وَالـــذِي غَرَائِبُـــهُ فِيـــهِ حِسَـــانُ الغَرائِـــبِ

وَمِن قَولِهِ في خَاتِمَةِ قَصِيدَتِهِ الرَّائِيَّةِ في مَدحِ العَقِيقِيّ:[1]

[الخفيف]

يَـــا مُجِيـــرِي مِـــنَ الزَّمَـــانِ إِذا لَـــمْ أَسْـــتَجِرْ مِـــن خُطُوبِـــهِ لِـــي بِجَـــارِ
هَـــاكَ شِـــعراً إِلَيـــهِ يَفْتَقِـــرُ المُـــو سِـــرُ فِـــي دَهْـــرِهِ مِـــنَ الأَشْـــعَارِ
لَـــو رَأَتْـــهُ العِيـــدَانُ وَهِـــيَ سُـــكُوتٌ كَلَّمَتْـــهُ سِـــرّاً بِـــلا أَوتَـــارِ
نَثَـــرَتْ رَاحَـــةُ المَعَـــانِي عَلَيْـــهِ جَـــوْهَراً مِـــنْ جَـــوَاهِرِ الأَفكَـــارِ

وَمِن خَواتِيمِهِ مَا يَتَضَمَّنُ التَّصرِيحَ بِطَلَبِ المَالِ وَالنَّوالِ مِنَ المَمدُوحِ، وَذَلِكَ كَقَولِهِ فِـي إِحدى مَدَائِحِهِ لِلعَقِيقِيّ:[2]

[الخفيف]

كُلَّمَـــا لامَنِـــي خَبِيـــثٌ بِعَتْـــبٍ قَـــامَ لِبْسِـــي لَـــهُ مَقَـــامَ الجَـــوابِ
فَتَبَـــيَّنَ عُنْـــوانَ حَـــالِيَ فَـــالعُنْ وَانُ يُنْبِـــي بِكُـــلِّ مَـــا فِـــي الكِتَـــابِ
كُنتُ أَخشَـــى خَـــرابَ دَهـــرِي وَقَـــد قُـــمْ تَ لِعُمـــرَانِ كُـــلِّ دَهْـــرٍ خَـــرَابِ
قَلَّمَـــا يَنفُـــقُ الأَدِيـــبُ وَلَـــن يَـــنْ فُـــقَ إِلا عَلَـــى ذَوِي الآدابِ
وَاحَيَـــائِي مِـــنَ العُيُـــونِ إِذا مَـــا عَـــايَنَتْنِي فِـــي هَـــذِهِ الأَســـلابِ
يَقْطَـــعُ العَضْـــبُ إِنْ نَبَـــا عَـــنْ قَلِيـــلٍ وَيَعُـــودُ الهِـــلالُ بَعْـــدَ الغِيـــابِ

وَقَولِهِ فِي مِدحَةٍ أُخرى:[3]

[البسيط]

يَـــا مُعْلِمَـــاً بِطِـــرَازِ الحُســـنِ نِســـبَتَهُ وَمَـــنْ غَـــدَا بَـــينَ أَبنَـــاءِ العُلَـــى عَلَمَـــا
وَمَنْ هُوَ الشَّـــمسُ فِـــي أُفْـــقٍ بِـــلا فَلَـــكٍ وَمَنْ هُوَ البَـــدرُ فِـــي أَرضٍ بِغَيْـــرِ سَـــمَا
هَـــذِي يَمِينُـــكَ فِـــي الآجَـــالِ صَـــائِلَةٌ فَاقتُل بِسَـــيفِ رَدَاهَـــا الخَـــوْفَ وَالعَـــدَمَا

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص97.

[2] المصدر السابق، ص15–16.

[3] المصدر السابق، ص196.

وَمِن خوَاتِيمِهِ مَا يَشتَمِلُ عَلى الدُّعَاءِ لِلمَدُوحِ بالخَيرِ وَالسَّلامَة، وَيَظهَرُ ذَلِكَ فِي خَاتِمَةِ مَدحِهِ لِلعَقِيقِيّ، حَيثُ يَقُول:[1]

[الكامل]

فَاسْلَمْ فَإِنَّكَ مَا سَلِمْتَ مِنَ الرَّدَى وَسُقِيتَ مِن مَاءِ الحَيَاةِ سُقِينَا

أَمَّا القِسمُ الثَّانِي مِن قَصَائِدِه، فَلا خَاتِمَةَ لَهُ، إِذ إِنَّ آخِرَ القَصِيدَةِ لا يَشتَمِلُ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَى انتِهَائِهَا، وَهُنَاكَ الكَثِيرُ مِنَ الأمثِلَةِ التي تُسَاقُ عَلَى هذا القِسم، وَمِن ذَلِكَ خَمرِيَّتُهُ التي مَطلَعُهَا:[2]

[المتقارب]

زَمَانُ الرِّيَاضِ زَمَانٌ أَنِيقُ وَعَيْشُ الخَلاعَةِ عَيْشٌ رَقِيقُ
وَقَد جَمَعَ الوَقتُ حَالَيْهِمَا فَمَن ذَا يُفِيقُ وَمَنْ يَسْتَفِيقُ؟

فَهِيَ تَتَكَوَّنُ مِن وَاحِدٍ وَعِشرِينَ بَيتَاً، بَدَأَهَا الشَّاعِرُ بالحَدِيثِ عَنِ الرِّيَاضِ وَالتَّغَنِّي بِجمَالِهَا وَبِعَنَاصِرِهَا، وَلَم يَنتَقِل لِلحَدِيثِ عَنِ الخَمرِ إِلا فِي البَيتَينِ الأخِيرَين، وَمِنَ الغَرِيبِ عَلَى شَاعِرٍ مَاجِنٍ كَالوَأواءِ أَن يَتَحَدَّثَ عَنِ الخَمرِ فِي بَيتَينِ اثنَين فَقَط حَيثُ يَقُول:[3]

[المتقارب]

أَدِرْ يَا غُلامُ كُؤُوسَ المُدَامِ وَإِلا فَيَكفِيكَ لَحظٌ وَرِيقُ
وَحُثَّ الصَّبُوحَ لِوَقتِ الصَّبَاحِ فَمُتَّسِعُ الهَمِّ فِيهِ يَضِيقُ

وَمِنهَا مِدحَتُهُ فِي سَيفِ الدَّولَةِ، حَيثُ انتَهَت فِي البَيتِ السَّادِسِ وَالعِشرِينَ بِقَولِهِ:[4]

[المنسرح]

زَادَ جَمَالُ القَرِيضِ يَا بنَ أَبِي الهَيْ جَاءِ لَمَّا أَتَاكَ ضِعفَين

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص219.

[2] المصدر السابق، ص155.

[3] المصدر السابق، ص158.

[4] المصدر السابق، ص223.

وَرُبَّمَا يَعُودُ عَدَمُ وَجُود خَاتِمَةٍ لِهاتَينِ القَصِيدَتَينِ وَشَبِيهَاتِهِمَا إِلى ضَيَاعِ القِسمِ الأخِيرِ مِنهَا مَعَ مَا ضَاعَ مِن شِعرِ الوأواء[1].

يُستَنتَجُ مِمَّا سَبَق كَثرَة شَكلِ المَقطُوعَةِ فِي شِعرِ الوأواء، وَاهتمَامهُ بِمُقَدِّمَاتِ قَصَائِدِه، حَيثُ تَعَدَّدَت أَنمَاطُهَا مَا بَينَ مُقَدِّمَةٍ طَلَلِيَّةٍ، وَغَزَلِيَّةٍ، وَخَمرِيَّةٍ، وَرَوضِيَّة، إِلا أَنَّهُ تَخَلَّى فِي بَعضِ قَصَائِدِه عَنِ المُقَدِّمَاتِ وَدَخَلَ إِلى المَوضُوعِ مُبَاشَرَةً، وَيُلاحَظُ خُلُوُّ قَصَائِدِه الغَزَلِيَّةِ وَالخَمرِيَّةِ وَالرَّوضِيَّةِ مِنَ الخَواتِيم، أَمَّا مَدَائِحُهُ فَتَعَدَّدَت أَنمَاطُ خَوَاتِيمِهَا وَأَصنَافُهَا مَا بَينَ فَخرٍ بِنِتَاجِهِ الشِّعرِيّ، وَطَلَبٍ لِلمَالِ وَالعَطَاءِ وَالنَّوَال، وَدُعَاءٍ لِلمَدُوحِ بالخَيرِ وَالسَّلامَة، وَبِذَلِكَ فَهِيَ تَتَلاءَمُ مَعَ الهَدَفِ الذي يَسعَى إِلى تَحقِيقِهِ مِن وَرَاءِ مَدحِه، وَهُوَ طَلَبُ المَالِ وَالنَّوَال.

[1] ينظر: زاهر، جمال: **شعر الوأواء الدمشقي**، ص300.

المَبحَثُ الثَّاني

اللُّغة

لَقَد كانَت لُغَةُ الشَّاعِرِ الوأواءِ فِي مُعظَمِ غَزَلِيَّاتِهِ وَخَمرِيَّاتِهِ، وَفِي رَوضِيَّاتِهِ وَزَهرِيَّاتِهِ وَوَصفِيَّاتِهِ سَهلَةً بَسيطَةً وَاضِحَةً، قائِمَةً عَلى نَبذِ المُعجَمِ اللُّغَوِيِّ القَديمِ، وَعَلى تَوظِيفِ الأَلفاظِ العَذبَةِ المُنتَقَاةِ، وَالعباراتِ السَّلِسَةِ الرَّقِيقَةِ اللَّطِيفَةِ التي لا تَوَعُّرَ فِيها وَلا وَحشِيَّةَ، وَلا إِغرابَ وَلا تَعقِيد، فَهِيَ تَشرَحُ نَفسَها بِنَفسِها، وَلا حَاجَةَ لِلدَّارِسِ بِأَن يَعُودَ إِلى المَعاجِمِ لِفَهمِها وَشَرحِها، وَقَد أَشارَ الصَّفَدِيُّ إِلى ذلِكَ فِي قَولِهِ: إِنَّ الوأواءَ "شاعر مطبوع منسجم الألفاظ عذب العبارة"[1]، وَيَنكَشِفُ ذلِكَ كلّهُ مِن قَولِهِ وَاصِفاً وَردَةً بَيضاء، وَمُتَغَنِّياً بِجَمَالِها:[2]

[مجزوء الرجز]

يَا حُسنَهَا مِن وَردَةٍ ... بَيْضَاءَ جَاءَتْ بالعَجَبْ
كَجَامِ بِلَّوْرٍ بِهِ ... قُرَاضَةٌ مِنَ الذَّهَبْ

وَمِثلُهُ قَولُهُ مُتغزِّلاً:[3]

[مجزوء الكامل]

يَا مَنْ سَقامُ جُفونِهِ ... لِسقامِ عَاشِقِهِ طبيبُ
حُزْتَ المَودَّةَ فَاستَوى ... عِندِي حضورُك وَالمغيبُ
كُنْ كيفَ شِئتَ مِنَ البِعَا ... دِ فَأَنتَ مِن قلبِي قَريبُ

وَمِثلُهُ فِي وَصفِ ثَمَرَةِ البطِّيخ:[4]

[السريع]

وَذَاتِ رِيقٍ إِنْ تَرَشَّفتَهُ ... وَجَدتَهُ أَحلَى مِنَ المَنِّ

---

[1] الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 53/2.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص261.

[3] المصدر السابق، ص54.

[4] المصدر السابق ، ص277.

إذا بَـــدَتْ فِـــي كَـــفٍّ جَلابِهَـــا رَأَيتَهَـــا فِـــي غَايَـــةِ الحُسْـــنِ
كَسَـــلَّةٍ خَضـــرَاءَ مَختُومَـــةٍ عَلَـــى الفُصُـــوصِ الحُمْـــرِ فِـــي القُطْـــنِ

فَمَعَانِي الأبيات أَعلاه مَفهُومَةٌ وَاضِحَةٌ، وَأَلفَاظُهَا سَهلَةٌ بَسِـيطَةٌ بَعِيـدَةٌ عَـنِ التَّعقِيـدِ وَالغَرِيب، وَلا تَحتَاجُ إِلى شَرْحٍ أَو تَفسِير.

وَوَصَلَت لُغَتُهُ أَحياناً إِلى مَرحَلَةِ الشَّعبِيَّةِ، وَاستِعمَالِ الأَلفَاظِ التي تَكَادُ تَقتَرِبُ مِن أَحادِيثِ العَامَّةِ، وَمِن لُغَةِ الحَيَاةِ اليَومِيَّةِ، مِن مِثلِ (مَا أَحلى رِضَاكِ)، وَ(مَا أَمَـرَّ سُـخطَكِ)، وَ(مَـولاةَ مَولاهَا)، وَ(أَعَزُّ شَيءٍ لِقَلبِي)، حَيثُ وَرَدَت فِي قَولِهِ فِي المَحبوبَةِ:[1]

[البسيط]

لِلـــهِ لِلـــهِ مَـــا أَحلَـــى رِضَـــاكِ وَمَـــا أَمَـــرَّ سُـــخطَكِ يَـــا مَـــوْلاةَ مَوْلاهَـــا
لا شَـــيْءَ أَحْسَـــنُ مِنْهَـــا إِنَّهَـــا خُلِقَـــتْ أَعَـــزَّ شَـــيْءٍ لِقَلْبِـــي حِـــينَ أَلقَاهَـــا

ومِن مِثلِ قَولِهِ فِي العِيْدِ عِندَ مُفَارَقَةِ أَحبابِهِ وَإِخوانِهِ:[2]

[مجزوء السريع]

مَـــنْ سَـــرَّهُ العِيْـــدُ فَـــلا سَـــرَّنِي بَـــلْ زَاد فِـــي شَـــوْقِي وَأَحزَانِـــي
لأَنَّـــهُ ذَكَّرَنِـــي مَـــا مَضَـــى مِـــنْ عَهْـــدِ أَحبَـــابِي وَإِخْـــوَانِي

إِنَّ هذِهِ الأَمثِلَةَ، عَلَى سُهُولَةِ لُغَةِ الوأواءِ، لَيسَت إِلا فَيضَاً مِن غَيضٍ، وَتَعلِيلُهَا يَتَمَثَّلُ في مُحَاوَلَتِهِ إِرضاءَ نَزَعاتِهِ الذَّاتِيَّةِ فِي مَجالِسِهِ وَاجتِماعَاتِهِ وَخلواتِهِ وَمُغامراتِهِ، فَضلاً عَن بُعدِهِ عَن حَياةِ الصَّحراءِ وَقَسوَةِ البادِيَةِ، وَمُعايَشَتِهِ لِحَياةِ المَدِينَةِ التي تَغصُّ بالرِّياضِ وَالأَزهارِ وَالمَظَاهِرِ الحَضَارِيَّةِ المُتَنَوِّعَةِ.

وَفِي هذا المقامِ، تَجدُرُ الإِشارَةُ إِلى أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ لَيسَت خَاصَّةً بالوأواءِ، وَإِنَّما كانَـت مَوجُودَةً عِندَ عَدَدٍ لا بَأسَ بِهِ مِن شُعراءِ عَصرِهِ وَزَمانِهِ، فَقَد سَهُلَت أَلفاظُهُم، "ولم تعد نابية لأنها

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص255.

[2] المصدر السابق، ص277.

أصبحت تعبر عن صور الحياة المترفة الناعمة المطعمة بألوان الحضارة وبأسلوب رائق سليم. ولم تعد صور الصحراء وقسوتها المتمثلة بألفاظها لم يعد لهما وجود في مجتمع المدينة وأجوائها المفعمة بالازدهار الاجتماعي، والتقدم العلمي والثقافي، والتغيير الذي طرأ على هذا المجتمع، وصار الشعر يهتم بوصف القصور والرياض والمجالس والزهور وتدفق المياه وتصوير العواطف..."[1]، وَبِذلِكَ استَطَاعَ كَثيرٌ مِنَ الشُّعَراءِ "أن يذيعوا أسلوباً متميزاً يبتعدون فيه عن خشونة البدو وكزازة ألفاظهم، واتجهوا إلى تلك الألفاظ التي تتميز بالعذوبة والرشاقة حيناً والجزالة والرصانة حيناً آخر، بل والشعبية المبتذلة أحياناً، ولهم في كل ذلك ذوق متحضر محبب ينفر من الغرابة والوحشية"[2].

وَلَقَد حَثَّ كثيرٌ مِنَ النُّقَّادِ الشُّعَراءَ عَلَى التزامِ الأَلفاظِ السَّهلَةِ، فَهَا هُو ذا ابنُ طَباطَبا يُوصِي الشُّعراءَ بِضَرورَةِ الالتزامِ باللُّغَةِ السَّهلَةِ اللَّطيفَةِ العَذبَةِ النَّقِيَّةِ التي تَجرِي مَجرى النَّثر، وَأَن يَبتَعِدُوا عَن استِعمَالِ الأَلفَاظِ المُستَكرَهَةِ الصَّعبَةِ الوَحشِيَّةِ[3]، وَهَذا قُدامَةُ بنُ جَعفَر يَدعُو إِلى أَن يَكونَ اللفظُ "سمحاً، سهل مخارج الحروف من مواضعها،عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة"[4].

وَأَبو هلالِ العَسكَرِيّ في حَديثِهِ عَنِ الشِّعرِ يَصِفُهُ بِأَنَّهُ "كلام منسوج، ولفظ منظوم، وأحسنه ما تلاءم نسخه ولم يسخف، وحسن لفظه ولم يهجن ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون جلفاً بغيضاً، ولا السوقي من الألفاظ فيكون مهلهلاً دوناً"[5].

وَعَلى الرّغمِ مِن ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّهُ يُوجَدُ في شِعرِ الوأواءِ نَيَّارٌ لُغَوِيٌّ آخرُ يُمكِنُ أَن يُطلَقَ عَلَيهِ النيَّار التَّقليدِيّ، وَفيهِ يَفزَعُ إِلى المُعجَمِ اللغويِّ القَدِيمِ، وَيَمِيلُ إِلى الإِغرابِ، وَتَوظِيفِ الأَلفَاظِ

---

[1] الزبيدي، صلاح مهدي: **دراسات في الشعر العباسي**، ط1، عمّان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2004، ص74.

[2] أبو الأنوار، محمد: **الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية (دراسة تاريخية تحليلية للاتجاهات الكبرى في الشعر وزعمائها من الشعراء من بشار بن برد إلى أبي الطيب المتنبي)**، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1987، ص93-94.

[3] يُنظر: ابن طباطبا: **عيار الشعر**، ص4-5.

[4] ابن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**، ص74.

[5] العسكري، أبو هلال: **الصناعتين**، ص74.

المُتَوارَثَةِ، لَكنَّ هذا الاتِّجَاهَ قَليلٌ مَحدُودٌ مُنحسِرٌ فِي مَدائِحِهِ وَغَزَلِيَّاتِهِ التَّقليدِيَّة، وَلَعَلَّ ذَلِكَ تقليدٌ عَائِدٌ إِلى رَغبَتِهِ فِي إِبرازِ مَقدِرَتِهِ اللّغَوِيَّةِ وَإِثباتِهَا أَمامَ المَمدُوح، وَيَتَجَلَّى هذا التَّيَّارُ أَكثَرَ مَا يَتَجَلَّى فِي قَصيدَتِهِ البائِيَّةِ فِي مَدحِ سيفِ الدَّولَةِ الحَمدانِيّ، وَمَطلَعُهَا:[1]

[الطويل]

أَمَغْنَى الهَوى غَالَتْكَ أَيدي النَّوائِبِ فَأَصْبَحْتَ مَغْنَىً لِلصَّبَا وَالجَنائِبِ

وَكَذلِكَ، فِي مِدحَتِهِ لِلشَّرِيفِ العَقِيقِيِّ التي مَطلَعُهَا:[2]

[الكامل]

لِمَنِ الرُّسُومُ بِ (رَامَتَيْنِ) بَلِينَا كُسِيَتْ مَعَالِمُهَا الهَوى وَعَرِينَا

وَمِنَ الأَمثِلَةِ عَلَى تِلكَ الأَلفَاظِ وَالتَّراكِيبِ التَّقليدِيَّة: الأَثَافِي[3]، وَالنُّؤي[4]، وَمُنعَرَجِ اللوى[5]،وَالعِيْس[6]،وَعَقَائِل[7]،وَسِنَة الكَرَى[8]، وَسَقَى الله[9]...

ومِمَّا سَبَقَ، يُلاحَظُ أَنَّ أَلفَاظَ الوأواءِ وَعِبَارَاتِهِ مُتجانِسَةٌ وَمُتلائِمَةٌ مَعَ المَوضوعَاتِ التي طَرَقَهَا، وَهذِهِ قَضِيَّةٌ آمَنَ فِيها النُّقَّادُ القُدامَى وَدَعَوا إِلَيها، وَمِن ذَلِكَ قَولُ قُدامَةَ بِن جَعفَر فِي قَصيدَةِ الغَزَل: "ولما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة كان مما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مستكرهة، فإذا كانت جاسية كان ذلك عيباً إلا أنه لما لم يكن عيباً على الإطلاق أمكن أن يكون حسناً إذ كان قد يحتاج إلى الخشونة في

---

(1) الوأواء: **ديوانه**، ص16.

(2) المصدر السابق، ص214.

(3) المصدر السابق، ص17.

(4) المصدر السابق، ص17.

(5) المصدر السابق، ص24.

(6) المصدر السابق، ص19.

(7) المصدر السابق، ص25.

(8) المصدر السابق، ص216.

(9) المصدر السابق، ص17.

مواضع مثل ذكر البسالة والنجدة والبأس والرهبة، وكان أحق المواضع التي يكون فيها عيباً الغزل لمنافرته تلك الأحوال وتباعده منها"[1].

وَقَد تَنَبَّهَ إِلَيها –أَيضاً– ابنُ رَشيق القَيروَانيّ، فَقَالَ: إِنَّ مِن "حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رَسْلها، قريب المعاني سَهْلَها، غير كَزٍّ ولا غامض، وأن يُخْتَار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، لين الإيثار، رَطْبَ المكسر، شفَّاف الجوهر، يُطْرِب الحزين، ويستخفُّ الرَّصِين"[2]، وكَذلِكَ أَشَارَ إِلى أَنَّهُ يَنبَغِي عَلَى الشَّاعِرِ إِذا مَدَحَ "أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جَزْلة، وألفاظه نَقِيّة، غير مبتذلة سوقية"[3].

وكَذلِكَ، فَصَّلَ حازِم القِرطَاجَنِّي القَولَ فِي هذِهِ القَضِيَّةِ حَيثُ قَالَ: إنَّ "طريقة المدح يجب فيها السمو بكل طبقة من الممدوحين إلى ما يجب لها من الأوصاف، وإعطاء كل حقه من ذلك، ويجب أن تكون ألفاظ المديح ومعانيه جزلة فخمة، وأن يكون نظمه متيناً، وأن تكون فيه مع ذلك عذوبة. وأمَّا الغزل، فيحتاج أن يكون عذب الألفاظ حسن السّبك، حلو المعاني..."[4].

وَيُلاحَظُ تَسَرُّبُ كَثِيرٍ مِنَ الألفَاظِ المُعَرَّبَةِ[5] إِلى شِعْرِ الوأواءِ حَتّى صَارَ يَغصُّ بِها، وَلا سِيَّمَا الألفاظُ التي تَختَصُّ بالمَلابِسِ وَالأزهَارِ وَالزِّينَةِ وَالعُطُور ...، وَمِنهَا مُفرَدَةُ (الزَّبَرجَد)[6]، فَقَد وَرَدَتْ فِي قَولِهِ مُتَغَزِّلاً:[7]

---

[1] ابن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**، ص191.

[2] القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسنِ الشعر وآدابه ونقده**، 116/2.

[3] المصدر السابق، 128/2.

[4] القرطاجنِّي، حازم: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس: دار الكتب الشرقية، 1966، ص351–35.

[5] المُعَرَّب هُوَ ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها، ولَهُ مُصطَلَحٌ آخرُ يُرادِفُهُ، هُوَ الدَّخِيل، فَكَثِيراً مَا يُشِيرُ عُلَماءُ اللُّغَةِ إِلى الكَلِمَةِ الأعجَمِيَّةِ باستعمالِ كِلا المُصطَلَحَين. يُنظر: السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح وضبط وتصحيح وتعليق محمد أحمد جاد المولى، وآخرين، دار إحياء الكتب العربية وعيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت)، 268/1–269.

[6] يُنظر: الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر: **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تح: ف. عبد الرحيم، ط1، دمشق: دار القلم، 1990، ص357.

[7] الوأواء: **ديوانه**، ص159.

[الخفيف]

وَلَـــهُ مِـــنْ زَبَرْجَـــدِ الشَّـــعْرِ رَاءٌ فَـــوْقَ ثَغْـــرٍ كَـــالنُّونِ فِـــي التَّفرِيـــقِ

وَمِنهَا (الطَّيلَسَان)، وَهُوَ ضَربٌ مِنَ الأَكْسِيَةِ[1]، وَقَد وَرَدَ فِي قَولِهِ فِي وَصفِهِ لِلَّيل:[2]

[الطويل]

وَلَيـــــلٍ كَلَيْـــــلِ الثَّاكِلَـــــاتِ لَبِسْـــــتُهُ مَشـــــارِقُهُ لا تَهْتَـــــدِي لِلْمَغَـــــارِبِ
صـــبحتُ بِـــهِ والصُّـــبحُ قَـــد خَلَـــعَ الـــدُّجى عَلَـــى منكبيـــهِ (طَيلَســـان) الغَياهِـــبِ

وَمُفرَدَةُ (التِّكَّة)، وَتَعنِي رِباطَ السِّروال[3]، يقولُ فِي المَحبُوبَةِ:[4]

[الخفيف]

مَنَعَتْنِـــي مِـــنْ (تِكَّـــةٍ) ثُـــمَّ قَالَـــتْ تِهْ عَلَـــى الفَـــدْمِ مَـــا ظَنَنْتُـــكَ فَـــدْمَا

وَلَفظَةُ (النَّرجِس)[5]، وَوَرَدَت فِي قَولِهِ مُتَغَزِّلاً:[6]

[المنسرح]

(نَـــرْجِسُ) عَيْنَيْـــكَ عَطَّـــلَ (النَّـــرْجِسْ) لَمَّـــا تَـــوَطَّى وَذَلَّ فِـــي المَجْلِـــسْ

وَ(الياسمين)[7]، فِي قَولِهِ:[8]

[الوافر]

تَبَـــارَكَ مَـــنْ كَسَـــا خَـــدَّيْكَ وَرْداً تَطَلَّـــعَ مِـــنْ فُـــرُوعِ (اليَاسَـــمِينِ)

---

[1] يُنظر: الجواليقي: **المُعرَّب**، ص446. السيوطي: **المُزهر**، 281/1.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص18–19.

[3] يُنظر: الجواليقي: **المُعرَّب**، ص222.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص208.

[5] يُنظر: الجواليقي: **المُعرَّب**، ص606.

[6] الوأواء: **ديوانه**، ص130.

[7] يُنظر: السيوطي: **المُزهر**، 276/1.

[8] الوأواء: **ديوانه**، ص228.

وَ(الجُلَّنار)[1]، فِي قَولِهِ:[2]

[الخفيف]

أَقْبَلَتْ فِي غِلالَةٍ كَدَمِ الخِشْ ... فِ تَثَنَّى، وَدَمْعِ عَينٍ جارِ
فَتَأَمَّلْتُهَا وَقَدْ لَبِسَتْهَا ... (جُلَّناراً) أَوفَى عَلَى (الجُلَّنارِ)

وَمِنهَا –كَذَلِكَ– لَفظَةُ (البَنَفسَج)[3]، وَوَرَدَتْ فِي قَولِهِ فِي وَصفِ الرِّياض:[4]

[الكامل]

وَبَدا (البَنَفسَجُ) لِي فَقُلْتُ لِخاطِرِي ... فِي وصفِهِ كَالنَّارِ فِي إِيقَادِهَا

وَمُفرَدَةُ (النّسرين)[5]، فِي قَولِهِ:[6]

[البسيط]

كَأَنَّ دَمْعِي عَلَى خَدِّي وَصُفْرَتَهُ ... حَبَابُ دَمْعِ النَّدى مِنْ حَوْلِ (نِسْرِيْنِ)

وَ(المِسك)[7]، فِي قَولِهِ:[8]

[الكامل]

لَطَمَتْ بِعُنَّابِ البَنَانِ شَقَائِقَ ال ... وَجَنَاتِ لِي فِي مَأْتَمِ الصَّدِّ
فَكَأَنَّهُ لَمَّا تَكَاثَفَ لَطْمُهَا ... فِي خَدِّها (مِسْكٌ) عَلَى وَرْدِ

وَ(السَّبَج)[9]، حَيثُ وَرَدَتْ فِي قَولِهِ:[10]

---

[1] يُنظر: السيوطي: **المُزهر**، 276/1.
[2] الوأواء: **ديوانه**، ص123.
[3] يُنظر: الجواليقي: **المُعرَّب**، ص204.
[4] الوأواء: **ديوانه**، ص91.
[5] يُنظر: السيوطي: **المُزهر**، 276/1.
[6] الوأواء: **ديوانه**، ص226.
[7] يُنظر: الجواليقي: **المُعرَّب**، ص598.
[8] الوأواء: **ديوانه**، ص77.
[9] يُنظر: الجواليقي: **المُعرَّب**، ص369.
[10] الوأواء: **ديوانه**، ص67.

[البسيط]

لَهُ مِــنَ الــدُّرِّ عِقــدٌ تَحْــتَ شَــارِبِهِ وَفَــوْقَ أَصْــدَاغِهِ لامَــانٍ مِــنْ (سَــبَجِ)

وَ(القُرطَق)، وَهُوَ لِباسٌ شَبِيهٌ بالقباء[1]، وَ(العنبر)[2]، حَيثُ جَمَعَ بَينَهُمَا فِي قَولِهِ:[3]

[السريع]

مَــرَّ بِنَــا فِــي (قُرْطَــقٍ) أَخْضَــرِ مُــزَرْفَنَ الأصْــدَاغِ بِ (العَنْبَــرِ)

وَلَفظَةُ (الدّرياق)[4]، فِي قَولِهِ فِي صِفَةِ المَعشُوق:[5]

[البسيط]

فِــي صُــدْغِهِ عَقْــرَبٌ لِلصَّــدْغِ لادِغَــةٌ (دِرْيَاقُ) لَدْغَتِهَا يَا قَــوْمِ مِــنْ فِيــهِ

وَمِنهَا مُفرَدَةُ (الفيروزج)[6]، فَقَد وَرَدَتْ فِي قَولِهِ:[7]

[الكامل]

وَلَقَــدْ ذَكَرْتُــكِ وَالنُّجُــومُ كَأَنَّهَــا دُرٌّ عَلَــى أَرْضٍ مِــنَ الفَيْــرُوزَجِ

وَيُلاحَظُ عَلَى شِعرِ الوأواءِ –كذلك– أَنَّهُ يَشتَمِلُ عَلَى قَدرٍ كَبِيرٍ مِنَ الأَلفَاظِ التي تَخــتَصُّ بِعِلمِ الكِتَابَةِ وَالإِملاءِ وَالتَّدوين، وَتَتَعَلَّقُ فِيهِ بِسَبَب، وَلَعَلَّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلى إِتقَانِهِ لِهذا العِلمِ وَإِجَادَتِــهِ فِيه، وَقَد عَارَضَ بَعضُ النُّقَّادِ استِعمَالَ الأَلفَاظِ التي تَختَصُّ بِالعُلُومِ المُختَلِفَةِ فِي الشِّــعر، وَمِــن بَينِهِم ابنُ سِنان الخَفَاجِيّ، حَيثُ يَرَى أَنَّ مِن وَضعِ الأَلفَاظِ فِي مَوَاضِعِهَا عَدَمَ اســتِعمَالِ أَلفَــاظِ المُتَكَلِّمِينَ وَالنَّحوِيِّينَ وَمَعَانِيهِم، وَالأَلفَاظِ التي تَختَصُّ بِأَهلِ المِهَنِ وَالعُلُوم، لأَنَّ الإِنسَانَ إِذا خَاضَ

---

(1) يُنظر: الجواليقي: **المُعرَّب**، ص507.

(2) يُنظر: السيوطي: **المُزهر**، 276/1.

(3) الوأواء: **ديوانه**، ص112.

(4) يُنظر: الجواليقي: **المُعرَّب**، ص294.

(5) الوأواء: **ديوانه**، ص253.

(6) يُنظر: السيوطي: **المُزهر**، 275/1.

(7) الوأواء: **ديوانه**، ص263.

فِي علمٍ وَتَكَلَّمَ فِي صِنَاعَةٍ وَجَبَ عَلَيهِ أَن يَستَعمِلَ أَلفَاظَ أَهلِ ذَلِكَ العِلم[1]، غَيرَ أَنَّ يوسف بَكار – وَهَذَا مَا يَرَاهُ البَحثُ وَيَتَّجِهُ إِلَيه– خَالَفَ هَذَا الاتِّجَاهَ وَرَفَضَهُ بِقَولِهِ: "أحسب أن هذا قيد ثقيل على الشاعر حين لا يسمح له باستعمال ألفاظ أخرى إذا ما احتاج إليها وتطلبها موضوع قصيدته"[2]، وَفِيمَا يَخُصُّ الوأواءَ فَإِنَّهُ لَم يَستَعمِلْ مُصطَلَحَاتِ عِلمِ الكِتَابَةِ وَالتَّدوينِ استِعمَالاً عَبَثِيًّا، وَإِنَّمَا أَدَّى تَوظِيفُهَا فِي النَّصِّ دَوراً مَهمًّا وَكَبِيراً فِي إِيصَالِ الفِكرَةِ، وَتَقرِيبِهَا مِن ذِهنِ السَّامِعِ، وَتَقدِيمِهَا تَقدِيمَاً جَمِيلاً، وَفِي بِنَاءِ الصُّورَةِ بِنَاءً قَوِيًّا مُبدِعاً جَمِيلاً قَرِيباً مِنَ الوَاقِعِ، وَمِن تلك الألفاظ وَالعِبَارَات: (نَقط الثَّاء)، وَ(طِرْس)، وَعِبارَةُ (دَوْر النُّون)، وَ(خطِّ كاتب)، يقول:[3]

[الطويل]

أَثافٍ (كَنَقْطِ الثَّاءِ) فِي (طِرْسِ) دِمْنَةٍ وَنُؤْيٍ (كَدَوْرِ النُّونِ) مِنْ (خَطِّ كَاتِبِ)

حَيثُ صَوَّرَ الأَثَافِي بِنقَطِ حَرفِ الثَّاءِ الثَّلاثَة، وَصَوَّرَ هَيئَةَ النُّؤي بِحَرفِ النُّونِ بِجَامِعِ الاستِدَارة، وَبِذَلِكَ مَكَّنَ القَارِئَ مِن تَصَوُّرِ هَيئَةِ النُّؤي وَالأَثَافِي.

وَمِنهَا (القرطاس) وَ(القلم)، حَيثُ وَرَدَا فِي قَولِهِ:[4]

[البسيط]

يَا رُبَّ يَومٍ حَجَرْنَا فِي مَحَاجِرِنَا مَاءَ العُيُونِ وَأَمْطَرْنَا الخُدُودَ دَمَا
فِي مَوقِفٍ يَسْتَعِيذُ البَيْنُ مِنْهُ بِهِ فَمَا يُقَبِّلُ (قِرْطَاسٌ) بِهِ (قَلَمَا)

وَمِنهَا (الكِتاب)، وَ(المِداد)[5]، وَ(التَّحبِير)، وَ(الطِّرْس) ، وَ(أَبري) مِن بِرايَةِ القَلَمِ، أَيْ إِزالَة طَرَفِهِ، وَنَحتهُ بِطَرِيقَةٍ مَخصُوصَةٍ حَتَّى يُكتَبَ بِهِ، وَقَد وَرَدَت هَذِهِ المُصطَلَحاتُ فِي قَولِهِ:[6]

---

[1] يُنظر: الخفاجي، ابن سنان أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد: **سرّ الفصاحة**، قدَّم له واعتنى به ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت–لبنان: كتاب–ناشرون، 2010، ص176.

[2] بكار، يوسف حسين: **بناء القصيدة العربية**، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979، ص189–190.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص17.

[4] المصدر السابق، ص192.

[5] المداد: سائل يُكتب به. مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مادة (مدد).

[6] الوأواء: **ديوانه**، ص210.

[البسيط]

هَـذا (كِتَـابِي) إِلَـيْكُمْ فِيـهِ مَعْـذِرَتِي ... يُنْبِـيكُمُ اليَـومَ عَـنْ شَـوْقِي وَعَـنْ سَـقَمِي
أَجْلَلْـتُ ذِكْـرَكُمُ عَـنْ أَنْ يُدَنِّسَـهُ ... لَـوْنُ (المِـدَادِ) فَقَـدْ (حَبَّرْتُـهُ) بِـدَمِي
وَلَـوْ قَـدَرْتُ عَلَـى جَفْنِـي لأَجْعَلَـهُ ... (طِرْسِـي) وَ(أَبْـرِي) عِظَـامِي مَوْضِـعَ (القَلَـمِ)
لَكَـانَ ذَاكَ قَلِـيلاً فِـي مَحبَّـتِكُمْ ... وَمَـا وَجَـدْتُ لَـهُ، وَاللهِ، مِـنْ أَلَـمِ

وَيُكَرِّرُ الوأواءُ شيئاً ممَّا سَبَقَ (الأَقلام)، وَ(الطُّروس)، وَ(كتبتُها)، ويَذكُرُ -كَذَلِكَ- بعضَ المُصطَلَحاتِ الخَاصَّةِ بِتَسمياتِ بَعضِ حُرُوفِ الهِجاءِ (أَلِفات) جَمعُ (أَلِف)، وَ(لامات) جَمعُ (لام)، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ مُخاطِباً أَحَدَ النُّدَلاء:[1]

[الخفيف]

لا تُدُغْـدِغ صَـدْرَ المُـدامِ بِأَيْـدِي ال ... مَـزْجِ مَـا دُغْـدِغَتْ صُـدُورُ المَثَـانِي
فِـي رِيـاضٍ تُرِيـكَ فِـي اللَّيـلِ مِنْهَـا ... سُـرُجَاً مِـنْ شَـقَائِقِ النُّعْمَـانِ
(كَتَبَتْهَـا) أَيْـدِي السَّـحابِ بِ(أَقْلَـا ... مِ) دُمُـوعٍ عَلَـى (طُـرُوسِ) المَغَـانِي
(أَلِفَـاتٍ) مُؤَلَّفَـاتٍ وَ(لامَـا ... تٍ) تَكَـوَّنَّ مِـنْ ضَـمِيرِ المَعَـانِي

وَمِنهَا (القَاف)، وَ(الفَاء)، فِي قَولِهِ فِي وَصفِ المَحبُوبَة:[2]

[الكامل]

وَكَـأَنَّ عَقْـرَبَ صُـدْغِهِ لَمَّـا انثَنَـتْ ... (قَـافٌ) مُعَلَّقَـةٌ بِعطفَـةِ (فَـاءِ)

فَهُنَا استَعمَلَ حَرفَي القَافِ وَالفَاءِ لِتَصوِيرِ هَيئَةِ تَصفِيفِ شَعْرِ المَحبُوبَة، ممَّا كَانَ لَهُ دَورٌ فِي تَقرِيبِ الصُّورَةِ إِلى الذِّهن.

وَمِنهَا (الواو)، حَيثُ وَرَدَت فِي قَولِهِ:[3]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص245.

[2] المصدر السابق، ص4.

[3] المصدر السابق، ص169.

[الخفيف]

كَتَبَـــتْ فِـــي نَهـــارِ خَـــدٍّ أَنِيـــقِ (وَاوَ) لَيْـــلٍ مَلِيحَـــةَ التَّفْرِيـــقِ

فَقَدِ اضطَلَعَ حَرفُ الواوِ بِدَورٍ مُهِمٍّ فِي بِنَاءِ الصُّورَةِ السَّابِقَةِ، حَيثُ صَوَّرَ الشَّاعِرُ خصلَةَ الشَّعرِ المُتَدَلِّيَةِ عَلَى خَدِّ المَحبُوبَةِ، بِحَرفِ الواوِ في انثِنَائِةِ وَاستِدَارَتِه.

وَمِنهَا –أَيضَاً– حَرْفَا (الرَّاء)، وَ(النُّون)، وَقَد وَرَدَا فِي قَولِهِ فِي صِفَةِ المَعشُوق:[1]

[الخفيف]

وَلَـــهُ مِـــنْ زَبَرْجَـــدِ الشَّـــعْرِ (رَاءٌ) فَـــوْقَ ثَغْـــرٍ كَ(النُّـــونِ) فِـــي التَّفْرِيـــقِ

يُستَخلَص مِمَّا سَبَق أَنَّ الطَّابعَ العامّ الذي تَتَّسِمُ بِهِ لغةُ الوأواءِ هُوَ طَابعُ السُّهولَةِ وَالبَسَاطَةِ وَالوُضُوح، مَعَ الجُنُوحِ إِلى الشَّعبِيَّةِ في بَعضِ الأَحيان، إِلا أَنَّهُ كانَ يَلجأُ في مَدائِحِـهِ وَبَعـضِ غَزَلِيَّاتِهِ التَّقليدِيَّةِ إِلى تَوظِيفِ الأَلفَاظِ التَّقلِيدِيَّةِ المُعَقَّدَةِ الوَحشِيَّةِ وَالعباراتِ القَدِيمَة، مِمَّا يَشِي بِأَنَّهُ كَانَ يَمِيلُ إِلى تَحقِيقِ المُناسَبَةِ بَينَ أَلفَاظِهِ وَالأَغراضِ التي طَرَقَهَا، وَيُلاحَظُ أَنَّهُ وَظَّفَ في شِعرِهِ كَثِيراً مِنَ الأَلفاظِ المُعرَّبَةِ الدَّخِيلَةِ، وَمُصطَلَحَاتِ عِلمِ الكِتابَةِ وَالتَّدوِين، الأمر الذي أَدَّى دَوراً مُهِمَّاً فِي تَقرِيبِ الفِكرَةِ مِنَ السَّامِع، وَبِنَاءِ الصُّورَةِ بِنَاءً جَمِيلاً قَرِيباً مِنَ الوَاقِع.

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص159.

المَبحَثُ الثَّالِث

ظَوَاهِر أُسلُوبِيَّة

أَوَّلاً: الطِّبَاقُ وَالمُقَابَلة

أ- الطِّباق:

الطِّباقُ مِن أَبرَزِ المُحَسِّناتِ البَدِيعِيَّةِ وَأَكثَرِهَا شُيُوعاً فِي شِعرِ الوأواء ، وَيُطلَقُ عَلَيهِ التَّطبيق، والمُطابَقَة، والتَّضاد[1]، وَهُو: الجَمعُ بَينَ الشَّيءِ وَضِدِّهِ فِي كَلامٍ أَو بَيتِ شِعرٍ أَو حِكمَةٍ أَو خُطبَة، مِثلَ الجَمعِ بَينَ اللَّيلِ وَالنَّهارِ، وَالبَياضِ وَالسَّوادِ، وَالشَّجَاعَةِ وَالجُبنِ، وَالحَرِّ وَالبَردِ، وَيسعد وَيَشقى...[2]

وَمِنَ الطِّباقِ مَا لا يَختَلِفُ فِيهِ الضِّدَّانِ إِيجَاباً وَسَلباً، وَهُوَ مَا يُسمَّى طِباقَ الإِيجاب[3]، وَقَد يَقَعُ بَينَ اسمَين، نَحو (طويل وقصير)، أَو بَينَ فِعلَين، مِثل (يُعِزّ ويُذِلّ)، أَو بَينَ حَرفَين، نَحو (لك وعليك)، وَقَد يَكُونُ بِلَفظَينِ مِن نَوعَينِ مُختَلِفَين[4]، مِن مِثل (ميتاً، فأَحييناه) فِي قَولِهِ تَعَالى: ﴿**أَوَمَنْ كان ميتاً فَأَحيَيناه**﴾[5]. وَهُنَاكَ مَا يُسمّى طِباقَ السَّلب، وَهُوَ مَا اختَلَفَ فِيهِ الضِّدَّانِ إِيجَاباً وَسَلباً، وَيَكُونُ بالجَمعِ بَينَ فِعلَي مَصدَرٍ وَاحِدٍ مُثبَتٍ وَمَنفِيٍّ، نَحو (تعلمون، ولا تعلمون)، أَو أَمرٍ وَنَهي، نَحو (ادرس، ولا تدرس)[6].

إِنَّ الطِّباقَ "يضفي على القول رونقاً وبهجة ويقوّي الصلة بين الألفاظ والمعاني، ويجلو الأفكار ويوضحها"[7]، وَذَلِكَ شَرِيطَةَ أَنْ يَكُونَ مَطبُوعاً غَيرَ مُتَكَلَّفٍ مَصنُوعٍ.

---

[1] يُنظر: عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2004، ص59.

[2] يُنظر: العسكري، أبو هلال: **الصناعتين**، ص339. السّكّاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: **مفتاح العلوم**، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983، ص423.

[3] يُنظر: ساسه، صالح: **المنجد في الإعراب والقواعد والبلاغة والعروض**، دمشق: المطبعة العلميَّة، (د.ت)، ص358.

[4] يُنظر: الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد: **الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)**، وضعَ حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003، ص255-256.

[5] سورة الأنعام، الآية (122).

[6] يُنظر: الخطيب القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص257.

[7] عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، ص70.

وَيَلجَأُ الشَّاعِرُ –أَيُّ شاعِرٍ– إلى تَوظِيفِ الطِّباقِ لِلكَشفِ عَن حَالَتِهِ النَّفسِيَّةِ المُضطَرِبَةِ، وَلإبرازِ وَاقِعِهِ المَلِيءِ بالثُّنَائِيَّاتِ وَالمُتَنَاقِضَاتِ، فَ "أفكار الشخص تختلف تبعاً لحالته الوجدانية. والصورة تولد مع الفكر وترتبط به، فتعبر عن فكر صاحبها في سعادته وشقائه، في سروره وألمه"[1]، غَيرَ أَنَّ هَذا التَّنَاقُضَ وَالتَّعاكُسَ الذي نَجِدُهُ لَدى بَعضِ الشُّعَراءِ –فِي مُعظَمِ الأَحيانِ– لَيسَ دَلِيلَ ضَعفٍ أَو رَكَاكَةٍ، وَإِنَّما قَدْ يَكونُ مَظهَراً مِن مَظَاهِرِ العَبقَرِيَّةِ وَرَوعَةِ الفَنِّ وَصَاحِبِهِ[2].

وَيَضطَلِعُ الطِّبَاقُ فِي شِعْرِ الوأواءِ بِدَورٍ كَبِيرٍ فِي لَفتِ انتِبَاهِ السَّامِعِ وَجَذبِه، وَفِي إِبرَازِ المَعنى وَتَوكِيدِه، وَمِنَ الأَمثِلَةِ عَلَيه مَا وَرَدَ فِي قَولِهِ:[3]

[البسيط]

ولَيس مَوتي عَجيباً بعدَ بينِكُمُ وَإِنَّما في حياتي بَعدكم عَجَبُ

حَيثُ (موتي) ضِدّ (حياتي)، وَقَد وَظَّفَ الشَّاعِرُ الطِّبَاقَ هُنَا لِيُدَلِّل عَلَى أَثَرِ الهجرَانِ وَالبَينِ وَالفِرَاقِ فِي نَفسِه، فَهُوَ يُسَبِّبُ لَهُ المَوتَ وَالهَلاكَ وَالدَّمَارَ وَالضَّعفَ وَالسَّقَم.

وَمِنهَا مُطَابَقَتُهُ بَينَ (التَّلاقي)، وَ(الفراق)، فِي قَولِهِ:[4]

[الخفيف]

حَسَدَتْنَا أَيَّامُنَا بِالتَّلاقِي فَرَمَتْنَا تَعَسُّفاً بِالفِراقِ

وَذَلِكَ لِيُبَيِّنَ تَغَيُّرَ أَحوَالِهِ مَعَ مَحبُوبَتِهِ إِلى ضِدِّها، وَلِيُدَلِّل عَلَى الوَاقِعِ المَرِيرِ الذي يَعِيشُهُ مَعَهَا، فَأَوقَاتُ الوِصَالِ لا تَستَمِرُّ طَوِيلاً، وَهِي دَائِمَاً تَكُونُ مَتبُوعَةً بِأَوقَاتِ فِرَاقٍ وَبَينٍ وَهِجرَان.

وَمِنهَا مُطابقَتُهُ بَينَ (حلوة)، وَ(مَرارات)، فِي قَولِهِ:[5]

---

[1] نافع، عبد الفتاح: **الشعر العباسي قضايا وظواهر**، ط1، عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع، 2008، ص204.

[2] المرجع السابق، ص204.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص34.

[4] المصدر السابق، ص167.

[5] المصدر السابق، ص61.

[البسيط]

دُونَ المُنَى فـــي الهَـــوى يَـــا نَفْـــس آفـــاتُ كَـــأْسُ الهَـــوى حُلْـــوَةٌ فِيهَـــا مَـــرارَاتُ

وَفِي هَذَا دِلالَةٌ عَلَى أَنَّ علاقَتَهُ مَعَ المَحبُوبَةِ تَتَرَاوَحُ بَينَ حَالَتَين، هُمَا: الوِصَالُ مِن جِهَة، وَالفرَاقُ وَالقَطِيعَةُ مِن جِهَةٍ أُخرى، وَقَدِ استَعمَلَ (حلوة) فِـــي حَالَـــةِ الإفـــراد، وَجَعَـــلَ ضِـــدَّها (مرارات) فِي حَالَةِ الجَمع، وَذَلِكَ لِيُؤَكِّدَ عَلَى أَنَّ أَوقَات الفَرَحِ وَالسَّعَادَةِ وَالسُّرورِ وَالوِصَالِ مَـــعَ المَحبُوبَةِ قَلِيلَةٌ مَحدُودةٌ، وَفِي المُقَابِل أَوقَات الهَجرِ وَالفراقِ طَوِيلَةٌ مُمتَدَّة.

وَطَابَقَ بَينَ (طويل)، وَ(قصير) فِي قَولِه:[1]

[الطويل]

ولَيـــلٍ طَوِيـــلٍ كَـــانَ لَمَّـــا قَرَنتُـــهُ بِرُؤيَةِ مَـــنْ أَهـــوَى قَصِـــيرَ الجَوَانِـــبِ

وَفِي هَذَا دِلالَةٌ عَلَى أَثَرِ زِيَارَةِ المَحبُوبَةِ فِي تَقصِيرِ لَيلِهِ الطَّوِيل، وَتَقلِيصِهِ وَجَعلِ سَاعَاتِهِ قَلِيلَةً مَحدُودَة.

وَمِن نَمَاذِجِ الطِّبَاقِ –كَذَلِكَ– مَا وَرَدَ فِي قَولِهِ فِي إِحدَى رَوضِيَّاتِه:[2]

[الخفيف]

لَـــو تَصَـــدَّى نَسِـــيمُهَا لِمَشِـــيبٍ عَـــادَ مِنـــهُ إِلَـــى أَوَانِ الشَّـــبَابِ

حَيثُ طَابَقَ بَينَ (المَشيب)، وَ(الشَّباب)؛ لِيُدَلِّل عَلَى أَثَرِ النَّسِيمِ الذي يَهُبُّ فِي تِلكَ الرَّوضَةِ عَلَى نَفسِ الإنسَان، فَهُوَ نَسِيمٌ عَلِيلٌ رَطِيبٌ مُنعِشٌ، يُرِيحُ النَّفسَ وَيَبعَثُ فِيهَا النَّشَـــاطَ وَالحَيَوِيَّـــةَ، فَيُعِيدُ الشَّيخَ المَشِيبَ إِلى شَبَابِه.

وَطَابَقَ بينَ (استَدّ)، وَ(مُفتَتَحا)، فِي قَولِهِ:[3]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص26.

[2] المصدر السابق، ص13.

[3] المصدر السابق، ص70.

[المنسرح]

مَا اسْتَدَّ بَــابُ السُّــرُورِ عَــنْ أَحَــدٍ إلا غَـــــدا بِالمُـــــدامِ مَفْتَحـــــا

لِيُظهِرَ أَثَرَ الخَمرِ فِي نُفُوسِ شَارِبِيهَا، فَهِي –مِن وجهَةِ نَظَرِهِ– تُزِيلُ الهُمُومَ وَالأَحــزانَ عَن شَارِبِها، وَتَفتَحُ لَهُ آفاقَ الفَرَحِ وَالسُّرورِ وَالسَّعادَةِ وَالانشِرَاح.

وَيَقولُ فِي مَدحِ الشَّريفِ العَقيقِيّ بَعدَ أَنْ عَدَّدَ صِفاتِهِ الحَسَنَة وَعَادَاته الكَريمَة:[1]

[الخفيف]

حَسَـــنَاتٌ لَـــم تَتَّصِـــلْ بِمَسَـــاوٍ تَتَقَضّـــــى تَقَضِّـــــيَ الأَوْطَـــــارِ

فَطَابَقَ بينَ (حسنات)، و(مساوئ)، وَهُوَ بِذَلِكَ يُقوِّي المعنى وَيُثَبِّتُهُ فِي ذِهــنِ السَّــامِع، وَيُؤَكِّدُ أَنَّ تِلكَ الصِّفَاتِ الحَسَنَة صِفاتٌ خَالِصَةٌ لا تَشُوبُهَا أَيَّةُ شَائِبَةٍ.

وَمِن طِباقِ السَّلْبِ فِي شِعْرِهِ، مَا وَرَدَ فِي قَولِهِ:[2]

[البسيط]

لا أَرَّقَ اللهُ عَيْنَـــيْ مَـــنْ يُـــؤَرِّقُنِي وَلا مَــلا مِثْــلَ قَلبِــي قَلْبَــهُ بُرَحَــا

فَهُوَ يُطابِقُ بينَ (لا أرَّقَ)، وَ(يُؤَرِّق)، لِلتَّدلِيلِ عَلَى وَفَائِهِ لِلمَحبُوبَةِ وَخَوفِهِ عَلَيهَــا، فَهُــوَ يَدعُو لَهَا بالفَرَحِ وَالسَّعَادَةِ وَالرَّاحَةِ وَالطُّمَأنِينَة، عَلَى الرَّغمِ مِمَّا تَرَكَتهُ هَذِهِ المَحبُوبَةُ فِي قَلبِهِ مِن حُزنٍ وَأَلَمٍ وَكَمَدٍ وَنَصَبٍ وأَرَق.

وَلِيُؤَكِّدَ –مَرَّةً أُخرى– عَلَى وَفَائِهِ وَإِخلاصِهِ لِلمَحبُوبَة، فَإِنَّهُ يُطــابِقُ بَــينَ (خــان، ولا يخون)، فَهُوَ مُلتَزِمٌ بِعَهدِهِ وَبِحُبِّهِ لَهَا، حَتَّى إِذا مَا نَقَضَت هَذا العَهد، وَتَخَلَّتْ عَــن هَــذا الحُــبّ، يَقُول:[3]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص97.

[2] المصدر السابق، ص69.

[3] المصدر السابق، ص227.

[مجزوء الرمل]

يَـــا حَبِيبَـــاً خَـــانَ عَهْـــدِي أَنَـــا مِمَّـــنْ لا يَخُـــونُ

وَتَحَدَّثَ الوأواءُ عَنِ انتِهَاءِ حَالَةِ الهجرَانِ وَالبَينِ وَالقَطِيعَةِ التي كَانَ يَلقَاهَا مِنَ المَحبُوبَة، وَابتِدَاءِ زَمَنِ الوِصَال، وَذَلِكَ بِزِيَارَتِهَا لَهُ، وَلِيُؤَكِّد ذَلِكَ طَابَقَ بَينَ (زار)، وَ(غير زَوَّار)، فِي قَولِهِ:[1]

[السريع]

زَارَ المُنَـــى وَالسُّـــؤْلُ إِذْ زارَنِـــي وَكَـــانَ قِـــدْماً غَيـــرَ زَوَّارِ

وَيُوَظِّفُ الطِّبَاقَ فِي قَولِهِ:[2]

[مجزوء السريع]

مَـــنْ سَـــرَّهُ العِيْـــدُ فَـــلا سَـــرَّنِي بَـــلْ زَاد فِـــي شَـــوْقِي وَأَحْزَانِـــي
لأَنَّـــهُ ذَكَّرَنِـــي مَـــا مَضَـــى مِـــنْ عَهْـــدِ أَحْبَـــابِي وَإِخْـــوَانِي

حَيثُ يُطَابِقُ بَينَ (سرَّه، ولا سرَّني)؛ لِيُدَلِّلَ عَلَى حَالَةِ الحُزنِ وَالأَلَمِ وَالمُكَابَدَةِ التي كَـانَ يَعِيشُهَا خِلالَ أَيَّامِ العِيد، بَعِيداً عَن أَحبَابِهِ وَخِلّانِهِ وَأَصدِقَائِه.

ب- المُقابَلَة:

إِنَّ المُقابَلَةَ شَبِيهَةٌ بالطِّبَاقِ، غَيرَ أَنَّهُ يَتِمُّ فِيهَا الجَمعُ بينَ شَيئَيْنِ مُتَوَافِقَينِ أَو أَكثَر، وَبَينَ ضِدَّيهِمَا، فَإِذا مَا شَرطتَ شَرطاً شَرَطْتَ هُنَاكَ ضِدَّه[3]، وَقَد تَكُونُ المُقابَلَةُ بينَ شَيئَيْنِ وَضِدَّيهِمَا، أَو بينَ ثلاثَةٍ وَمَا يُقابِلُهَا، وَقَد تَكُونُ مُقابَلَةَ أَربَعَةٍ بِأَربَعَة، أَو خَمسَةٍ بِخَمسة، وَقَد تَصِلُ إِلى مُقَابَلَةِ سِتَّةٍ بِسِتَّة[4].

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص116.

[2] المصدر السابق، ص277.

[3] يُنظر: السّكّاكي: **مفتاح العلوم**، ص424. الصرصري، الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم البغدادي: **الأكسير في علم التفسير**، تح: عبد القادر حسين، المطبعة النموذجية، 1977، ص259.

[4] يُنظر: عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، ص67-69.

إنَّ "صحة المقابلات تتمثل في توخي المتكلم بين الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني، لا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق ومتى أخلّ بالترتيب كانت المقابلة فاسدة"[1].

وَمِن مُقابَلاتِ الوأواءِ، مَا جَاءَ فِي قَولِهِ فِي رَحِيلِ المَحبُوبة:[2]

[البسيط]

مَا سَوَّدَ الحُزْنُ مُبْيَضَّ السُّرورِ بِها إلا وَأَيَّامُ عُمْرِي بَعْدَها سُودُ

حَيثُ لَوَّنَ الحُزنَ بالأسوَد، وَالسُّرُورَ بالأبيَض، وَقَابَلَ بَينَهُمَا؛ لِيُشِيرَ إلى انقِلابِ حَياتِهِ رَأساً عَلى عَقِبٍ نَتِيجَةَ فِراقِ المَحبُوبَةِ وَصُدُودِهَا، حَيثُ امتَلأَتْ بالحُزنِ وَالألَمِ وَالأسَى، بَعدَ أَن كانَت مَليئَةً بالفَرَحِ وَالسُّرُور وَالإشرَاق.

وَفِي قَولِهِ:[3]

[الطويل]

أُحِبُّ بِأَنْ أَحْيا بِوَصْلِكِ ساعَةً ولَوْ كانَ فِيها مَيْتَةٌ بِجَفاكِ

يُقَابِلُ بَينَ حَالَتَين، الأولى: وِصَالُ المَحبُوبَة، وَمَا يَنتُجُ عَنهُ مِن فَرَحٍ وَسَعَادَةٍ وَبَهجَة (أحيا بوصلك)، أَمَّا الثَّانِيَة، فَهِي جَفَاؤُهَا وَإِعرَاضُهَا وَبَينُهَا، وَمَا يَنتُجُ عَنهُ مِن حُزنٍ وَكَمَدٍ وَضَعفٍ وَهُزَال (ميتة بجفاك)، فَعِندَهُ أَنَّ الحَيَاةَ تَقتَرِنُ بالوِصَال، وَالمَوتَ يَقتَرِنُ بالجَفَاء.

وَفِي قَولِهِ فِي المَحبُوبَة:[4]

---

[1] عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، ص66-67.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص71.

[3] المصدر السابق، ص171.

[4] المصدر السابق، ص228.

[الوافر]

وِصَـــالُك جنَّتِـــي وَجَفَـــاك نَـــارِي وَوَجْهُـــك قِبْلَتِـــي وَهَـــوَاك دِينِـــي

مُقابَلَةٌ بينَ (وصالك جنَّتي)، وَ(جفاك ناري)، وَفِيهَا دلالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَـى أَثَـرِ وِصَـالِ المَحبُوبَةِ وَهجرَانِهَا فِي نَفسِه.

وَمِنهَا –كَذَلِكَ– مُقابَلَتُهُ بينَ (أحلى رضاك)، وَ(أمرَّ سخطك)، فِي قَولِه:[1]

[البسيط]

لِلـــهِ لِلـــهِ مَـــا أَحْلَـــى رِضَـــاكِ وَمَـــا أَمَـــرَّ سُـــخْطَكِ يَـــا مَـــوْلاةَ مَوْلاهَـــا

فَسَعَادَتُهُ وَحَلاوَةُ حَيَاتِهِ مُقتَرِنَتَانِ بِرِضى المَحبُوبَةِ وَوِصَالِهَا وَلِقَائِهَا، وَكَآبَتُـهُ وَمَـرارَةُ عَيْشِهِ مُقتَرِنَتَانِ بِسُخطِها وَهجرانِها.

وَفِي قَولِه: [2]

[الطويل]

فَتًـــى أَلِـــفَ الأَيَّـــامَ ثَـــوبَ شَـــبِيبَةٍ وَكَانَـــت قَـــدِيمَاً فِـــي جَلابِيـــبِ شَـــائِبِ

يُقَابِلُ بَينَ حَالَةِ العِزَّةِ وَالمَجدِ وَالشَّرَفِ وَالكَرَامَةِ التي أَصبَحَ النَّاسُ يَعِيشُونَهَا تَحتَ حُكـمِ مَمدُوحِهِ سَيفِ الدَّولَة، وَيُستَشَفُّ ذَلِكَ مِن (ثوب شبيبة)، وَبَينَ حَالَةِ الذُّلِّ وَالهَـوَانِ التـي كَـانُوا يَعِيشُونَهَا قَبلَ حُكمِهِ لَهُم، وَيُستَشَفُّ ذَلِكَ مِن (جلابيب شائب)، وَفِي هَذَا دلالَةٌ عَلَى تَمَيُّزِ المَمدُوحِ وَالإعجَابِ بِه، وَعَلَى أَنَّهُ مُخلِصٌ يَسهَرُ عَلَى خِدمَةِ الأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ، وَعَلَى مَا فِيهِ خَيرٌ لَهَا.

يُلاحَظُ مِمَّا سَبَقَ كَثرَةَ الطِّباقِ وَالمُقابَلَةِ فِي شِعرِ الوأواء، لا سِيَّمَا فِي غَزَلِيَّاتِـه، فَهُمَـا يَدُورانِ –فِي مُعظَمِ الأَحيَانِ– حَولَ قَضِيَّةِ الوِصالِ وَالهجرانِ، وَالتَّلاقِي وَالفراق، فَهُـوَ يُحـاوِلُ الوِصالَ، وَمَحبُوبَتُهُ تَهجُرُهُ وَتَبتَعِدُ عَنهُ، وَهُوَ يَقتَرِبُ مِنهَا غَيرَ أَنَّهَا تَبتَعِد، وَهُوَ يُحافِظُ عَلَى العَهدِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص255.

[2] المصدر السابق، ص21.

مَعَهَا، وَهِي تَخون ...، إِنَّ هَذِهِ المُتَضادَّاتِ تَكشِفُ شَيئاً عَنِ الواقِعِ الذي عَاشَهُ الوأواءُ، فَهُوَ وَاقِعٌ مَلِيءٌ بَالمُتَنَاقِضاتِ وَالمُتَضَادَّاتِ، ممَّا جَعَلَهُ يَنظِمُ شِعراً يَغصُّ بالمُتَطابِقاتِ وَالمُتَعاكِساتِ بِحَيث يَتَناسَبُ مَعَ ذَاكَ الوَاقِع.

ثانِياً: التَّنَاصّ:

إِنَّ التَّنَاصَّ مُصطَلَحٌ نَقدِيٌّ حَدِيثٌ وَافِدٌ مِنَ الغَرب، فَهُنَاكَ إِجمَاعٌ بَينَ النُّقَّادِ عَلَى أَنَّ البلغارِيَّة (جوليا كريستيفا) هيَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ هَذَا المُصطَلَح عام 1966م، مُعتَمِدَةً فِي ذَلِكَ عَلَى مَفهُومِ الحِوارِيَّةِ عِندَ (باختين) الرُّوسِيّ وَمُنطَلِقَةً مِنه[1].

وَيَقُومُ التَّنَاصُّ عَلَى التَّفَاعُلِ وَالتَّشَارُكِ بَينَ النُّصُوصِ المُتَعَدِّدَة، وَبِنَاءً عَلَيه فَقَد عَرَّفَهُ محمد مفتاح بِأَنَّهُ "تعالقُ نصوصٍ مع نصٍّ، حَدَثَ بكيفيات مختلفة"[2]، وَإِذا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِك فَإِنَّهُ يَستَوجِبُ الحِفظَ وَالمَعرِفَةَ بالنُّصُوصِ السَّابِقَةِ وَالاطِّلاعَ عَلَيهَا "لأن النص يعتمد على تحويل النصوص السابقة وتمثيلها بنص موحد يجمع بين الحاضر والغائب وينسج بطريقة تتناسب وكل قارئ مبدع"[3].

وَفِي هَذا المَجَال، وَاعتِمَاداً عَلَى مَا سَبَق يَرى محمد عبد المطلب أَنَّ الإنتاجِيَّةَ الشِّعرِيَّةَ تُمَثِّلُ عَمَلِيَّةَ استِعَادَةٍ لِلنُّصُوصِ القَدِيمة، فِي شَكلٍ خَفِيٍّ أَحيَانَاً وَجَلِيٍّ أَحيَانَاً أُخرى، بَل إِنَّ قِطَاعَاً كَبِيرَاً مِن هَذَا النِّتَاجِ الشِّعرِيّ، يُعَدُّ تَحوِيراً لِمَا سَبَق، ذَلِكَ أَنَّ المُبدِعَ أَسَاسَاً لا يَتِمُّ لَهُ النُّضجُ الحَقِيقِيُّ إِلا باستِيعَابِ الجُهدِ السَّابِقِ عَلَيهِ فِي مَجَالاتِ الإبدَاعِ المُختَلِفَة[4].

---

[1] يُنظر: المناصرة، عز الدين: **علم التناصّ المُقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)**، ط1، عمّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2006، ص138.

[2] مفتاح، محمد: **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناصّ)**، ط3، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1992، ص121.

[3] السعدني، مصطفى: **التناصّ الشعري (قراءة أخرى لقضية السرقات)**، منشأة المعارف المصرية: مصر، 1991، ص8.

[4] يُنظر: عبد المطلب، محمد: **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان): مصر، 1995، ص141-142.

وَالتَّنَاصُّ فِي شِعرِ الوأواءِ صِنفَان، صِنفٌ يَتَنَاصُّ مَعَ القُرآنِ الكَرِيم، وَهُوَ مَا يُطلَقُ عَلَيهِ التَّنَاصّ الدِّينِيّ، وَآخَرُ يَتَنَاصُّ مَعَ أَشعَارِ الشُّعَرَاءِ السَّابِقِين، وَهُوَ مَا يُعرَفُ بالتَّنَاصِّ الأَدَبِيّ، وَفِيمَا يَأتِي بَيَانٌ لِكِلا هَذَينِ الصِّنفَينِ، وَشَوَاهِدُ عَلَيهِمَا:

أَوَّلا: التَّنَاصُّ الدِّينِيّ:

يُلاحَظُ عَلَى الوأواءِ أَنَّهُ مُتَأَثِّرٌ بالقُرآنِ الكَرِيمِ فِي بَعضِ أَشعَارِهِ، فَقَد وَظَّفَ بَعضَ النُّصُوصِ القُرآنِيَّةِ وَاستَوحَاهَا فِي شِعرِهِ، وَهَذَا التَّوظِيفُ مُتَنَوِّعٌ، فَمِنهُ اللفظِيُّ، وَمِنهُ المَعنَوِيّ، وَمِنهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِشَخصِيَّاتٍ دِينِيَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ وَاستِحضَارِهَا فِي النَّصِّ الشِّعرِيّ، أَمَّا مَوضُوعَاتُ تَنَاصِّهِ الدِّينِيّ، فَتَقتَصِرُ عَلَى غَرَضِ الغَزَلِ وَمَا فِيهِ مِن وَصفٍ لِلمَحبُوبَةِ وَحُسنِهَا وَجَمَالِهَا، وَبَيَانٍ لِلمُعَانَاةِ النَّاجِمَةِ عَن صُدُودِهَا وَإِعرَاضِهَا.

وَعَلَى الرّغمِ مِن قِلَّةِ تَأَثُّرِ الوأواءِ بالقُرآنِ الكَرِيمِ وَاستِيحَائِهِ لِنُصُوصِهِ، ، فَإِنَّ هَذَا التَّأَثُّرَ يُثِير فِي النَّفسِ تَساؤُلاً مُهِمَّاً، فَقَد يَقُولُ أَحَدُهُم: أَلَم يَكُن الوأواءُ شَاعِراً مَاجِناً لاهِياً خَلِيعَاً عَابِثاً جَارِياً وَرَاءَ القِيانِ وَالجَوارِي وَالخُمورِ وَمَجَالِسِ العَبَثِ وَالتَّهتُّك؟ فَكَيفَ يُعثُرُ فِي شِعرِهِ عَلَى مِثلِ تِلكَ الإِشاراتِ القرآنِيَّةِ وَالدِّينِيَّة؟ يُقالُ فِي تَوضِيحِ هَذِهِ المَسأَلَة: إِنَّ وُجُودَ مِثلِ هذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي شِعرِهِ لا يَعنِي أَنَّهُ كَانَ مُتَدَيِّناً وَرِعَاً تَقِيَّاً، وَإِنَّمَا يَدلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُثَقَّفاً ثَقَافَةً دِينِيَّةً عَالِيَةً، اكتَسَبَهَا وَحَصَلَ عَلَيها –كَغَيرِهِ مِن شُعَرَاءِ عَصرِهِ– فِي مرحَلَةِ الدَّرسِ وَالتَّحصِيلِ، وَهَذِهِ قَضِيَّةٌ أَشَارَ إِلَيها عِزّ الدِّين إِسماعيل فِي قَولِهِ: إِنَّ شُيُوعَ قَدرٍ كَبِيرٍ مِنَ المُعجَمِ القرآنِيِّ فِي أَشعَارِ العَبَّاسِيِّين، لا يَدُلُّ "بحال من الأحوال على نزعة إلى التدين لدى شعراء ذلك العصر؛ لأن الظاهرة مشتركة لدى شعراء مثل أبي العتاهية من جهة، وأبي نواس من جهة أخرى. والأمر في تصورنا لا يعدو أن يكون دليلاً على جانب من جوانب ثقافة الشعراء في ذلك العصر. وقد كان حفظ القرآن لدى الأكثرية منهم أول مرحلة من مراحل التحصيل"[1].

[1] إسماعيل، عز الدين: **في الأدب العباسي الرؤية والفن**، ص432.

وَمِنَ الأمثِلَةِ عَلَى تَأَثُّرِ الوأواءِ بِأَلفَاظِ القرآنِ الكَرِيم، مَا وَرَدَ فِي قَولِهِ:[1]

[المتقارب]

تَكَبَّـــــرَ لَمَّـــــا رَأَى نَفْسَـــــهُ عَلَـــى هَيْئَـــةِ الشَّـــمْسِ إِذْ صُـــوِّرَتْ
سَـــــيَنْدَمُ أَلْفَـــاً عَلَـــى فِعْلِـــهِ إِذَا الشَّـــمْسُ فـــي خَـــدِّهِ كُـــوِّرَتْ

فَالمَحبُوبَةُ الظَّالِمَةُ لِلشَّاعِرِ بِصُدُودِهَا وَإِعرَاضِهَا وَتَكَبُّرِهَا عَلَيهِ إِعجَابَاً بِجَمَالِهَا وَحُسنِهَا، سَوفَ تَندَمُ عَلَى فِعلِهَا هَذَا إِذَا مَا زَالَ جَمَالُهَا لِسَبَبٍ مِنَ الأسباب، وَهَذَا النَّدَمُ كَبِيرٌ عَظِيمٌ يَتَشَـــابَهُ مَعَ نَدَمِ الكُفَّارِ الظَّالِمِينَ الجَاحِدِينَ بِنِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى أَفعَالِهِم الدّنيَوِيَّةِ يَومَ القِيَامَةِ عِنـــدَ تَكـــوِيرِ الشَّمسِ وَزَوَالِهَا. وَقَد كَانَ التَّنَاُّص هُنَا مَعَ قَولِهِ تَعَالَى: **﴿إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ﴾**[2].

وَفِي قَولِهِ:[3]

[الوافر]

أَمُـــوتُ مِـــنَ الصَّـــبَابَةِ ثُـــمَّ أَحيَـــا كَـــذَاكَ الحُـــبُّ أَضـــحَكَنِي وَأَبكَـــى

فَالحُبُّ تَارَةً يُضحِكُ الشَّاعِرَ وَيُدخِلُ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ إِلى قَلبِـــه، وَذَلِـــكَ عِنـــدَ وِصَـــالِ المَحبُوبَةِ، وَتَارَةً أُخرَى يُبكِيهِ وَيُدخِلُ الحُزنَ وَالأسَى إِلى نَفسِهِ، وَذَلِكَ عِندَ صُدُودِهَا وَإِعرَاضِهَا، وَفِي هَذَا البَيتِ يَستَلهِمُ الوأواءُ قَولَهُ تَعَالَى فِي النَّاسِ يَومَ القِيَامَة: **﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضحَكَ وَأَبكَـــى﴾**[4]، فَهُم صِنفَان وَعَلَى حَالَتَين، فَمِنهُم مِنْ هُوَ فَرِحٌ ضَاحِكٌ مَسرُورٌ بِجَزَائِهِ (الجَنَّة)، وَمِنهُم مِنْ هُـــوَ بَاكٍ حَزِينٌ بِجَزَائِهِ (النَّار)، فَوِصَالُ المَحبُوبَةِ جَنَّةُ العَاشِقِ، وَهجرَانُهَا وَبَينُهَا نَارُهُ.

وَفِي قَولِهِ:[5]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص262.

[2] سورة التكوير، الآية (1).

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص174.

[4] سورة النجم، الآية (43).

[5] الوأواء: **ديوانه**، ص269.

[المتقارب]

وَشَـــاهَدتُ منـــهُ كَثِيبَـــاً مَهِـــيلا وَغُصـــنَاً رَطِيبَـــاً وَبَـــدرَاً أَنَـــارَا

حَيثُ يَصِفُ فِي الشَّطرِ الأوَّلِ عِظَمَ رِدفِ المَحبُوبَةِ وَضَخَامَتَهُ، فَقَد شَبَّهَهُ بِكَومَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الرَّملِ المُتَجَمِّعِ، وَلِلتَّدلِيلِ عَلَى ضَخَامَةِ رِدفِ المَحبُوبَةِ استَخدَمَ التَّنَاصَّ مَـعَ قَولِـهِ تَعَـالى: ﴿**وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلا**﴾[1]، وَفِي هَذِهِ الآيَةِ وَصفٌ لِلجِبَالِ بِالعِظَمِ وَالضَّخَامَة، وَذَلِكَ بِتَشبِيهِهَا بِالكَثِيبِ المَهِيل.

وَمِن تَنَاصِّهِ المَعنَوِيِّ مَعَ القُرآنِ الكَرِيمِ مَا جَاءَ فِي قَولِهِ:[2]

[البسيط]

اللهُ يَعْلَـــمُ أَنِّـــي هَـــائِمٌ قَلِـــقٌ عَلَيَّ ثَوْبانِ مِـنْ ضُـرٍّ وَمِـنْ سَـقَمِ
وَقَدْ نَدِمتُ عَلى مـا كـانَ مِـن زَلَلِـي وَأَنتَ أَعْظَمُ مَـنْ يُرجَـى مِـنَ الأُمَـمِ
فَـاغفِرْ لِعَبْـدِكَ يـا مَـوْلايَ زَلَّتَـهُ أَوْ لا فَحُكمُـكَ فِينـا غَيْـرُ مُحـتَكِمِ

فَفِي الشَّطرِ الأَوَّلِ مِنَ البَيتِ الثَّالِثِ يَطلُبُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الرَّحمَـةَ وَالمَغفِـرَةَ عَلَـى الذُّنُوبِ وَالآثَامِ وَالزَّلاتِ التي ارتَكَبَهَا فِي حَيَاتِهِ، وَهُوَ بِهَذَا يَستَلهِمُ قَولَهُ تَعَالى: ﴿**ربَّنا اغفِر لَنـا ذُنُوبَنـا...**﴾[3]، وَفِي الشَّطرِ الثَّانِي مِنهُ يُسَلِّمُ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالى وَإِرَادَتِهِ وَحُكمِه، فَهُوَ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لِعِبَادِهِ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَغفِر، وَالشَّاعِرُ بِهَذَا المَعنى مُتَأَثِّرٌ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ التي تُقَرِّرُ بِأَنَّ الحُكمَ للهِ وَحدَهُ، فَهُوَ صَاحِبُ الإِرَادَةِ وَالمَشِيئَة: ﴿**ومَنْ أحسَنُ من الله حُكماً لقومٍ يوقنون**﴾[4].

وَيَشتَمِلُ شِعْرُ الوأواءِ عَلَى بَعضِ الشَّخصِيَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِن قَولِهِ:[5]

---

[1] سورة المزمل، الآية (14).
[2] الوأواء: **ديوانه**، ص206.
[3] سورة آل عمران، الآية (147).
[4] سورة المائدة، الآية (50).
[5] الوأواء: **ديوانه**، ص276.

[الطويل]

لَهَا حُكْــمُ (لُقْمَــانٍ) وَصُــورَةُ (يُوسُــفٍ) وَنَغْمَــــةُ (دَاوُدٍ) وَعِفَّـــــةُ (مَـــــرْيَمِ)
وَلِـــي سُــقْمُ (أَيُّــوبٍ) وَغُرْبَــةُ (يُــونُسٍ) وَأَحْـــزَانُ (يَعْقُـــوبٍ) وَوَحْشَـــةُ (آدَمِ)

لَقَدِ استَحضَرَ الوأواءُ فِي المَقطُوعَةِ السَّابِقَةِ العَدِيدَ مِنَ الشَّخصِيَّاتِ القُرآنِيَّةِ، وَوَظَّفَهَا فِي البَيتِ الأوَّلِ لِبَيَانِ صِفَاتِ المَحبُوبَةِ وَسِمَاتِهَا، وَفِي البَيتِ الثَّانِي لِبَيَانِ الأَلَمِ وَالمُعَانَاةِ التي يَشْــعُرُ بِهَا مِن صُدُودِ تِلكَ المَحبُوبَةِ وَهجرَانِهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ رَغبَةً مِنهَ فِي تَضخِيمِ الفِكرَةِ وَتَأكِيدِهَا وَجَعلِهَا أَكثَرَ تَأثِيراً فِي النُّفُوس، وَأَوَّلُ شَخصِيَّةٍ استَحضَرَهَا هِيَ شَخصِيَّةُ النَّبِيِّ (لُقمان) –عَلَيهِ السَّــلام– وَمَا يَتَّصِفُ بِهِ مِنَ الحِكمَةِ، وَهُوَ بِهذا يَتَمَثَّلُ قَولَهُ تَعَالى: **﴿ولقد آتينــا لقمــانَ الحِكمَــةَ...﴾**[1]، وَلِلتَّنَاصِّ هُنَا أَهَمِّيَّتُهُ، فَهُوَ يُشِيرُ إِلى اتِّصَافِ المَحبُوبَةِ بِالذَّكَاءِ وَالحِكمَةِ.

وَلِلتَّدلِيلِ عَلَى جَمَالِ المَحبُوبَةِ وَحُسنِهَا وَسِحرِهَا، استَحضَرَ شَخصِيَّةَ (يوســف) –عليــه السلام– وَجَمَالَ صُورَتِهِ وَحُسنَ هَيئَتِه، وَلَعَلَّهُ فِي ذَلِكَ استَفَادَ مِن قَولِهِ تَعَالى عَنهُ عَلَــى لِســانِ بَعضِ النِّسَاءِ فِي قِصَّتِهِ الشَّهِيرَةِ مَعَ (زليخة) زَوجَةِ فرعونَ، حِينَما رَاوَدَتهُ عَن نَفسِهِ: **﴿... فَلَمَّا رأينَه أَكبرنَه وَقَطَّعنَ أَيديهُنَّ وقُلنَ حَاشَ للهِ ما هذا بَشراً إِنْ هذا إِلا مَلَكٌ كَرِيم﴾**[2].

وَوَظَّفَ شَخصِيَّةَ السَّيِّدَةَ (مَريَم) العَذرَاء؛ لِلتَّأكِيدِ عَلَى عِفَّةِ مَحبُوبَتِهِ وَطَهَارَتِهَا وَنَقَائِهَــا، وَهُوَ بِهذا يَتَمَثَّلُ قَولَهُ تَعَالى : **﴿وإذ قالت الملائِكَةُ يا مَريَمُ إِنَّ اللهَ اصطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصــطَفَاكِ عَلَى نِساءِ العالَمِين﴾**[3].

وَكَي يُدَلِّلَ عَلَى حَالِ السَّقَمِ وَالضَّنَى وَطُولِ المَرَضِ التي أَصَابَتهُ وَسَيطَرَت عَلَيهِ بِسَــبَبِ غِيَابِ المَحبُوبَةِ وَبَينِهَا، فَإِنَّهُ استَحضَرَ شَخصِيَّةَ (أيوب) –عليه السلام–، وَمَا عَانَــاهُ مِــن سَــقَمٍ

---

[1] سورة لقمان، الآية (12).
[2] سورة يوسف، الآية (31).
[3] سورة آل عمران، الآية (42).

وَمَرَض، وَلَعَلَّهُ استَفَادَ فِي ذَلِكَ مِن قَولِهِ تَعَالى: ﴿**واذكُر عَبدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادى ربَّه أَنِّـي مَسَّـنِيَ الشَّيطانُ بِنُصْبٍ وَعَذَاب**﴾[1].

وَاستَحضَرَ –كَذَلِكَ– النَّبيِّ (يونُس) –عَلَيهِ السَّلام– وغربته فِي بَطنِ الحُوتِ حِينَمَا ابتَلَعَهُ، فَقَد قَصَّ اللهُ تَعَالى مَا حَدَثَ آنَذاك فِي قَولِهِ: ﴿**وَإِنَّ يونُسَ لَمِنَ المُرسَلين* إِذْ أَبَقَ إِلـى الفُلـكِ المَشحُون* فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ المُدحَضين* فَالتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُليمٌ* فَلَـولا أَنَّـهُ كَـانَ مِـنَ المُسبِّحين*لَلَبِثَ فِي بَطنِهِ إِلى يَومِ يُبعَثُون**﴾[2]، وَيَعُودُ هَذَا الاستِحضَارُ هُنَا إِلى رَغبَةِ الوأواءِ فِي إِظهَارِ غُربَتِهِ بَينَ النَّاسِ، وَانعِزَالِهِ عَنهُم، وَانطِوَائِهِ عَلَى نَفسِهِ بِسَبَبِ هجرَانِ المَحبُوبَة.

وَحَتَّى يَكشِفَ الوأواءُ عَنِ الحُزنِ العَمِيقِ الذي يَملأ نَفسَهُ نَتِيجَةَ الهجرَان، فَإِنَّهُ يُوَظِّـفُ شَخصِيَّةَ (يعقوب) –عَلَيهِ السَّلام– وَحُزنَهُ عَلَى مَا فَعَلَهُ أَبنَاؤُهُ بِأَخِيهِم يُوسُف –عَلَيهِ السَّلام– فِـي قِصَّتِهِم الشَّهِيرة، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ الحُزنُ وَالأَلَمُ وَالأسى مِن قَولِهِ تَعَالى فِيهِ: ﴿**وَتَولَّى عَنهُم وَقَالَ يَا أَسَفي عَلى يُوسُفَ وَابيضَّتْ عَينَاهُ مِنَ الحُزنِ فَهُوَ كَظِيمٌ* قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذكُرُ يُوسُـفَ حَتَّـى تَكونَ حَرَضاً أَو تَكونَ مِنَ الهالِكين* قَالَ إِنَّما أَشكُو بَثِّي وَحُزني إِلى اللهِ وَأَعلَمُ مِنَ اللهِ مَـا لا تَعلَمُون**﴾[3].

وَلِيُظهِرَ الوحشَةَ التي أَصَابَتهُ، وَالخَوفَ الذي مَلأَ نَفسَهُ، فَإِنَّهُ استَحضَرَ شَخصِـيَّةَ (آدم) –عَلَيهِ السَّلام–، وَمَا أَصَابَهُ مِن وَحشَةٍ وَخَوفٍ حِينَمَا أُخرِجَ مِنَ الجَنَّة، وَأُنزِلَ إِلى الأَرض، وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ استَفَادَ فِي ذَلِكَ مِن قَولِهِ تَعَالى فِي (آدم)، وَ(حوَّاء): ﴿**فَوَسوَسَ لَهُمَا الشَّيطَانُ لِيُبدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عنهُما مِن سَوءَاتِهِمَا وَقَال مَا نَهاكُمَا رَبُّكُمَا عَن هذِهِ الشَّجرَة إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَـينِ أَو تَكُونَا مِنَ الخَالِدين* وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحين* فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجرة بَدَتْ لَهُمَا سَوءاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخصِفَانِ عَلَيهِمَا مِن وَرَقِ الجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَم أَنهَكُمَا عَن تِلكُمَـا الشّجرة وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِين* قَالا رَبَّنَا ظَلَمنَا أَنفُسَـنَا وَإِن لَـم تَغفِـر لَنَـا**

---

[1] سورة ص، الآية (41).

[2] سورة الصافات، الآية (139–144).

[3] سورة يوسف، الآية (84–86).

وَترحَمنَا لَنَكونَنَّ مِنَ الخَاسِرين* قَالَ اهبِطُوا بَعضكُم لِبَعضٍ عَدُوٌّ وَلَكُـم فِـي الأَرضِ مُسـتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلى حِين...﴾[1].

وَعَاوَدَ الوأواءُ استِحضَارَ شَخصِيَّتَي (أيوب)، وَ(يعقوب) –عليهما السلام–؛ لِلتَّأكِيدِ عَلَـى الدِّلالاتِ السَّابِقَةِ ذَاتِهَا، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[2]

[الكامل]

يَـا مَـنْ أَقَـامَ قِيَـامَتِي بِصـدودِهِ الجِسـمُ ينحـلُ وَالفُـؤَادُ يَـذوبُ
أَسْـقَمتَنِي فَلقيـتُ مِـن طُـولِ الضَّـنا مَـا لا يُقَاسِـي بَعضَـهُ (أَيُّـوبُ)
وَبكيـتُ مِـن جَـزَعٍ عَلَيـكَ بِحُرقَـةٍ أَسَفاً عَلَيْـكَ كَمَـا بَكَـى (يَعْقُـوبُ)

ثانِياً: التَّنَاصُّ الأدَبِيّ:

هُوَ تَدَاخُلُ نُصُوصٍ أَدَبِيَّةٍ مُختَارَةٍ قَدِيمَةٍ أَو حَدِيثَة مَعَ نَصِّ القَصِيدَةِ الأَصلِيّ، بِحَيث تَكُونَ مُنسَجِمَةً مَعَهَا، وَدَالَّةً –قَدرَ الإمكَانِ– عَلَى الفِكرَةِ التي يَطرَحُهَا الشَّاعِر[3].

وَلَقَد تَأَثَّرَ الوأواءُ بِغَيرِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ تَأَثُّراً كَبِيراً، فَضَمَّنَ شِعرَهُ قَدراً كَبيراً مِن أَلفَـاظِهِم وَمَعَانِيهِم وَصُوَرِهِم[4]، وَهَذا إِن دَلَّ عَلَى شَيءٍ، فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى سِعَةِ ثَقَافَتِهِ وَعِلمِهِ، وَاطِّلاعِهِ عَلَى التُّراثِ الشِّعرِيِّ، وَإِعجَابِهِ بِهِ، وَاستِظهَارِ كَثِيرٍ مِنهُ عَن ظَهرِ قَلبٍ، وَمِنَ الأَمثِلَـةِ عَلَـى ذَلِـكَ تَصوِيرُهُ لِلَّيلِ بِأَنَّهُ يُشبِهُ نَفَسَ العَاشِقِ فِي طُولِهِ، بَلْ هُوَ أَطوَلُ مِنهُ، يَقُول:[5]

[الخفيف]

رُبَّ لَيْـلٍ أَمَـدُّ مِـنْ نَفَـسِ العَـا شِـقِ طُـولاً قَطَعْتُـهُ بِانْتِحَـابِ

---

[1] سورة الأعراف، الآية (20–24).

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص49.

[3] يُنظر: الزعبي، أحمد: **التناص نظرياً وتطبيقياً**، ط2، الأردن: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، 2000، ص50.

[4] للاستزادة والتَّمثِيل على هذه القضيَّة، يُنظر: النكدي، عارف: **الوأواء الدِّمشقِيّ وديوانـه**، ص340–341. الـدَّهّان، سامي: **ديوان الوأواء الدِّمشقِيّ**، المقدمة، ص35–36.

[5] الوأواء: **ديوانه**، ص262.

وَفِي هَذَا البَيتِ تَأَثُّر بالشَّاعِرِ العَبَّاسِيِّ ابن الزَّيَّات[1]، حيثُ إنَّهُ وَرَدَ في شِعرِ هذا الأَخيرِ دُونَ زِيادةٍ ولا نُقصان[2]، ولَهذا لا داعِيَ إِلى ذِكرِهِ في هذا المَوضِعِ؛ خَوفَاً مِنَ الوُقُوعِ فِي التّكرَارِ المَقِيت، ولَعَلَّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلى إِعجَابِ الوأواءِ بِهَذَا البَيتِ إِعجَابَاً شَدِيدَاً، أَو عَائِدٌ إِلى وُقُوعِ الرُّوَاةِ فِي لَبسٍ فِيمَا يَخُصُّ نِسبَتَهُ إِلى الوأواءِ أَمْ إِلى ابنِ الزَّيَّات، ولِذَلِكَ نَسَبُوهُ إِلى الإِثنين.

ولَعَلَّ الوأواءَ فِي وَصفِهِ لِلَّيلِ بالطُّولِ وَالامتِدَادِ مُتَأَثِّرٌ بالعَدِيدِ مِنَ الشُّعَرَاء، وَفِي مُقَدِّمَتِهِم امرُؤ القَيسِ حَيثُ يَقُول:[3]

[الطويل]

وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أَرخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنوَاعِ الهُمُومِ لِيَبتَلِي
فَقُلتُ لَهُ لَمَّا تَمَطّى بِصُلبِهِ وَأَردَفَ أَعجَازَاً وَنَاءَ بِكَلكَلِ
أَلا أَيُّهَا اللَّيلُ الطَّوِيلُ أَلا انجَلِي بِصُبحٍ وَمَا الإِصبَاحُ مِنكَ بِأَمثَلِ

وَمِنهُم المُتنبِّي وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[4]

[الطويل]

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ[5]

وَمِنهُم –كَذَلِك– أَبو فراسِ الحَمدَانِيّ، الذي كانَ يَرى أَنَّ اللَّيلَ يَظهَرُ طَوِيلاً جِدَّاً عِندَ صُدودِ مَنْ يعشق وَهَجرِهِ وَإِعراضِه، وَيَظهَرُ قَصيراً جِدَّاً إِنْ زارَهُ واتَّصَلَ بِه، وَقَد كَشَفَ عَن ذلكَ في قَولِهِ مُتَغَزِّلاً:[6]

---

(1) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزَّيّات، وزير المعتصم والواثق العبَّاسيَّين، كان عالماً باللغة والأدب، ومن بُلَغاء الكُتَّاب والشُّعَراء، وكان من العُقَلاء الدُّهاة، وله ديوان شعرٍ مطبوع. يُنظَر: الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، 248/6.

(2) يُنظَر: الزيات، محمد بن عبد الملك: **ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات**، تح: جميل سعيد، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1990، ص136.

(3) الشنقيطي، أحمد الأمين: **شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها**، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، صَيدا– لبنان: المكتبة العصرية، 2003، ص33.

(4) البرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان المتنبي**، بيروت–لبنان: دار الكتاب العربي، 1979، 217/3.

(5) شُكُول وأشكال: مُفرَدُها شَكل، وهو الشِّبه والمِثْل. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (شكل).

(6) أبو فراس الحمداني: **ديوانه**، جمع ونشر وتعليق وفهرسة سامي الدَّهّان، بيروت، 1944، 228/2.

[البسيط]

وَشَادِنٍ مِنْ بَنِي كِسْرى شُغِفْتُ بِهِ لَوْ كَانَ أَنْصَفَنِي فِي الحُبِّ مَا جَارَا
إِنْ زَارَ قَصَّرَ لَيْلِي فِي زِيَارَتِهِ، وَإِنْ جَفَانِي أَطَالَ اللَّيْلَ أَعمارا

وَفِي قَولِهِ:[1]

[البسيط]

لا تَطْمَعَنَّ بِغَيْرِ الوَعْدِ مِنْ صِلَتِي أَحَبُّ شَيءٍ إِلى الإِنسَانِ مَا مُنِعَا

استَعَارَ الوأواءُ شَطرَهُ الثَّانِيَ مِن قَولِ مَجنُون لَيلى:[2]

[البسيط]

وزادني كَلفاً في الحبِّ أَنْ مُنِعَت أَحَبُّ شيءٍ إِلى الإِنسان ما مُنِعا

وَتَأَثَّرَ فِي قَولِهِ:[3]

[الكامل]

وَيَظَلُّ صَبَّاغُ الحَيَاءِ بِخَدِّهِ أَبَداً يُعَصْفِرُ مِن غَلائِلِ وَرْدِهِ

بابنِ المُعتَزِّ، فَقَد ضَمَّنَ فِي بَيتِهِ السَّابِقِ قَدراً كَبِيراً مِن قَولِهِ:[4]

[الكامل]

وَيَظَلُّ صَبَّاغُ الحَيَاءِ بِخَدِّهِ، تَعِباً، يُعَصْفِرُ تَارَةً وَيُوَرِّدُ

وَفِي قَولِهِ:[5]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص140.

[2] مجنون ليلى: **ديوان مجنون ليلى**، جمع وتحقيق عبد الستّار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، (د.ت)، ص201.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص82.

[4] ابن المعتز: **ديوانه**، ص167.

[5] الوأواء: **ديوانه**، ص189.

[الوافر]

وَمَــا أَبْقَــى الهَــوى وَالشَّــوقُ مِنِّــي سِــوى رُوحٍ تَــرَدَّدُ فِــي خَيَــالِ
خَفِيــتُ عَــنِ النَّوائِــبِ أَنْ تَرانِــي كَــأَنَّ الــرُّوحَ مِنِّــي فِــي مُحَــالِ

استَعَارَ مِنَ المُتَنَبِّي فِكرَةَ نُحُولِ الجِسمِ وَسَقَمِهِ وَضَعفِهِ وَهزَالِه، وَبَقَاءِ الرُّوحِ خَفِيَّةً غَيــر ظَاهِرَةٍ لِلنَّاس، وَهَذَا مَا هُوَ ظَاهِرٌ فِي قَولِه:[1]

[البسيط]

رُوْحٌ تَــرَدَّدُ فِــي مِثْــلِ الخِــلالِ إِذَا أَطَــارَتِ الــرِّيحُ عَنْــهُ الثَّــوْبَ لَــم يَــبِنِ
كَفَــى بِجِســمي نُحُــولا أَنَّنِــي رَجُــلٌ لَــوْلا مُخَــاطَبَتِي إِيَّــاكَ لَــمْ تَرَنِــي

وَفِي وَصفِهِ لأَطلالِ المَحبُوبَةِ يَستَحضِرُ قَولَ أَبِي تَمَّام لَفظَاً وَمَعنًى:[2]

[الطويل]

أَمَيْــدَانَ لَهْــوِي مَــنْ أَتَــاحَ لَــكَ البِلَــى فَأَصْــبَحْتَ مَيْــدَانَ الصَّــبا وَالجَنَائِــبِ؟!

حَيثُ يَقُول:[3]

[الطويل]

أَمَغْنَــى الهَــوى غَالَتْــكَ أَيــدي النَّوائِــبِ فَأَصْــبَحْتَ مَغْنَــىً لِلصَّــبَا وَالجَنَائِــبِ

وَصَوَّر الوأواءُ البَدرَ بِخُوذَةٍ لامِعَةٍ مِن الفِضَّةِ، قَد وُضِعَتْ فِي هَامَةٍ مِنَ العَنبَرِ الأَســوَدِ اللَّون، يقول:[4]

[الكامل]

فَكَأَنَّمــا هُــوَ خُــوذَةٌ مِــنْ فِضَّــةٍ قَدْ رُكِّبَــتْ فــي هامَــةٍ مــن عَنْبَــرِ

---

[1] البرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان المتنبي**، 4/318-319.

[2] التبريزي، الخطيب: **شرح ديوان أبي تمام**، تح: محمد عبده عزام، ط4، مصر: دار المعارف، مج1، ص201.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص16.

[4] المصدر السابق، ص108.

وَقَد تَأَثَّرَ عِندَ فِي هذِهِ الصُّورَةِ بِصُورَةِ الشَّاعِرِ العَباسِيِّ ابنِ المُعتَزِّ الوَارِدَةِ فِي تَصويرِهِ لِلبَدر:[1]

[الكامل]

وانظُرْ إليــه كــزَورَقٍ مــن فضّــةٍ، قــد أثقَلَتــهُ حمولَــةٌ مِــن عَنبَــرِ

حَيثُ صَوَّرَ البَدرَ بِزَورَقٍ فِضِّيٍّ لامِعٍ مُتَلألِئٍ مُحَمَّلٍ بِمَادَّةِ العَنبَرِ الأسوَدِ اللَّون، فَالجَامِعُ بَينَ الصُّورَتَين هُوَ صُورَةُ شَيءٍ أَبيَض لامِع يُغَطِّي جُزأً مِنهُ شَيءٌ أَسوَدُ اللَّون.

وَفِي وَصفِهِ لِدُمُوعِهِ، جَعَلَهَا الوأواءُ بَحراً وَاسِعَاً مُمتَلِئَاً بالماء، وَجَعَلَ جَفنَ عَينَيهِ إِنسَــانَاً حَاذِقَاً لِلسِّبَاحَةِ التي لَولاهَا لَمَاتَ غَرِيقَاً فِي ذَلِكَ البَحر، يَقُول:[2]

[المنسرح]

إِنْســـانُ عَـــيْنٍ لَـــوْلا ســـبَاحَتُهُ مـــاتَ غَرِيقـــاً بِبَحْـــرِ دَمْعَتِـــهِ

وَهُوَ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ مُتَأَثِّرٌ بابنِ المُعتَزّ فِي قَولِهِ:[3]

[الكامل]

وجفونُ عينِــكَ قــد نثــرنَ مــن البكــا فــوقَ المَــدامعِ لُؤلــؤاً وعقَيقَــا
لــو لــم يكــنْ إنســانُ عَينِــكَ ســابحاً فــي بحــرِ دَمعتِــه، لمــاتَ غَرِيقَــا

وَالوأواءُ يَدعُو إِلى الاستمتاعِ بِلَذائِذِ الحَياةِ، وارتِكابِ الكَبــائِرِ وَالآثــام لأنَّ مَصــيرَها الغُفرانُ مِنَ اللهِ تعالى، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[4]

[مجزوء الرمل]

نَــلْ مِــن اللَّــذاتِ مــا تَــبْ غِيــــــــهِ وَاللهُ غَفُــــــــورُ

---

[1] ابن المعتز: **ديوانه**، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1961، ص247.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص64.

[3] ابن المعتز: **ديوانه**، ص333.

[4] الوأواء: **ديوانه**، ص109.

وَيَبدُو أَنَّهُ أَخَذَ هَذَا المَعنى مِن قَولِ أَبِي نَواس فِي إِبَاحَتِهِ لِلخَمر:[1]

[البسيط]

غَــادِ المــدامَ، وإنْ كانــتْ محَرَّمَــةً، فَلِلْكَبــــائِرِ عِنــــدَ اللهِ غُفْــــرانُ

[1] أبو نواس: **ديوانه**، شرح وضبط وتقديم: علي فاعور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987، ص518.

المَبحَثُ الرَّابِعُ

المُوسيقى الشِّعرِيَّة

أَوَّلاً: المُوسِيقى الخَارِجِيَّة

أ- الوَزنُ الشِّعرِيّ

يُعَدُّ الوزنُ أَعظَمَ أَركَانِ حَدِّ الشِّعرِ وَأَهمَّ عَناصِرِهِ[1]، فَهُوَ يَضطَلِعُ بِدَورٍ أَسَاسِيٍّ فِي التَّمييزِ بينَ الشِّعرِ وَالنَّثر، وَقَد عَرَّفَ العَديدُ مِنَ البَلاغيِّينَ القُدامى الشِّعرَ بِأَنَّهُ كَلامٌ مَوزُونٌ مُقَفًّى دَالٌّ عَلَى مَعنَى[2]، وَيُمكِنُ تَعريفُ الوَزنِ الشِّعرِيِّ بِأَنَّهُ "مجموعة الأنماط الإيقاعية للكلام المنظوم التي تتألف من تتابع معيَّن لِمَقاطع الكلمات أو التي تشتمل على عدد ما من تلك المقاطع اللغوية، ففي العربية يتألف من المقاطع تفعيلات، ومن هذه التفعيلات تتكون البحور الشعرية"[3]، وَالوزنُ نَمَطٌ مِن أَنمَاطِ المُوسيقَى الدَّاخِلِيَّةِ التي تَتَولَّدُ مِنَ الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ فِي النَّصِّ الأَدَبِيِّ[4].

وَلِلوَزنِ الشِّعرِيِّ أَهَمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ، فَهُوَ يُثيرُ انتِبَاهَ السَّامِعِ وَيَجذِبُهُ، بِفِعلِ إِثارَتِهِ لِتَوَقُّعِهِ لِمَقاطِعَ خَاصَّةٍ تَنسَجِمُ مَعَ مَا يُسمَع، فَمِن تِلكَ المَقَاطِعِ المُكَرَّرَةِ المُتَتَالِيَةِ المُتَجانِسَةِ يَتَأَلَّفُ إِيقَاعُ البَيتِ وَوَزنُهُ[5]، فَضلاً عَن أَنَّهُ "يزيد الصور حدة، ويعمق المشاعر ويلهب الأخيلة. لا بل إنه يعطي الشاعر نفسه، خلال عملية النظم نشوة تجعله يتدفق بالصور الحارة والتعابير المبتكرة الملهمة. إن الوزن هزة كالسحر تسري في مقاطع العبارات وتكهربها بتيار خفي من الموسيقى الملهمة. وهو لا يعطي الشعر الإيقاع حسب، وإنما يجعل كل نبرة فيه أعمق وأكثر إثارة وفتنة"[6].

---

[1] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، 134/1.

[2] يُنظر: ابن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**، ص64. الخفاجي، ابن سنان: **سرّ الفصاحة**، ص276.

[3] وهبه، مجدي، وكامل المهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط2، بيروت: مكتبة لبنان، 1984، باب الواو، ص433.

[4] يُنظر: يعقوب، إميل بديع: **المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر**، ط1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1991، ص458.

[5] يُنظر: أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978، ص13.

[6] الملائكة، نازك: **قضايا الشعر المعاصر**، منشورات مكتبة النهضة، (د.ت)، ص194.

وَذَهَبَ حازم القِرطَاجَنِّي إِلى أَنَّ هُنَاكَ تَعَالُقاً كَبيراً وَارتِبَاطَاً وَثِيقَاً بَينَ مَوضُوعِ القَصِيدَةِ وَوَزنِهَا، فَلَيسَتِ الأَوزانُ جميعُها صَالِحَةً لِكُلِّ الأَغراضِ وَالمَوضُوعَاتِ وَالمَعَانِي، فَإِذا مَا أَرَادَ الشَّاعِرُ الفَخرَ تَخَيَّرَ الأَوزَانَ الفَخمَةَ البَاهِيَةَ الرَّصينَةَ، وَإِن أَرادَ الهَزلَ وَالعَبَثَ وَالتَّحقيرَ اختَارَ مَا يُناسِبُهُ مِنَ الأَوزانِ الطَّائِشَةِ القَليلَةِ البَهاء[1]، وَقَد أَشارَ إِلى هَذِهِ القَضِيَّةِ ابنُ طَباطَبَا العَلَوِيّ فِي قَولِهِ: "إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه"[2]، وَمِثلُهُ قَولُ أَبِي هِلال العسكريّ يُوصِي الشُّعَرَاءَ: "إذا أردت أن تعمل شعراً فأحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزناً يتأتى فيه إيرادها وقافية يحتملها ..."[3].

وَقَد ذَهَبَ إِبراهيم أَنيس إِلى أَبعَدَ مِن ذَلِكَ، حَيثُ يَرى أَنَّ هُناكَ علاقَةً قَوِيَّةً بَينَ عَواطِفِ الشَّاعِرِ وَأَحَاسِيسِهِ، وَبَينَ الأَوزانِ التي يَبنِي عَلَيها أَشعَارَه، فَلِكُلِّ وَزنٍ مِنَ الأَوزانِ نَغَمٌ خَاصٌّ يَتَلاءَمُ مَعَ نَوعٍ مِن أَنواعِ العَواطِفِ الإنسانِيَّة والمشاعِرِ البَشَرِيَّة[4].

وَمَجالُ الاهتِمَامِ فِي هَذا المقامِ هُوَ الأَوزانُ التي بَنَى عَلَيها الوأواءُ مَجمُوعَاتِهِ الشِّعريَّةِ، فَبَعدَ استِعراضِ أَشعَارِهِ يُلاحَظُ أَنَّهُ بَنَاهَا عَلى تِسعَةَ عَشَرَ وَزناً مِن أَوزانِ الشِّعرِ العَرَبِيِّ، مُوَزَّعَةً مَا بَينَ قَصيرَةٍ وَطَوِيلَة، وَتَامَّةٍ وَمَجزُوءَة، وَيُلاحَظُ أَنَّهُ رَاوَحَ بينَ الأَوزانِ الطَّوِيلَةِ وَالقَصِيرَةِ، غيرَ أَنَّ الطَّوِيلَةَ غَلَبَتْ عَلَى نَظيرَتِها، حَيثُ بَلَغَتْ نِسبَتُهَا (73,6%) مِن إِجمالِيِّ مَجمُوعَاتِهِ الشِّعرِيَّة، وَكانَ تَوزِيعُهَا –عَلَى التَّرتِيب– عَلَى النَّحوِ الآتي: (18,2%) مِنها عَلَى البَحرِ البَسِيط، وَ(12,2%) عَلَى البحرِ الطَّوِيل، وَ(11,3%) عَلَى الخَفِيف، وَ(11%) عَلَى البحرِ الكامِل، وَ(7,1%) عَلَى المُنسَرِح، وَ(6,5%) عَلَى المُتَقارِب، وَ(4,4%) عَلَى البحرِ الوافِر، وَ(1,7%) عَلَى الرَّجَز، وَ(0,59%) عَلَى المَدِيد.

---

[1] يُنظر: القرطاجنّي، حازم: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص266.

[2] ابن طباطبا: **عيار الشعر**، ص5.

[3] العسكري، أبو هلال: **الصناعتين**، ص157.

[4] يُنظر: أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، ص175–178.

وَفِيمَا يَخُصُّ الأَوزَانَ القَصيرَةَ وَالمجزُوءَةَ، فَقَد بَلَغَتْ نِسبَتُهَا (26,34%) مِن إِجمَالِيِّ مَجمُوعَاتِهِ الشِّعرِيَّةِ، وَكَانَ تَوزِيعُهَا –عَلَى التَّرتيب– كَمَا يَأتِي: (7,18%) عَلَى مَجزوءِ الكامِل، وَ(6,58%) عَلَى البحرِ السَّرِيع، وَ(3,59%) عَلَى مُخَلَّعِ البَسِيطِ، وَ(2,99%) عَلَى مجزوءِ الرَّمَل، وَجَاءَ لِكُلٍّ مِنَ البحرِ المُجتَثِّ وَمجزوءِ الرَّجَزِ، وَمَجزوءِ الوافِرِ، وَأَحذّ الكامِلِ مَا نسبتُهُ (1,19%) مِن مَجمُوعَاتِهِ، وَجَاءَ (0,898%) مِنهَا عَلَى مَجزوءِ الخفِيف، وَ(0,299%) عَلَى مجزوءِ السَّرِيع.

وَفِيما يَتَعَلَّقُ بالأَوزانِ التي صَاغَ عَلَيها الوأواءُ مَوضُوعَاتِهِ الشِّعرِيَّة، فَيَتَبَيَّنُ أَنَّهُ فِي غَزَلِيَّاتِهِ رَاوَحَ بينَ الأَوزانِ الطَّوِيلَةِ وَالقَصيرة، إِلا أَنَّ الأُولى كَانَت أَكثَرَ استِخدَاماً مِن قَسِيمَتِها، حيثُ بَلَغَتْ نسبةُ غزلِيَّاتِهِ التي صِيغَتْ عَلَى الأَوزانِ الطَّوِيلَةِ (72,5%) مِن مَجمُوعِهَا، وَكَانَ مُعظَمُها عَلَى البحرِ البسيطِ وَالطَّوِيلِ وَالمُتقارِبِ ....، وَلَعَلَّ تركيزَهُ عَلَى مِثلِ هَذِهِ الأَوزانِ الطَّوِيلَةِ الكثيرَةِ المَقاطِعِ يَعودُ إِلى أَنَّهُ كانَ يَجِدُ فِيهَا –وَهُوَ العاشِقُ المُتَيَّمُ المهجورُ الَّذي يُعانِي البَينَ وَالمُقاطَعَةَ وَالإِعراضَ فِي مُعظَمِ الأَحيانِ– مُتَّسَعاً وَمساحَةً كَافِيَةً لِلبَثِّ وَالشَّكوى، وَلِلتَّنفيسِ عَن آلامِهِ وَأَحزانِهِ وَانفِعالاتِهِ وَعَواطِفِهِ وَمَشَاعِرِه، وَمَجالا لِلتَّعبيرِ عَن آمَالِهِ وَأَحلامِهِ فِي العَودَةِ وَاللِّقَاءِ وَالوِصال.

وَجَاءَ مَا نِسبَتُهُ (27,5%) مِن غَزَلِيَّاتِهِ عَلَى الأَوزَانِ القَصيرَةِ، وَلَعَلَّ عَاطِفَتَهُ الوَقَّادَةَ، وَنَفسِيَّتَهُ المُنفَعِلَةَ دَفَعَتهُ إِلى تَوظيفِ هذهِ الأَوزانِ، وَهُنَاكَ سَبَبٌ آخرُ دَفَعَهُ إِلى تَوظِيفِها، أَلا وَهُوَ الطَّرَبُ وَالغِناءُ، فَقَد شَاعَتْ مَجالِسُ اللَّهوِ وَالغِناءِ وَالمُوسِيقى فِي العَصرِ العَبَّاسِيِّ شُيوعاً كَبِيراً، وَأَصبَحَ الشِّعرُ مَادَّةً مَطلُوبةً وَبِضَاعَةً رَائِجَةً فِي هَذِهِ المَجالِس، لِذا أَخَذَ الشُّعراءُ يَنفِرونَ مِنَ الأَوزانِ الطَّوِيلَةِ كثيرَةِ المَقَاطِع، وَيُقبِلونَ عَلَى الأَوزانِ القَصيرَةِ الرَّشِيقَةِ وَيَميلُونَ إِلَيها؛ لأَنَّهَا أَطوَعُ وَأَكثَرُ مُلائَمَةً لِلغِناءِ وَالتَّلحِين[1]، وَلَعَلَّ الوأواءَ –وَهُوَ ابنُ عَصرِهِ وَزَمَانِه، كَثِيرَ التَّردُّدِ عَلَى مِثلِ تِلكَ المَجالِسِ– كانَ ينظِمُ الأَشعارَ الغَزَلِيَّة، وَيَدفَعُهَا إِلى مُغَنٍّ أَو جَارِيَةٍ تَصنَعُ لَهَا

[1] يُنظر: هدّارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، ص536. أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، ص106–107.

الأَنغَامَ وَالأَوزانَ، وتُلَحِّنُها وَتُرَدِّدُهَا فِي تِلكَ المَجالِس؛ لِذَا كانَ يَتَخيَّرُ لَهـا الأوزانَ القَصـيرَةَ الخَفِيفَةَ؛ كَي تَكونَ أَطوَعَ لِلتَّلحينِ والتَّنغيمِ، وللإعادَةِ والتَّكرير.

وَفِيما يَخُصُّ مَدائِحَهُ، فَقَد بَنَاهَا جَميعَهَا عَلَى الأَوزانِ الطَّويلَةِ كَثيرَةِ المَقَاطِعِ، وَهِي البحرُ الطَّويلُ، وَالخفيفُ، وَالكاملُ، وَالمُنسَرِح، وَذَلِكَ لأَنَّهَا تُتيحُ لَهُ المَجَالَ لِوَصفِ المَمدُوحِ وَتَفصـيلِ القَولِ فِيهِ، وَتعدادِ سِماتِهِ وَفَضائِلِه، وَبَيانِ مَظَاهِرِ قُوَّتِهِ وتَمَيُّزِه، وَبُطُولَتِهِ وَفَخَامَتِه.

وَلَقَد كَانَ مُعظَمُ شُعَراءِ العَصرِ العَبَّاسِيِّ مثلَ الوأواءِ، يَتَوَجَّهُونَ –فِـي الغالِـبِ– إِلـى تَوظِيفِ الأَوزانِ الطَّوِيلَةِ فِي مَدَائِحِهِم، وَقَد عَلَّلَ عِز الدين إِسماعيل هَذِهِ الظَّاهِرَةَ بِأَنَّ شِعْرَ المَدحِ شِعرٌ خَطَابِيٌّ يُنشِدُهُ الشَّاعِرُ بينَ يَدَي المَمدُوحِ وَالنَّاسُ حُضورٌ، لِذَا استَخدَمَ الأَوزانَ الطَّوِيلَةَ؛ كَي يُحدِثَ التَّأثِيرَ الأَخَّاذَ بالجُمهور، وَيُجَدِّدَ مِن آوِنَةٍ إِلى أُخرى نَشَاطَهُ إِلـى الاسـتِمَاعِ وَالمُتابَعَـةِ، فَالإِلقاءُ الأَوَّلُ لِلقَصيدَةِ يُحدِّدُ مِقدارَ قبولِ السَّامِعِينَ لَها أَو رَفضِهَا، وَيُحدِّدُ –أَيضاً– مِقدارَ المِنحةِ التي سَوفَ يُكافأُ بِهَا عَلَيهَا[1].

وَمِمَّا يُلاحَظُ عَلَى شِعرِ الوأواءِ، سَيطَرَةُ الأَوزانِ الطَّوِيلَةِ، وَكثرَةَ شُيوعِهَا فِي خَمرِيَّاتِـهِ، وَرَوضِيَّاتِهِ وَأَشعارِهِ الوَصفِيَّةِ، وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلى أَنَّ هَذِهِ الأَوزانَ تُتيحُ لَهُ فُرصَةً أَكبـرَ وَمَجَـالا أَوسَعَ لِلتَّعبِيرِ عَمَّا يَجُولُ فِي نَفسِهِ تَعبِيراً شَافِياً شَامِلا، وَلِمعالَجَةِ القَضِيَّةِ المَطروحَةِ مُعالَجَةً كامِلَةً مِن جميعِ جَوَانِبِها، فَضلاً عَن أَنَّ هَذِهِ المَوضوعَاتِ –فِي مُعظَمِها– لَم تُنظَمِ بِتَأثِيرِ الغِناءِ الـذي يَتَطَلَّبُ أَوزاناً قَصيرةً رَشِيقَةً قابِلَةً لِلتَّلحين وَالغِناء.

وَفِي خَاتِمَةِ استِعرَاضِ أَوزانِ الوأواءِ، تَجدُرُ الإِشارَةُ إِلى أَنَّهُ كَمَا وَظَّفَ الأَوزانَ التَّقليدِيَّةَ الأَصيلَةَ كَالطَّويل الذي نُظِمَ عَلَيهِ مَا يَقرُبُ مِن ثُلُثِ الشِّعرِ العَرَبِيِّ القديم[2]، وَالبَسيط، وَالكامـل ...، فَإِنَّهُ وَظَّفَ وَزناً جَدِيداً مُحدَثاً مَن نِتاجِ العَصرِ العَبَّاسِيِّ وَاختِراعِ المُوَلَّـدين، هُـوَ مُخَلَّـعُ

---

[1] يُنظر: إسماعيل، عز الدين: **في الأدب العباسي الرؤية والفن**، ص439–441.

[2] يُنظر: أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، ص59.

البَسيط[1]، حيثُ نَظَمَ عَلَيهِ اثنَتَي عَشرَةَ مَقطُوعَةَ وَنُتفَةً، أَي مَا نِسبَتُهُ (3,59%) مِــن إِجمــالِيِّ مَجمُوعَاتِهِ الشِّعرِيَّة، وَمِمَّا جَاءَ عَلَيهِ قَولُهُ:[2]

[مُخلَّع البسيط]

يَــا غَائِبــاً لَــم يَغِــبْ هَــواهُ عَــنْ قلــبِ صَــبٍّ بــهِ عَمِيــدِ
قَــد صَــارَ يَــومُ الفِــراقِ عِنــدي أَظلَــمَ مِــنْ ظُلمَــةِ الصُّــدودِ

ب: القَافِية:[3]

تُعَدُّ القافِيةُ رُكنَاً مُهِمَّاً مِن أَركَانِ الشِّعرِ العَرَبِيّ، وَدِعَامَةً أَساسِيَّةً مِنَ الدَّعائِمِ التي يَرتَكِــزُ عَلَيها، فَهِيَ "شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتــى يكــون لــه وزن وقافية"[4]، وَتُعَرَّفُ بِأَنَّها "مجموع الحروف التي يلزم تكرارها بعينها أو تكرار نوعها (حركتها) في أواخر الأبيات"[5].

إِنَّ القافِيَةَ عُنصُرٌ رَئِيسِيٌّ مِن عَناصِرِ المُوسِيقى الخَارِجِيَّةِ لِلشِّعرِ، فَهِيَ بِمَنزِلَةِ فَواصِــلَ إِيقاعِيَّةٍ تَتَرَدَّدُ وَتَتَكَرَّرُ تكراراً مُتواصِلاً في نِهايَاتِ أَبياتِ القصيدَةِ جميعِها، الأَمرُ الذي لَــهُ دَوْرٌ كَبيرٌ فِي إِطرابِ السَّامِعِ وَجَذبِ انتِباهِهِ[6]، وَ"الشاعر العربي إنما عمد إلى القافية فقرنها بالوزن ليُضفِيَ عليه صبغاً نغمياً، متى اصطبغ الوزن به صار أكثر تهيؤاً لأداء ما يختلج في صدره من معان"[7].

---

[1] يُنظر: أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، ص118.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص88.

[3] القافية على رأى الخليل بن أحمد: هي آخر ساكنين في البيت وما بينهما، والمتحرك قبل أوّلهما، وعلى رأي الأخفــش الأوسط، هي آخرُ كلمة في البيت. يُنظر: وهبه، مجدي، وكامل المهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغــة والأدب**، باب القاف، ص282.

[4] القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، 151/1.

[5] أبو عمشة، عادل: **العروض والقافية**، ص176.

[6] يُنظر: أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، ص246.

[7] الطيب، عبد الله: **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، ط2، بيروت-لبنان: دار الفكر، 1970، 825/3.

وَتَشتَمِلُ القافِيةُ عَلَى ستَّةِ أَحرُفٍ، هِـي: الـرَّوِيُّ، وَالوصـلُ، وَالخُـروجُ، وَالـرِّدفُ، وَالتَّأسيسُ، وَالدَّخيل[1]، غَيرَ أَنَّ الأَساسَ الذي تَقُومُ عَليهِ وَتَرتَكِز هُوَ حَرفُ الرَّوِيّ، وَيُمكِـنُ أَنْ تَقَعَ حُرُوفُ العَرَبِيَّة جَميعُهَا رَوِيًّا، وَيُمكِنُ تَقسِيمُهَا اعتِمَاداً عَلَى نِسبَةِ شُيُوعِهَا رَوِيًّا فِي الشِّـعرِ العَرَبِيِّ إِلى أَربَعِ مَجمُوعَاتٍ، عَلَى النَّحوِ الآتي:

أ- حُروف تَجِيءُ رَوِيًّا بِكثرَة، وَإِنْ اختَلَفَت نِسبَةُ شُيُوعِها فِي أَشعارِ الشُّعراء، وَهِـي: الـرَّاء، وَاللامُ، وَالميمُ، وَالنُّونُ، وَالباءُ، وَالدَّالُ، وَالسِّينُ، وَالعَين

ب- حُروف مُتَوسِّطَة الشُّيوعِ، وَتِلكَ هِي: القافُ، وَالكافُ، وَالهمزةُ، وَالحاءُ، وَالفـاءُ، وَاليـاءُ، وَالجيم

ج- حُروف قَليلَة الشُّيوع، وَهِي: الضّادُ، وَالطَّاءُ، وَالهاءُ، وَالتَّاءُ، وَالصَّادُ، وَالثَّاء

د- حُروف نادرة فِي مَجيئِها رَوِيّاً، وَهِي: الذَّالُ، وَالغينُ، وَالخاءُ، وَالشِّينُ، وَالـزَّايُ، وَالظَّـاءُ، وَالواو[2].

وَفِي بَحثِ أَحرُفِ الرَّوِيِّ فِي قَوافِي الشَّاعِرِ الوأواء، يُلاحَظُ أَنَّهُ استَخدَمَ جَميعَ الحُـروفِ العَرَبِيَّة -باستثناءِ الخاء، وَالذَّال، وَالزَّاي، وَالطَّاء، وَالظَّاء، وَالغين- رَوِيًّا، وَذَلِكَ بِنِسَبٍ مُتَفاوِتَةٍ، فَكَانَ أَكثَرُهَا الباءُ، وَالرّاءُ، وَالدّالُ، وَالنُّونُ، وَالميم...، وَأَقَلُّها الواو، وَالشِّين، وَالثَّاءُ، وَالصَّاد... وَمِن ذَلِكَ نَستَنتِجُ أَنَّهُ كانَ للحروفِ التي قَرَّرَ الباحِثُونَ أَنَّها تَصلُحُ أَكثرَ مِن غَيرِهَـا لأَن تَكـونَ رَوِيًّا يُؤَسِّسُ الشَّاعِرُ عَليها قافِيَتَه، كانَ لها حضورٌ كبيرٌ كرَوِيٍّ في شعرِ الوأواء، أَمَّا الحُـروفُ

---

[1] الرَّوِيّ: هو الحرف الذي تُبنى عليه القصيدة، ويتكرَّر في قوافي الأبيات جميعِها، وإليه تُنسب القصيدة، فيُقـال قصـيدة ميميَّة، ولاميَّة، وسينِيَّة ... الوصل: هو حرف مدٍّ ناشئ عن إشباع حركة الرَّوِيّ، أو هاء ساكنة أو متحركة تلـي حـرف الرَّوِيّ. الخروج: هو حرف لين ناشئ عن حركة هاء الوصل إذا كانت متحرّكَةً. الرِّدف: هو حرف مَدٍّ يقع قبـل الـرَّوِيّ مُباشرةً، دون فاصلٍ بينهما. التَّاسيس: هو ألف يفصل بينها وبين الرَّوِيّ حرف متحرك. الدَّخيل: هو الحرف الواقـع بـين التَّأسيس والرَّوِيّ. يُنظر: عبد الجواد، إبراهيم عبد الله أحمد: **العروض بين الأصالة والحداثة**، ط1، دار الشروق، 2002، ص177-179.

[2] يُنظر: أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، ص248.

التي قَرَّرُوا أَنَّها لا تَصلُحُ لأَن تَكونَ رَوِيَّاً، فَإِنَّ مِنهَا مَا لَم يَستَعمِلْهُ الوأواءُ، وَمِنها مـــا اســـتعمَلَهُ بِقِلَّةٍ بالغَةٍ،كالثَّاءِ وَالصَّاد...

وَفِي إِطارِ الحَديثِ عَن حَرفِ الرَّوِيّ، تَجدرُ الإِشارةُ إِلى أَنَّهُ يَأتِي في الشِّـــعرِ العَرَبِـــيِّ مُتَحَرِّكاً وساكِناً، وَتَبعَاً لِذَلِكَ، فَإِنَّ القافِيَةَ تُقسَمُ إِلى قِسمَينِ اثنَين، هُمَا:

أَوَّلاً: القافيةُ المُطلقة: وهيَ التي يكونُ فيها حرفُ الرَّوِيّ مُتَحَرِّكاً

ثَانِياً: القافيةُ المُقَيَّدة: وهِيَ التي يكونُ فيها حرفُ الرَّوِيّ ساكِناً[1].

وَالقافيةُ المُطلَقَةُ أَكثرُ استعمَالاً فِي الشِّعرِ العَرَبيِّ مِن نَظيرَتِها, وَذلِكَ عَائِـــدٌ إِلـــى أَنَّهـــا "أوضح في السمع وأشد أسراً للأذن، لأن الروي فيها يعتمد على حركة بعده قد تســـتطيل فـــي الإنشاد وتشبه حينئذٍ حرف مد. ومن المقرر في علم الأصوات أن حروف المد أوضح في السمع من الحروف الأخرى كالعين والفاء مثلاً"[2].

وَلَقَد سَيطَرَتِ القوافِي المُطلقةُ عَلى شعرِ الوأواء، حَيثُ بَلَغَتْ نسبةُ ورودِهَا (94,01%) مِن إِجمالِيِّ مَجمُوعاتِهِ الشِّعريَّة، أَمَّا القوافي المُقَيَّدةُ، فقد وردَتْ فِي عشرينَ مَجموعَـــةً، أَي مـــا نسبتُهُ (5,99%) من إجمالِيِّ مجموعاتِهِ.

وَيُلاحَظُ عَلَى الوأواءِ أَنَّهُ التَزَمَ بِنِظامِ القافِيَةِ التَّقليديَّةِ القديمَةِ التي تَتَكَرَّرُ في جميعِ أَبياتِ القصيدَةِ، فَلَم يَفعَل مِثلَ كَثيرٍ مِن شُعَراءِ عَصرِهِ الذينَ أَخَذُوا يُنَوِّعونَ فِـــي قَـــوافِيهِم وَيُـــدخِلونَ عَلَيهَا التَّجديدَ، وَبِهذا فَإِنَّهُ لا يُوجَدُ فِي شِعرِهِ نماذِج عَلَى مَـــا يُسَـــمَّى بـــالمُزدَوَج، والمُشـــطَّر، والمُسَمَّط...[3].

---

[1] يُنظر: أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، ص260.

[2] أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، ص281.

[3] المُزدوج: أحد الأنماط الشِّعريَّة التي تشتمل على تجديد في القوافي، وفيه تتميَّز القافية معَ كُلِّ بيت، ويُراعي الشَّاعر أن تكون الأبيات مُصرَّعة، فقافية الشَّطر الأول هي قافية الشَّطر الثَّاني نَفسُها، وهكذا دوالَيك. المُشَطَّر: هو نوع من الشِّـــعر يُنظر فيه إلى الأشطر لا إلى الأبيات، ويتخذ فيه الشَّاعر من كلِّ شطر وحدةً مُستقلَّةً عن الأخرى. المُسَـــمَّط: هـــو نمـــط شعريّ، يضع الشاعر لأوزانه وقوافيه نظاماً خاصَّاً يُراعيه في كلِّ أقسام المقطوعة، وأبرز ما يتميَّز به هذا النمط في نظام قوافيه هو أن تتكرَّرَ قافيتان أو أكثر، بعد كُلِّ عددٍ مُعَيَّنٍ من الأشطُر. يُنظر: المرجع السابق، ص300-309.

وَيَنبَغِي التَّنبيهُ إِلى أَنَّهُ كثيراً مَا كانَ يُلزِمُ نفسَهُ بما لا يلزم، وَهُوَ "أن يجيء قبل حــرف الرَّويِّ وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع"[1]، وَتَفسِيرُ ذَلِــكَ "أن يلتــزم بحرف قبل حرف الروي أو بأكثر من حرف بالنسبة إلى قدرته مع عدم التكلف"[2]، وَمِن الأمثلة عَلى ذَلِكَ قَولُهُ:[3]

[البسيط]

شَــغَلْتُ قلبــي وسَــمعي فــي مَــودَّتِكَمْ لا خَلَّــصَ اللهُ قلبِــي مِــنْ مَحَبَّــتِكُمْ
ولا رُزِقْــتُ حيــاةً بَعْــدَ بَيْــنِكُمُ إِنْ لَمْ أَمُتْ نَــدَماً مِــنْ بَعْــدِ فُــرْقَتِكُمْ
هَا قَــدْ غَضِــبْتُ عَلَــى رُوحــي لأَجْلِكُــمُ حتَّى جَفَــوتُ حيــاتِي عِنْــدَ جَفْــوَتِكُمْ
إِذا تَلَهَّــبَ جمــرُ الشَّــوقِ فِــي كَبِــدي أَطْفَــاهُ مــاءُ التَّلاقــي عِنْــدَ رُؤْيَــتِكُمْ

فَقَدِ التَزَمَ فِي الأَبياتِ السَّابِقَةِ، فَضلاً عَن حرفِ الرَّوِيِّ (الميم)، بِحَرفَينِ اثنَــين، هُمَــا: الكافُ، والتَّاء.

وَمِنهَا قَولُهُ فِي الخَمر:[4]

[المنسرح]

عَــذَّبتُها بــالمزاجِ فَابتَسَــمَتْ عَــنْ بَــرَدٍ نَابِــتٍ عَلَــى لَهَــبِ
كــأَنَّ أَيــدي المِــزاجِ قَــد ســكبتْ فــي كأسِــها فِضَّــةً عَلَــى ذَهَــبِ

حَيثُ التَزَمَ فِي قَافِيَتِهَا فَضلاً عَنْ حَرفِ الرَّوِيِّ الباءِ المَكسورَةِ، بِحرفِ الهاءِ.

وَيُوجَدُ فِي شِعرِهِ أَحَدُ عُيُوبِ القَافِيَةِ أَلا وَهُوَ الإِيطاء، وَهُوَ إِعادَةُ لَفظِ القافِيــةِ وَتكــرارُهُ مَرَّتين بِمَعنى وَاحدٍ فِي القصيدَةِ، مَا لَم يَكُن الفَاصِلُ بينَ القافيةِ الأُولى وَالثَّانِيَةِ سبعةَ أَبياتٍ مِــن

---

[1] الخطيب القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص300.
[2] عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، ص181.
[3] الوأواء: **ديوانه**، ص66.
[4] المصدر السابق، ص35.

الشِّعرِ، فَإن كانَ الفاصِلُ أَكثَرَ مِن ذَلِكَ جَازَ التّكرارُ ولَم يَعُد عَيباً[1], وَمِن الأمثِلَةِ عَلَى الإيطـــاءِ، قَولُهُ فِي البيتِ الأَوّلِ مِن قَصيدَةٍ فِي الغَزَل:[2]

[الرجز]

وليلـــــةٍ فـــــي عُـــــدَدِ الشَّـــــبابِ نُجومُهـــا فـــي صـــورةِ الأَحبـــابِ

وَقولُهُ في البَيتِ السَّابِعِ مِنَ القَصيدَةِ ذَاتِها:[3]

[الرجز]

لا قلـــــتُ إنَّ الـــــودَّ باكتســـــابِ مَا لَـــم يَكـــنْ طَبعـــاً مِـــنَ الأَحبـــابِ

فَالإيطاءُ فِي كلِمَةِ (الأَحباب)، إذ إنَّها وَرَدَتْ فِي نِهايَةِ كِلا البيتَينِ السَّابِقَين، دُونَ تَغَيُّرٍ فِي المعنى.

ثَانِيَاً: المُوسِيقى الدَّاخِلِيَّة

أ- الجِناس

يَقُومَ الجِناسُ عَلَى أَساسِ التَّشابُهِ بينَ لَفظَينِ فِي الشَّكلِ، مَـعَ اختِلافِهِمَـا فِـي المعنـى وَالمَدلُول، فَإنِ اتَّفَقَا فِي نَوعِ الحروفِ، وَعَدَدِها، وَهَيئَتِها الحاصِلَةِ مِـنَ الحَرَكَـاتِ وَالسَّـكَنات، وَتَرتيبِها كانَ الجِنَاسُ تَامَّاً، وَإنِ اختَلَفا في أَحَدِ الأُمُورِ الأَربَعَةِ المُتَقَدِّمَةِ كانَ التَّجانُسُ نَاقِصَاً (غيرَ تامٍّ)[4].

إنَّ الجِناسَ يُحدِثُ جَرْساً مُوسيقِيَّاً جَمِيلاً لافِتاً، وَإيقاعاً ظَاهِراً في النَّصِّ الأَدَبِيِّ، بِفِعـلِ تكرارِ كَلِمَاتٍ مُتَشَابِهَةٍ، وَطَرقِها أُذُنَ السَّامِعِ أَكثرَ مِن مَرَّةٍ، ممَّا يُؤَدِّي إِلـى إطرابِـهِ، وَجَـذبِ انتِباهِهِ، وَدَفعِهِ إِلى إعمالِ فِكرِهِ؛ بَحثاً عَن مَعانِي تِلكَ المُفرَدَاتِ وَدِلالاتِها.

---

[1] يُنظر: عبد الجواد، إبراهيم: **العروض بين الأصالة والحداثة**، ص182.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص28.

[3] المصدر السابق، ص29.

[4] يُنظر: الجرجاني، محمد بن علي بن محمد: **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، تح: عبد القادر حسـين، الفجالـة- القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت)، ص289-291.

وَمِمَّا وَرَدَ عَلَى شَكلِ الجِناسِ التَّامِّ فِي شِعرِ الوأواءِ، قَولُهُ:[1]

[الكامل]

إِقْــرارُ دَمْعــي بِ (الهَــوى) مِــلْءَ (الهَــوى) فَضَحَ اســتِتَاري فــي الهَــوى وَجُحُــودِي

فَالشَّاعِرُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الدُّمُوعِ التي تَحَدَّرَتْ مِن عَينَيهِ بِغَزَارَةٍ وَمَلأَتِ الجَوَّ بِسَبَبِ الحُــبِّ الذي مَلأَ نَفسَهُ، وَحَرَقَ أَحشَاءَه، وَأَذَابَ قَلبَه، وَقَد أَوضَحَ هَذِهِ الصُّورَةَ بِالمُجَانَسَةِ بَينَ (الهــوى) بِمَعنَى الحُبِّ وَالعِشقِ وَالهيام، وَ(الهوى) بِمَعنى الجَوّ وَالفَضَاء، وَيُلاحَظُ أَنَّ المُجَانَسَةَ بَينَ هَاتَينِ الكَلِمَتَين أَدَّت دَوراً مُهِمَّاً فِي إِحدَاثِ جَرسٍ مُوسِيقِيٍّ جَذَبَ انتِبَاهَ السَّامِعِ وَلَفَتَه.

وَمِمَّا سِيقَ عَلَى الجِناسِ غَيرِ التَّامِّ، قَولُهُ:[2]

[الكامل]

لــيسَ التَّعجُّــبُ مــن (بكــاكَ) لِفقــدِهِمْ لكنْ (بقــاكَ) مــع التَّفــرُّقِ أَعجَــبُ

وَفِي هَذَا البَيتِ يَصِفُ الشَّاعِرُ أَثَرَ فرَاقِ المَحبُوبَةِ وَرَحِيلِهَا فِي نَفْسِ العَاشِقِ، فَيَقُول: إِنَّهُ لَيسَ مِنَ الغَرِيبِ أَن يَبكِيَ العَاشِقُ عِندَ رَحِيلِ مَحبُوبَتِه، وَإِنَّمَا الغَرِيبُ أَن يَبقَى عَلَى قَيدِ الحَيَــاة، وَلِكَي يُبَيِّنَ هَذَا المَعنَى وَيُؤَكِّدَهُ جَانَسَ بَينَ (بكاك)، وَ(بقاك)، الأمر الذي زَادَ مِن جَمَالِ الصُّــورَةِ وَتَأثِيرِهَا.

وَمِن مُجَانَسَاتِهِ غَيرِ التَّامَّةِ مَا وَرَدَ فِي قَولِهِ:[3]

[مجزوء الكامل]

إِنِّــــي لتفعَــــلُ بِــــي لــــوا حِــــظُ مقلَــــةِ الرَّشَــــاءِ الرَّبيــــبِ
فِعــــلَ (الخَنــــاجِرِ) ب (الحَنــــا جِــــرِ) عنــــدَ مُعتَــــرَكِ الحــــروبِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص78.

[2] المصدر السابق، ص44.

[3] المصدر السابق، ص52.

يُصَوِّرُ الشَّاعِرُ هُنَا عَينَي المَحبُوبَةِ وَنَظَرَاتِهَا الحَادَّة التي تُؤَثِّرُ فِيهِ وَتُقَطِّعُ قَلبَه، بِصُـورَةِ الخَنَاجِرِ وَالسُّيُوفِ التي تُقَطِّعُ رِقَابَ الأعدَاءِ فِي الحُرُوب، وَقَدِ اعتَمَدَ فِي بَيَـانِ هَـذِهِ الصُّـورَةِ وَتَوضِيحِهَا عَلَى المُجَانَسَةِ بَينَ (الخناجر)، وَ(الحناجر)، جَمعُ حَنجَرَة، وَهِيَ أَحَدُ أَعضَاءِ جِهَـازِ النُّطقِ البَشَرِيِّ وَمُكَوِّنَاتِه.

وَيُوجَدُ فِي شِعرِهِ نَوعٌ آخرُ مِنَ الجِناسِ غَيرِ التَّامّ، وَفِيهِ يَختَلِفُ اللَّفظَانِ المُتَجانِسانِ فِـي عَدَدِ الحُرُوفِ، وَمِنَ الأَمثِلَةِ عَلَيهِ قَولُهُ فِي أَحَدِ السُّقاة:[1]

[الخفيف]

يَـا (بَـدْرُ) (بَـادِرْ) إِلَـيَّ بِالكَـاسِ فَـرُبَّ خَيْـرٍ أَتَـى عَلَـى يَـاسِ

يَطلُبُ الشَّاعِرُ مِنَ السَّاقِي الجَمِيلِ البَهِيِّ الذي يُشبِهُ البَدرَ فِي سِحرِهِ وَحُسـنِهِ أَنْ يُبَـادِرَ بِتَقدِيمِ كَأسِ الشَّرَابِ لَه، وَقَد جَانَسَ بَينَ (بدر)، وَ(بادر) مِمَّا أَضفَى عَلَى النَّصِّ جَمَـالاً وَإِيقَاعَـاً إِضَافِيَّاً، وَفِي هذا المِثالِ المُنْتَقَى وَقَعَ اختلافٌ آخرُ بينَ رُكنَي التَّجانُسِ، أَلا وَهُوَ حَرَكَـةُ حَـرفِ (الدَّال) فِي كُلٍّ منهما، وَهِي (السُّكون، وَالكسرة) عَلَى التَّوالي، وَهَذا يَقُودُ إِلى نَوْعٍ ثَالِـثٍ مِـنَ الجِناسِ غَيْرِ التَّامِّ فِي شِعرِهِ، وَهُوَ الَّذي يَختَلِفُ فِيهِ اللَّفظَانِ المُتَجَانِسانِ في الحَرَكاتِ وَالسَّكَنات، وَيُطلَقُ عَلَيهِ الجِناس المُحَرَّف[2]، وَهُوَ أَكثرُ أَنواعِ الجِناسِ وُرُودَاً فِي شِعْرِهِ، وَمِنَ النَّماذِجِ التِـي تُساقُ أَمثِلَةً عَلَيهِ، قَولُهُ:[3]

[الطويل]

يَطُـوفُ بِـرَاحٍ رِيحُهَـا وَمَـذَاقُها نَسِيمُ (الصَّـبا) وَالعَـيْشُ فِـي زَمَـنِ (الصِّـبا)

فَقَدِ انعَقَدَتِ المُجانَسَةُ بينَ لَفظَةِ (الصَّبا)، وَتَعنِي الرِّيحَ المعروفَةَ التي تَهُبُّ مِـن جِهَـةِ الشَّمال، وَلَفظَةِ (الصِّبا)، وَتَعنِي صِغَرَ عُمرِ الإِنسانِ، وَحَدَاثَةَ سِنِّهِ، وَبِهذا، يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الاختِلافَ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص125.

[2] يُنظر: الجرجاني، محمد بن علي بن محمد: **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، ص291.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص261.

بَينَ رُكنَي التَّجانُسِ السَّابِقَيْنِ يَتَمَثَّلُ فِي حَرَكَةِ الصَّادِ، فَهِيَ فِي الأُولى مَفتوحَـــةٌ، وَفِـــي الثَّانِيَـــةِ مَكسورة.

وَمِنها –أَيضَاً– قَولُهُ فِي مَدحِ الشَّرِيفِ العَقِيقِيّ:[1]

[البسيط]

صَبٌّ إِلى شُرْبِ مَـــاءِ الطَّعْـــنِ فِيـــهِ فَمَـــا نَـــــرَاهُ إِلا بِصَـــــيدِ الصِّـــــيدِ مُلتَزِمَـــــا

حَيثُ يُجَانِسُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ بَينَ (صَيد) مِنَ الاصطِيَاد، وَ(الصِّيد)، بِمَعنَـــى كُـــلِّ ذِي حَولٍ وَطَولٍ وَتَكَبُّرٍ مِن ذَوِي السُّلطَان، وَقَد وَظَّفَ الجِنَاسَ لِتَأكِيدِ قُوَّةِ مَمدُوحِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَبَأسِـــهِ وَالتَّدلِيلِ عَلَيهَا، فَهُوَ لا يُقدِمُ عَلَى قِتَالِ الضُّعَفَاء، وَإِنَّمَا يُقدِمُ عَلَى قِتَالِ الأقوِيَاءِ الصَّنَادِيدِ الشُّجعَانِ مِنهُم.

يُلاحَظُ مِن هَذِهِ الدِّرَاسَةِ، أَنَّ الوأواءَ الدِّمَشقِيَّ استخدَمَ الجِناسَ بِنَوعَيْهِ التَّامّ، وَغَير التَّـــامّ، وَقَد أَضفى استخدامُهُ لهُ نَوعاً مِنَ الموسيقى وَالإِيقاعِ، وَالزُّخرُفِ وَالزِّينَةِ عَلَى النَّصِّ الشِّـــعرِيِّ، مِمَّا كانَ لَهُ دَورٌ عَظِيمٌ فِي المُساهَمَةِ فِي لَفْتِ انتِباهِ السَّامِعِ وَجَذْبِهِ.

ب– التّكرار

يُقصَدُ بالتّكرار "ذكر الشيء مرتين فصاعدا"[2]، وَهُوَ لَيسَ عَمَلاً عَشوائِيَّاً عَبَثِيَّاً لا فَائِـــدَةَ مِنهُ، وَلَيسَ مِن قَبِيلِ الغَثِّ أَوِ السَّمِينِ الذي يُوَظِّفُهُ الشَّاعِرُ لِمَلءِ فَرَاغٍ أَو إِتمَامِ بَيتٍ مِـــن أَبيـــاتِ العَمَلِ الشِّعرِيِّ، كَمَا أَنَّهُ لَيسَ زِينَةً تَهدِفُ إِلى تَجمِيلِ النَّصِّ، وَإِنَّمَا يَنبَغِي أَنْ يَكونَ اللَّفظُ المُكَرَّرُ "وثيق الارتباط بالمعنى العام، وإلا كان لفظة متكلفة لا سبيل إلى قبولها"[3].

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص195.

[2] الصرصري، الطوفي: **الأكسير في علم التفسير**، ص245.

[3] الملائكة، نازك: **قضايا الشعر المعاصر**، ص231.

وَالتّكرارُ يَأتِي عَلَى جِهاتٍ كَثيرَةٍ، وَمَعَانٍ عَدِيدَةٍ، فَهُوَ يَأتِي عَلَى سَبِيلِ التَّشَوُّقِ وَالاستِعذابِ إِنْ كَانَ فِي تَغَزُّلٍ أَو نَسِيبٍ، وَعَلَى سَبِيلِ التَّنوِيهِ وَالإِشَارَةِ أَو التَّعظِيمِ وَالتَّفخِيمِ إِذا مَا وَرَدَ فِي مَدح ...[1]

وَكَذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَأتِي لأَغراضٍ كَثيرَةٍ، مِنهَا إِبرازُ المَعنى وَتَقرِيرُهُ فِي النَّفسِ، وَمِنهَا استِمَالَةُ المُخاطَبِ وَتَرغِيبُهُ فِي قبولِ النُّصحِ وَالإِرشاد، وَمِنهَا التَّذكِيرُ بِنِعَمِ اللهِ التي لا تُعَدُّ وَلا تُحصى، وَمِنهَا المُبالَغَةُ فِي التَّحذِيرِ وَالتَّنفِيرِ، وَمِنهَا الحَثُّ عَلَى التَّذكُّرِ وَالتَّدبُّرِ وَأَخذِ العِبَرِ وَالعِظات...[2].

وَيَلجَأُ الشَّاعِرُ –أيُّ شاعرٍ– إِلى التّكرارِ لِلَفتِ انتِبَاهِ السَّامِعِ إِلى فِكرَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَتَوكِيدِهَا وَإِبرازِهَا، وَبَيَانِ اهتِمَامِهِ بِهَا دُونَ سِوَاهَا، وَبِهذا فَالتّكرارُ –مِن بَعضِ الوُجُوه– "إلحاح على جهة مهمة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها ... فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حسّاسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو، بهذا المعنى، ذو دلالة نفسيّة قيّمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه"[3].

وَيُؤَدِّي تكرارُ الكَلِمَةِ بِلَفظِهَا أَو إِحدى مُشتَقَّاتِهَا إِلى مَنحِ الشِّعرِ جَرسَاً مُوسِيقِيَّاً جَمِيلاً، وَإِيقَاعَاً خَلاباً، فَهُوَ "واحد من عناصر الإيقاع الداخلي للنص، فإذا كان الإيقاع الخارجي المتمثل بالوزن والقافية يلقي بظلاله الموسيقية على جميع أبيات القصيدة، فإن التكرار يخلق حالات إيقاعية متعددة على مستوى البيت أو الأبيات، فالتكرار اللفظي ينجم عنه تماثل إيقاعي، وهذا التماثل الإيقاعي الذي يخلقه التكرار ينجح في كسر رتابة الإيقاع الخارجي، مما يجعل القصيدة (سيمفونية) متعددة الألحان"[4]، وَفِي هَذَا السِّيَاقِ يُمكِنُ تَعرِيف التّكرَارِ بِأَنَّهُ "تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغماً موسيقياً، يتقصده الناظم في شعره"[5].

---

[1] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، 2/74–77.

[2] يُنظر: فيود، بسيوني عبد الفتاح: **علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني**، ط1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، والأحساء–المملكة العربية السعودية: دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، 1998، 2/204–205.

[3] الملائكة، نازك: **قضايا الشعر المعاصر**، ص242.

[4] عتيق، عمر عبد الهادي قاسم إبراهيم: **دراسة أسلوبية في شعر الأخطل**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس–فلسطين، 2000–2001، ص103.

[5] هلال، ماهر مهدي: **جرس الألفاظ ودلالته في البحث البلاغي**، بغداد: مطبعة الحرية، 1980، ص239.

وتُعَدُّ ظاهِرَةُ التّكرارِ إحدى العَناصِرِ المُوسيقيَّةِ المُهِمَّةِ في شِعرِ الوأواءِ الدِّمَشقيِّ، فَقَد وَظَّفَهَا في مَواضِعَ كَثيرَةٍ مِنهُ، ومِنَ الأَمثِلَةِ عَلَيهَا تكرارُهُ لِمُفرَدَةِ (البَيْن) ومُشتَقَّاتِهَا خَمسَ مَرَّاتٍ، وذَلِكَ في قَولِهِ في الرَّحيلِ والهجران:[1]

[البسيط]

بَانُوا فَلَمْ يَبْقَ لِي فِي يَوْمِ بَيْنِهِمُ قَلْبٌ أُحَمِّلُهُ مِنْ بَعْدِهِمْ أَلَمَا
فَالبَيْنُ يَعشَقُهُمْ والشَّوقُ يَعْشَقُنِي والجِسْمُ مُذْ فَارَقُونِي يَعْشَقُ السَّقَما
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ أَعْمَى يَومَ صَاحَ بِهِمْ حَادِي الرَّحِيلِ فَمَا لِلْبَيْنِ مَا رَحِمَا!

ويَبدُو أَنَّ تكرارَ هَذِهِ الكَلِمَةِ يَعُودُ إلى تَركيزِهِ عَلَيهَا، فَهِيَ المحورُ الذي تَدُورُ حَولَهُ هَذِهِ الأَبيات، إِذْ يُرِيدُ الشَّاعِرُ مِن ذَلِكَ إِظهَارَ مَا فِي قَلبِهِ مِن أَلَمٍ وسَقَمٍ وضَنىً نَاتِجٍ عَن بَيْنِ المَحبُوبَةِ وهَجرِهَا وفِراقِهَا لَه، ويُلاحَظُ فِي الأَبياتِ السَّابِقَةِ –كَذَلِكَ– تكرَارُهُ لِكَلِمَةِ (يعشق) ثَلاثَ مَرَّات، لِلدِّلالَةِ عَلَى علاقَةِ التَّلازُمِ والتَّعَالُقِ التي تَربطُ بَينَ البَينِ والفِرَاقِ والأحبَابِ مِن جِهَة، فَهَذِهِ حَالُهُم الطَّبِيعِيَّة، وبَينَ الشَّوقِ والحَنِينِ ونَفْسِ الشَّاعِرِ مِن جِهَةٍ ثَانِيَة، وبَينَ جَسَدِهِ والسَّقَمِ والضَّنَى والتَّعَبِ مِن جِهَةٍ ثَالِثَة؛ وذَلِكَ حُزناً عَلَى فِرَاقِ الأحبَاب وهجرَانِهِم لَه.

ومِنهَا مَا وَرَدَ فِي قَولِهِ:[2]

[الخفيف]

حَسَدَتْنَا أَيَّامُنَا بِالتَّلاقِي فَرَمَتْنَا تَعَسُّفاً بِالفِراقِ
مَا أَرَدْنَا الفِراقَ لا كَانَ مِنَّا أَشْمَتَ اللهُ بِالفِراقِ التَّلاقِي

حَيثُ كَرَّرَ مُفرَدَةَ (الفراق) ثَلاثَ مَرَّات، مِن بَابِ التَّركِيزِ عَلَى فِكرَةِ فِرَاقِ المَحبُوبَةِ وهِجرَانِهَا غَيرِ المَرغُوبِ وقُوعُهَا، والتي يُعَانِي كَثِيراً مِنهَا، فَهُوَ يَشكُو مِنهَا، ومِنَ الأَيَّامِ التي تَسَبَّبَت فِي إِحدَاثِهَا.

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص209–210.

[2] المصدر السابق، ص167.

وكَرَّرَ مُفرَدَةَ (الدَّمع) أَربَعَ مَرَّاتٍ فِي قَولِهِ:[1]

[الخفيف]

لَسْتُ أَنْسَى مَقَالَهَا لِي، وَدمعِي فَوقَ خَدِّي كَاللّؤلُؤِ المَنثُورِ
كُلُّ دَمْعٍ فَبِالتَّكلُّفِ يَجرِي غَيرَ دَمْعِ الغَرِيبِ وَالمَهجُورِ
وَرَدَّ البَينُ دَمْعَ عَينِي فَأَضْحى كَعَقِيقٍ أُذِيبَ فِي بَلُّورِ

وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلى رَغبَتِهِ فِي التَّركِيزِ عَلَى فِكرَةِ البُكَاءِ وَذَرفِ الدُّمُوعِ الغِزَارِ، وَعَلَى وَصفِ مُعَانَاتِهِ وَأَلَمِهِ بِسَبَبِ فِرَاقِ المَحبُوبَةِ وَبَينِهَا.

وَفِي قَولِهِ:[2]

[السريع]

ظَلَمَنِي وَالظُّلمُ مِنْ عِنْدِهِ وَجَازَ فِي الظُّلْمِ مَدى حَدِّهِ
ظَبْيٌ غَدَا طَرْفِي لَهُ نَاظِراً لَمَّا رَأَى قَلْبِي مِنْ جُنْدِهِ

كَرَّرَ مُفرَدَةَ (ظلمني) وَمُشتَقَّاتِهَا، حَيثُ وَرَدَتْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَذَلِكَ يعُودُ إِلى مُحاوَلَتِهِ إِثبات مَا وَقَعَ عَلَيهِ مِن ظُلْمٍ نَاتِجٍ عَن صُدُودِ المَعشُوقَةِ وَإِعْراضِهَا.

وَكَرَّرَ كَلِمَةَ (الليل) وَمُشتَقَّاتِهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ فِي قَولِهِ:[3]

[الطويل]

رَعَى اللهُ لَيْلاً ضَلَّ عَنْهُ صَبَاحُهُ وَطَيْفُكَ فِيهِ لا يُفَارِقُ مَضجَعِي
وَلَمْ أَرَ مِثلِي غَارَ مِن طُولِ لَيْلِهِ عَلَيْهِ كَأَنَّ اللَّيْلَ يَعشَقُهُ مَعِي

وَفِي هَذَا دِلالَةٌ عَلَى طُولِ لَيلِهِ، وَمُعَانَاتِهِ وَأَرَقِهِ فِيهِ.

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص109.

[2] المصدر السابق، ص81.

[3] المصدر السابق، ص141-142.

وَفِي قَولِهِ فِي مَدحِ سَيفِ الدَّولَةِ الحَمدانِيّ:[1]

[الطويل]

((أَبا حَسَنٍ)) هــذا ابــنُ مَــدحِكَ قَــد أَتَــى لِمَــدْحِكَ وَالأَيَّــامُ خُضْــرُ الشَّــوارِبِ
بِمالِكَــــةٍ لِلسَّــــمْعِ مملوكَــــةٍ بِــــهِ عَجائِبُهــا مِــن أُمَّهَــات العَجَائِــبِ

كَرَّرَ كَلِمَةَ (مدحك) مَرَّتَين، وكَرَّرَ (مالكة، ومملوكة)، وَهُمَا مِنَ الأَصلِ ذَاتِهِ (مَلَكَ)، ثُــمَّ كَرَّرَ مُفرَدَةَ (العجائب)؛ وَذَلِكَ لإقناعِ المَمدُوحِ بِجَودَةِ شِعرِهِ وَتَميُّزِهِ؛ كَي يَحصُلَ عَلَى العَطَــاءِ وَالنّوالِ الذي يَسعَى إِلَيه.

وَكَرَّرَ فِي مِدْحَةٍ أُخرَى لَهُ مُفرَدَةَ (الرأي) ثَلاثَ مَرَّات، تَأكِيداً عَلَى اتِّصَــافِ مَمدُوحِــهِ بالذَّكَاءِ وَالحِكمَةِ وَالرَّأي السَّدِيد، يَقُول:[2]

[الطويل]

إِذَا مَا انبَرَى فِــي هَفــوَةِ الفِكــرِ رَأيُــهُ رَأَى بِعَيــانِ الــرَّأي مَــا فِــي العَوَاقِــبِ
تُعَــوِّذُهُ أَعــدَاؤُهُ مِــن ذَكَائِــهِ إِذا مَــا اكتَفَــى بــالرَّأي دُونَ التَّجَــارِبِ

هَذِهِ أَمثِلَةٌ قَلِيلَةٌ عَلَى ظَاهِرَةِ التّكرارِ فِي شِعرِ الوأواءِ الدِّمَشقِيِّ، وَتَجدُرُ الإِشَارَةُ فِي هَــذَا المقَامِ إِلى أَنَّ التّكرارَ فِي شِعرِهِ لَم يَكُنْ مَقصُوراً عَلَى تكرارِ الأَلفَاظِ وَالمُفرَدَات، وَإِنَّمَــا امتَــدَّ لِيَشتَمِلَ عَلَى تكرارِ أَبيات بِعينِها، لا يَختَلِفُ أَحَدُهَا عَنِ الآخَرِ سِوى فِي كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ جِدًّا، وَرُبَّمَا لا يَختَلِفُ عَنهُ فِي شَيء، وَلَعَلَّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِمَّا إِلى مُحاوَلَةِ الشَّاعِرِ التَّأكِيدَ عَلَى مَعنىً مُعَــيَّن، أَو عَلَى فِكرَةٍ مِنَ الأَفكارِ التي يُرِيدُ إِبرازَها لِلمُستَمِعِ وَلَفتِ انتِباهِهِ إِلَيها، غَيرَ أَنَّ هَذَا التَّعلِيلَ لا يَغفِرُ لَهُ تكرَارَ هَذَا القَدرِ مِنَ الأبيَاتِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَة، فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى شَيءٍ مِنَ الضَّعفِ الشِّعرِيِّ عِنــدَه، وَرُبَّمَا يَكُونُ هَذَا النَّوعُ مِنَ التَّكرَارِ عَائِداً إِلى وُقُوعِ رُواةِ الشِّعرِ بِشَيءٍ مِنَ اللَّبسِ ، فَهَذا يَــروي

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص23.

[2] المصدر السابق، ص22.

بَيتَاً مَا فِي قَصيدَةٍ، وَذَاكَ يَروِيهِ فِي أُخرى غَيرِهَا، وَمِن أَبرَزِ الشَّواهِدِ عَلَى هَذا الضَّـربِ مِـنَ التّكرارِ قولُهُ:[1]

[البسيط]

إِذَا تَلَهَّـبَ جَمـرُ الشَّـوقِ فِـي كَبِـدِي أَطْفَاهُ مَـاءُ التَّلاقِـي عِنْـدَ رُؤْيَـتِكَمْ

حَيثُ كَرَّرَهُ فِي قَصيدَةٍ أُخرى، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[2]

[البسيط]

إِذَا تَلَهَّـبَ نَـارُ الشَّـوقِ فِـي كَبِـدِي أَطْفَاهُ مَـاءُ التَّلاقِـي عِنْـدَ رُؤْيَاهَـا

وَمِنهَا قَولُهُ:[3]

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَوْ رَأَتْهَـا الشَّـمْسُ مَـا طَلَعَـتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَتِهَـا يَوْمَـاً عَلَـى أَحَـدِ

فَقَد كَرَّرَهُ فِي قَولِهِ:[4]

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَـوْ بَـدَتْ لِلشَّـمْسِ مَـا طَلَعَـتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَتِهَـا يَوْمَـاً عَلَـى أَحَـدِ

وَمِنهَا –أَيضَاً– قَولُهُ فِي المَحبُوب:[5]

[مجزوء الكامل]

لَـو قَـالَ لِـي: مُـتْ طَاعَـةً مَـا عِشْـتُ بَعْـدَ سَـمَاعِ أَمْـرِهْ

حَيثُ كَرَّرَ مُعظَمَهُ فِي قَولِهِ:[6]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص66.

[2] المصدر السابق، ص255.

[3] المصدر السابق، ص85.

[4] المصدر السابق، ص266.

[5] المصدر السابق، ص117.

[6] المصدر السابق، ص118.

[مجزوء الكامل]

لَـــو قَـــالَ لِـــي: مُـــتْ طَاعَـــةً لأَطَعْتُـــــهُ وَقَبْلْـــــتُ أَمْـــــرَهْ

ج- التَّصريع:

هُوَ أن يجعل الشاعرُ عَرُوضَ البيتِ تَابِعَةً لِضَرْبِهِ تَنقُصُ بِنقصِهِ، وَتَزيدُ بِزِيادَتِهِ، عَلَى أَن يكونَ العَروضُ والضَّربُ في البَيتِ المُصَرَّعِ مُتَشابِهَينِ في الوَزنِ والرَّوِيّ[1].

وَالتَّصريعُ ظَاهِرَةٌ مُوسيقِيَّةٌ إِيقاعِيَّةٌ قديمَةٌ، عَرَفَها الشُّعراءُ وَاستَخدَمُوهَا مُنذُ القِدَمِ، وَلا سيَّما فِي مَطالعِ قَصائِدِهِم، وَمِنهُم مَنْ لَم يَكتَفِ بِتَصريعِ مَطلَعِ قصيدَتِهِ، وَإِنَّما رَاحَ يُصَرِّعُ أَبياتاً أُخرى داخِلَها، وَمِنهُمْ مَنْ لَم يُصَرِّعِ البَيتَ الأَوَّلَ، وَصَرَّعَ شَيئاً مِمَّا بَعدَه[2].

إِنَّ التَّصريعَ مُهِمٌّ فِي بِنَاءِ النَّصِّ الأَدَبِيّ، فَالشَّاعِرُ -أَيُّ شَاعِرٍ- يُوَظِّفُهُ مُنذُ مَطلَعِ القصيدَةِ؛ كَي يُمَيِّزَ "بين الابتداء وغيره، ويفهم قبل تمام البيت روي القصيدة وقافيتها"[3]، فَضلا عَن أَنَّهُ يَضْطَلِعُ بِدَورٍ كَبيرٍ فِي شَدِّ انتِبَاهِ السَّامِعِ وَجَذبِهِ، وَإِدخالِ الطَّرَبِ إِلى نَفسِهِ، وَذلِكَ نَاتِجٌ عَنِ التَّجانُسِ الصَّوتِيِّ النَّاشِئِ عَن تكرارِ الصَّوتِ ذَاتِهِ فِي نِهَايَةِ كُلٍّ مِنَ المِصراعَينِ الأَوَّلِ وَالثَّانِي مِن بَيتِ الشِّعرِ، وَمَا يَنجُمُ عَن ذَلِكَ مِن نَغَمٍ وَمُوسِيقى.

وَيَجدُرُ بالشَّاعِرِ أَلا يُكثِرَ مِنَ الأَبياتِ المُصَرَّعَةِ فِي قَصيدَتِهِ؛ لأَنَّ كَثرَتَهَا تُدَلِّلُ عَلَى التَّكلُّفِ وَالتَّصَنُّع[4]، لِذَا يَستَحسِنُ بَعْضُ النُّقَّادِ وَالبَلاغِيِّينَ أَمثال ابنِ سنان الخَفَاجِيّ عَدَمَ المَيلِ إِلى تكرارِهِ فِي القَصِيدَةِ الواحِدَةِ، فَالأَجدَرُ بِالشَّاعِرِ أَن يُجرِيَهُ مَجرَى اللّمعَةِ وَاللّمحَة[5].

وَلَقَد تَنَبَّهَ الشَّاعِرُ الوأواءُ إِلى القِيمَةِ الفَنِّيَّةِ وَالدِّلالِيَّةِ وَالنَّفسِيَّةِ وَالمُوسِيقِيَّةِ لِهَذا النَّمَطِ الإِيقاعِيِّ، فَوَظَّفَهُ فِي كَثِيرٍ مِن أَشعَارِهِ، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ:[6]

---

[1] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، 173/1.

[2] يُنظر: المرجع السابق، 174/1-175.

[3] الخفاجي، ابن سنان: **سرّ الفصاحة**، ص195.

[4] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، 174/1.

[5] يُنظر: الخفاجي، ابن سنان: **سرّ الفصاحة**، ص195.

[6] الوأواء: **ديوانه**، ص38.

[المنسرح]

الكــأْسُ قُطــبُ السُّــرور والطَّــربِ فــاحظَ بِهــا قبــلَ حــاجِزِ النَّــوَبِ

فَالكَلِمَتَانِ (الطَّرب)، وَ(النَّوَب)، وَقَعَتَا فِي نِهايَــةِ المِصــراعَينِ الأَوَّلِ وَالثَّــانِي، عَلَــى التَّرتِيب، وَهُمَا عَلَى وَزنٍ وَاحِدٍ، وَيَحمِلانِ نَفْسَ الرَّوِيِّ، وَهُوَ حَرفُ الباءِ المَكسور.

وَفِي قَولِهِ:[1]

[الخفيف]

أَمَــلٌ نَــازِحٌ وَوَجــدٌ قريــبُ إِنَّ حكــمَ الهَــوى لَحكــمٌ عَجيــبُ

يُلاحَظُ التَّصرِيعُ بينَ لفظَتَي (قريبُ)، وَ(عجيبُ)، فَهُمَا مُتَّفِقَتَانِ فِي الوَزنِ وَالقَافِيَة.

وَهَا هُوَ ذَا يَقُولَ مُصَرِّعَاً بينَ (الحَنين)، وَ(الأَنين):[2]

[مجزوء الكامل]

قَلْــــبٌ يُقَلِّبُــــهُ الحَنِــــيْنُ وَحَشــــىً يُقَطِّعُهــــا الأَنِــــينُ

وَأَحياناً يَستَخدِم الوأواءُ التَّصرِيعَ فِي البيتِ الأَوَّلِ مِنَ القَصيدَةِ، ثُمَّ يَعودُ إِلى استِخدامِهِ فِي أَحَدِ أَبياتِهَا الأُخرى، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ فِي مَطلَعِ قَصِيدَتِهِ فِي مَدحِ سَيفِ الدَّولَةِ الحَمدانِيّ:[3]

[الطويل]

أَمَغْنَــى الهَــوى غَالَتْــكَ أَيــدي النَّوائِــبِ فَأَصْــبَحْتَ مَغْنَــىً لِلصَّــبَا وَالجَنائِــبِ

وَقَولُهُ فِي مُنتَصَفِ تِلكَ القَصيدَةِ:[4]

[الطويل]

وَمَــنْ لا تَــراهُ طَالبــاً غيــرَ طالِــبٍ وَلا ذَاهبــاً إِلا عَلَــى غيــرِ ذاهِــبِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص48.

[2] المصدر السابق، ص239.

[3] المصدر السابق، ص16.

[4] المصدر السابق، ص21.

فَفِي البَيتِ الأَوَّلِ صَرَّعَ بينَ (النَّوائبِ)، وَ(الجَنائبِ)، وَفِي البَيتِ الآخَرِ صَرَّعَ بينَ (طالِبٍ)، وَ(ذاهِبِ).

يُستَخلَصُ ممَّا سَبَقَ، أَنَّ الوأواءَ الدِّمَشقِيَّ اهتَمَّ بِظَاهِرَةِ التَّصريعِ، وَعَمِلَ عَلَى تَوظِيفِهَا فِي كَثِيرٍ مِن مَنظومَاتِهِ، مِن قَصائِدَ وَمَقطُوعَاتٍ، فَأَحيَانَاً يَكتَفِي بِتَصريعِ المَطلَعِ، وَأَحيانَاً يُصَرِّعُ مَعَهُ أَبياتَاً أُخرى دَاخِلَ القَصيدَةِ ذَاتِها، وَأَحيانَاً ثَالِثَةً لا يَلتَفِتُ إِلى التَّصرِيعِ طوالَ القَصيدَةِ.

د- التَّدوير

يُقصَدُ بالتَّدويرِ أَنَّ تَمَامَ وَزنِ كِلا شَطرَي بَيتِ الشِّعرِ يَكُونُ بِجُزءٍ مِن كَلِمَةٍ[1]، وَهَذا يَقتَضِي اشتِرَاكَ الشَّطرَينِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، بِحَيث يَقَعُ جُزؤُهَا الأَوَّلُ فِي نِهايَةِ صَدرِ البَيتِ، وَجُزؤُهَا الثَّانِي فِي بِدَايَةِ عَجزِهِ [2]، وَيُطلَقُ عَلَى البَيتِ المُدَوَّرِ العَدِيدُ مِنَ المُصطَلَحات، مِنهَا: البَيتُ المَوصولُ، وَالمُتَدَاخِلُ، وَالمُدْمَجُ، وَالمُدَاخَلُ[3]، وَأَكثَرُ مَا يَقَعُ التَّدويرُ فِي البَحْرِ "الخفيف، وهو حيث وقع من الأعاريض دليل على القوة، إلا أنه في غير الخفيف مستثقل عند المطبوعين، وقد يستخفونه في الأعاريض القصار: كالهزج ومربوع الرمل وما أشبه ذلك"[4].

وَلِلتَّدويرِ "فائدة شعرية وليس مجرّد اضطرار يلجأ إليه الشاعر. ذلك أنه يسبغ على البيت غنائية وليونة لأنه يمدّه ويطيل نغماته"[5]، كَمَا أَنَّهُ يُحَقِّقُ تَوَاصُلاً فِي الأَبياتِ يُؤَدِّي إِلى سُرعَةٍ فِي الإِيقاع، وَيَضمَنُ وِحدَةَ المَقَاطِعِ أَوِ الأَجزاءِ التي يَرِدُ فِيهَا، كَمَا أَنَّه يُحَقِّقُ وِحدَةً نَغَمِيَّةً فِي القَصِيدَةِ ككُل، فَضلاً عَن أَنَّهُ يَسمَحُ بِتَعَدُّدِ النَّغَمَاتِ وَتَنَوُّعِهَا فِي الشَّطرِ وَالآخَر[6].

---

[1] يُنظر: الملائكة، نازك: **قضايا الشعر المعاصر**، ص91.

[2] يُنظر: أحمد، محمد، وآخرون: **البنية الإيقاعية في شعر عز الدِّين المناصرة**، ط1، القدس: منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1998، ص93.

[3] يُنظر: يعقوب، إميل بديع: **المعجم المفصّل في علم العروض والقافية وفنون الشعر**، ص173.

[4] القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، 1/177-178.

[5] الملائكة، نازك: **قضايا الشعر المعاصر**، ص91.

[6] يُنظر: أحمد، محمد، وآخرون: **البنية الإيقاعية في شعر عز الدِّين المناصرة**، ص93.

وَيُلاحَظُ مِن دِرَاسَةِ شِعْرِ الوأواءِ وَاستِعراضِهِ وُجُودُ ظَاهِرَةِ التَّدويرِ فِيهِ بِكَثْـرَة، وَمِـنَ الأَمثِلَةِ عَلَيهَا، قَولُهُ فِي مَدحِ الشَّريفِ العَقِيقِيِّ:[1]

[الخفيف]

يَـا (أَبَـا قاسِـمٍ) أَزالَـتْ عطايـا كَ صِـعابَاً مِـنَ الخُطُـوبِ الصِّـعابِ

فَقَد طَرَأَ التَّدويرُ عَلَى كَلِمَةِ (عطاياك)، حَيثُ قُسِمَتْ إِلى قِسـمَينِ، عَلَـى هَـذا النَّحـو: (عطايا+ك)، وَوَقَعَ القِسْمُ الأَوَّلُ فِي نِهَايَةِ صَدرِ البَيتِ، وَالقِسمُ الثَّانِي فِي بِدَايَةِ عَجـزِهِ، وَذَلِـكَ تَحقِيقَاً لِلتَّنَاسُبِ بَينَهُمَا وَبينَ تَفعيلاتِ البَحرِ الخَفِيفِ الذي يَنضَوي تَحتَ لِوائِهِ هَذا البَيتُ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنَ الآتي:

يَـا أَبَـا قَـا/سِـمٍ أَزا / لَـتْ عطايـا كَ صِـعابَاً / مِـنَ الخُطُـو / بِ الصِّـعابِ

– ب – – / ب– ب– / – ب – – ب ب – – / ب – ب – / – ب – –

فاعلاتن / مُتَفْعِلُن / فاعلاتن فَعِلاتُن / مُتَفْعِلُن / فاعلاتن

إِنَّ كَلِمَةَ(عطاياك) هِيَ الكَلِمَةُ المِحوَرِيَّةُ فِي البَيتِ السَّابِقِ، فَهِيَ تَربِطُ بَينَ المُعطِي الكَرِيمِ الجَوادِ أَبي القاسِمِ، وَمَا يَنتُجُ عَن عَطَايَاهُ مِن إِزالَةِ صِعابِ الحَيَاةِ وَمَصائِبِهَا، فَلَولا عَطايَاهُ لَعَاشَ النَّاسُ فِي كَمَدٍ وَحُزنٍ وَفَقرٍ وَعَوزٍ وَتَعاسَةٍ دائِمَةٍ.

وَمِنهَا قَولُهُ:[2]

[مجزوء الرمل]

طَرَقَتْنِـــي نَائبَـــاتُ الـــدْ دَ هْـــرِ فِـــي إِعـــلالِ حُبِّـــي

فَوَزنُ هَذا البَيتِ (مجزوء الرَّمَل) اقتَضَى أَن تُقسَمَ لفظَةُ (الدَّهر) إِلـى قِسـمَين، هُمَـا: (الدْ+دَهر)، حَيثُ وَقَعَ القِسمُ الأَوَّلُ فِي نِهايَةِ الشَّطرِ الأَوَّلِ، وَالقِسمُ الثَّانِي فِي بِدَايَةِ الشَّطرِ الثَّانِي، وَلَو لَم يَحصُل ذَلِكَ لَمَا استَقَامَ الوَزنُ وَالإِيقاعُ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنَ الآتي:

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص15.

[2] المصدر السابق، ص57.

طَرَقَتْنِـــــي / نَائبـــــاتُ الـــــدْ دَ هْـــــرِ فـــــي إِع / لالِ حُبِّـــــي

ب ب – –/ – ب – – – ب – – / – ب – –

فَعِلاتُن / فاعلاتن فاعلاتن / فاعلاتن

وَمِنهَا –أَيضاً– قَولُهُ:[1] **[المتقارب]**

لَقَدْ فَـتَحَ الشَّـوقُ لِـي مِـنْ هَـوَا كَ بَابَـاً مِـنَ الشَّـوْقِ لا يُغْلَـقُ

فَقَبلَ انتِهَاءِ كَلِمَةِ (هواك) اكتَمَلَت تَفعِيلاتُ البحرِ المُتقارَبِ فِي صَدرِ هَذَا البَيت، فَتَطَلَّـبَ ذَلِكَ أَن تُقسَمَ هَذِهِ الكَلِمَةُ إِلى قِسمَين، كَالآتِي: (هوا+ك)، وَأَنْ يَقَعَ الجُزءُ الآخَرُ مِنهَا فِـي بِدَايَـةِ الشَّطرِ الثَّانِي، وَذَلِكَ عَلَى النَّحوِ الآتي:

لَقَـدْ فَ / تَـحَ الشَّـو / قُ لِـي مِـنْ / هَـوَا كَ بَابَـاً / مِـنَ الشَّـو / قِ لا يُـغْ / لَـقُ

ب–ب/ ب – – / ب – – /ب – ب – – / ب – – /ب–

فَعُولُ / فعولن / فعولن /فَعُو فعولن / فعولن / فعولن /فَعُو

وَبِذَلِكَ، فَقَد رَبَطَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ بَينَ الشَّوقِ إِلى المَحبُوبَة، وَبَينَ كَونِ هَذَا الشَّوقِ مُتَجَدِّداً لا يَنْضَب.

وَقَولُهُ:[2]

[مجزوء الرجز]

رَمَـــــاهُ رِيـــــمٌ فَأَصَـــــا بَ القَلـــــبَ مِنْـــــهُ إِذْ رَمَـــــى

إِذْ وَقَعَت كَلِمَةُ (أَصاب) مُشتَرَكَةً بَينَ شَطرَي البَيتِ السّابِق، إِقَامَةً لِوَزنِ (مجزوء الرَّجَز) وَتَحقِيقاً لَهُ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنَ الآتِي:

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص169.

[2] المصدر السابق، ص204.

رَمَـــــــــاهُ رِي / مٌ فَأَصَـــــــــا بَ القَلَـــــبَ مِـــــنْ / هُ إِذْ رَمَـــــى

ب – ب – / – ب ب – – – ب – / ب – ب –

مُتَفْعِلُن / مُستَعِلُن مُستَفعِلُن / مُتَفْعِلُن

فَلَو لَم تَشتَرِك هَذِهِ الكَلِمَةُ بَينَ الشَّطرَينِ، لَحَدَثَ خَلَلٌ فِي وَزنِ البَيتِ، ولَمَا استَقَامَ وَصَلَحَ.

وَالنَّمَاذِجُ التي تُرصَدُ فِي شِعرِ الوأواءِ عَلَى ظَاهِرَةِ التَّدويرِ كَثيرَةٌ كَثرَةً بَالِغَةً، لا سَـبِيلَ إِلى حَصرِهَا وَاستِقصَائِهَا، وَبَيانِهَا وَالتّعلِيقِ عَلَيهَا فِي هَذَا المقام.

المَبحَثُ الخَامِسُ

الصُّورَةُ الفَنِّيَّة

تُعَدُّ الصُّورَةُ الفَنِّيَّةُ عُنصُرَاً أَسَاسِيَّاً فِي الشِّعرِ العَرَبِيِّ، وَرُكنَاً رَئِيسِيَّاً مِن أَركَانِهِ، وَهِيَ لَيسَتْ شَيئَاً جَدِيداً مُحدَثَاً فِيهِ، فَ "الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم"[1].

وَيَلجَأُ الشَّاعِرُ إِلى الصُّورَةِ كَي يُعَبِّرَ فِيهَا عَن مَعَانٍ وَأَفكارٍ مَعَيَّنَةٍ تَجُولَ فِي ذِهنِهِ، وَيَشرَحَهَا وَيُوَضِّحَهَا وَيُقَرِّبَها إِلى ذِهنِ السَّامِعِ، وَيُسَهِّلَ مِن فَهمِهَا وَاستِيعَابِهَا[2]، وَالصُّورَةُ تُحافِظُ عَلَى المَعنَى المُرادِ تَقدِيمُهُ إِلى المُتَلَقِّي كَمَا هُوَ، دُونَ إِجراءِ أَيِّ تَغيِيرٍ عَلَيهِ، إِلا أَنَّها تُغَيِّرُ مِن طَرِيقَةِ تَقدِيمِهِ وَوَسِيلَةِ عَرضِهِ، وَبِهَذا الفَهمِ، فَإِنَّ الصُّورَةَ الفَنِّيَّةَ "طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير. ولكن أيّاً كانت هذه الخصوصية، أو ذاك التأثير، فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه"[3].

وَإِذا كَانَتِ الصُّورَةُ تَشكِيلاً لُغَوِيَّاً، فَإِنَّ هَذَا لا يَعنِي أَنَّهَا مُنعَزِلَةٌ عَنِ الخَيَالِ وَمُنفَصِلَةٌ عَنهُ، "فالصورة تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها. فأغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية"[4]، إِذَن فهُنَاكَ عِلاقَةٌ وَثِيقَةٌ وَارتِباطٌ كَبِيرٌ بَينَ الصُّورَةِ وَالخَيَال، "فالصورة هي أداة الخيال، ووسيلته، ومادته المهمة التي يمارس بها، ومن خلالها، فاعليته ونشاطه"[5].

---

[1] عباس، إحسان: **فنّ الشعر**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1955، ص220.

[2] ينظر: الساريسي، عمر عبد الرحمن: **الشعر في العصر العباسي (المؤثرات والظواهر)**، ط1، العبدلي-الأردن: دار حنين للنشر والتوزيع، والكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2006، ص159.

[3] عصفور، جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط2، بيروت-لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، 1983، ص323.

[4] البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطوّرها)**، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981، ص30.

[5] عصفور، جابر، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص14.

وَلَيسَ المَقصُودُ بالخَيَالِ السَّعي وَرَاءَ الأَوهَامِ وَالخُرافَاتِ وَالمُعَمَّيَاتِ، وَالبُعْد عَنِ الحَقيقَةِ وَالوَاقِعِ، وَإنَّمَا يُقصَدُ بِهِ "نشاط خلاق، لا يستهدف أن يكون ما يشكّله من صور نسخاً أو نقلاً لعالم الواقع ومعطياته، أو انعكاساً حرفياً لأنسقة متعارف عليها، أو نوعاً من أنواع الفرار، أو التطهير الساذج للانفعالات، بقدر ما يستهدف أن يدفع المتلقي إلى إعادة التأمل في واقعه، من خلال رؤية شعرية، لا تستمد قيمتها من مجرد الجدة أو الطرافة، وإنما من قدرتها على إثراء الحساسية وتعميق الوعي"[1].

وَفِي إطارِ دِرَاسَةِ الصُّورَةِ الفَنِّيَّةِ في شِعرِ الوأواءِ الدِّمَشقِيِّ، يُقَدِّمُ البَاحِثُ فِيمَا يَأتِي مِن صَفحاتٍ دِراسَةً لِمَصادِرِ الصُّورَةِ وَمَنابِعِها فِي شِعرِه الوأواءِ، وَتَحليلاً لِمَحاوِرِها وَأَشكالِهَا، وَذَلِكَ عَلَى النَّحو الآتي:

أَوَّلاً: مصادِرُ الصُّورَةِ وَمَنابِعُهَا

يُمكِنُ تَصنِيفُ المَصادِرِ وَالمَنَابِعِ التي استَمَدَّ الوأواءُ مِنها صُوَرَهُ الفَنِّيَّةَ، وَاستفادَ مِنها فِي تَشكيلِهَا وَصِياغَتِها عَلَى النَّحو الآتي:

أ- القرآنُ الكريم

إنَّ القرآنَ الكَرِيمَ مِن أَهَمِّ المَصَادِرِ التي اعتَمَدَ عَلَيهَا الشُّعَرَاءُ فِي تَشكِيلِ صُوَرِهِم الفَنِّيَّةِ، حَيثُ إنَّهُم اقتَبَسُوا كَلِمَاتِه، وَاستَلهَمُوا عِبَارَاتِه، وَتَمَثَّلُوا بِنَظمِه، وَاستَحضَرُوا قِصَصَهُ، وَكَانَ الوأواءُ الدِّمَشقيُّ مِثلَ غَيرِهِ مِنَ الشُّعَراءِ، حَيثُ جَعَلَ مِنَ القرآنِ الكَرِيمِ مَنبَعَاً استَمَدَّ مِنهُ بَعضَ الأَلفاظِ وَالمُفرَدَاتِ وَالمَعَاني، وَبَعضَ الشَّخصِيَّاتِ الدِّينِيَّة الوارِدَةِ فِيهِ وَقِصَصِها، وَوَظَّفها فِي بِناءِ صُوَرِهِ الفنِّيَّةِ وَتَشكيلِها، وَقَد تَمَّ التَّعَرُّضُ لِشَيءٍ مِن هَذا فِي المَبحَثِ الثَّانِي مِن هَذا الفَصل، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ في المَحبُوبَةِ:[2]

---

[1] عصفور، جابر، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص14.

[2] الوأواء: **ديوانه**، ص276.

[الطويل]

لَهَــا حُكْــمُ (لُقْمَــانٍ) وَصُــورَةُ (يُوسُــفٍ) وَنَغْمَــــةُ (دَاوُدٍ) وَعِفَّـــةُ (مَـــرْيَمِ)
وَلِـــي سُـــقْمُ (أَيُّـــوبٍ) وَغُرْبَـــةُ (يُـــونُسٍ) وَأَحْـــزَانُ (يَعْقُـــوبٍ) وَوَحْشَـــةُ (آدَمِ)

فَقَد استَعَانَ في بِنَاءِ هَذِهِ الصُّورَةِ وَنَسجِهَا –كما يتَّضح– بالعَدِيدِ مِنَ الشَّخصِيَّاتِ التَّاريخِيَّةِ الدِّينِيَّةِ الوارِدَةِ في القرآنِ الكَرِيمِ.

ب– الطَّبيعةُ:

تُعَدُّ الطَّبيعَةُ بِمَا تَشتَمِلُ عَلَيهِ مِن عَناصِرَ مَتَعَدِّدَةٍ وَظَواهِرَ مَختَلِفَةٍ، مِـن أَهَـمِّ الرَّوافِـدِ وَالمَنابِعِ التي غَذَّت الصُّورَةَ الفَنِّيَّةَ، وَسَاهَمَت فِي صِياغَتِهَا في شِعرِ الوأواء، وَمِن تِلكَ العَناصِرِ وَالظَّواهِرِ النَّباتَاتُ وَالوُرودُ وَالأَزهار، حَيثُ وَظَّفها وَاستَحضَرَهَا لإبرازِ بَعضِ الجَوانِبِ الجَماليَّةِ فِيمَن يَعشَق، أُنثى كانَ أَم ذَكَراً، إِذْ صَوَّرَ خُدُودَ المَحبُوبَةِ بِزَهرِ الرُّمَّانِ الوَردِيِّ الأحمَر، وَشَـبَّهَ ثَديَيهَا بِثَمَرِ الرُّمَّان، بِجَامِعِ الاستدارَةِ وَالتَّكوُّر، يقول:[1]

[البسيط]

إِنْ كانَ في جُلَّنَـارِ الخَـدِّ مِـنْ عَجَـبٍ فَالصَّدْرُ يَطْـرَحُ رُمَّانـاً لِمَـنْ يَـرِدِ

وَصَوَّرَ خَدَّي المَحبُوبِ بالوَردِ فِي قَولِهِ:[2]

[الوافر]

تَبَـــارَكَ مَـــنْ كَسَـــا خَـــدَّيْكَ وَرْدَاً تَطَلَّـــعَ مِـــنْ فُـــرُوعِ الياسَـــمِينِ

وَشَبَّهَ مَحبُوبَهُ في رِقَّتِهِ وَحَيَوِيَّتِهِ بالغُصنِ اللَّيِّنِ الرَّطِب، يقُول:[3]

[الكامل]

وَمُهَفهَـــفٍ كَالغُصـــنِ هَزَّتْـــهُ الصَّـــبا فَصَـــبا إِليـــهِ مِـــنَ الفُتُـــونِ هَـــوائِي

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص266.

[2] المصدر السابق، ص228.

[3] المصدر السابق، ص3.

وَاستَحضَرَ الأَورَاقَ وَالثِّمارَ وَالأَزهارَ فِي مَدائِحِهِ؛ لِلتَّدليلِ عَلَى كَرَمِ مَمدُوحِهِ وَجُودِهِ، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ في الشَّريفِ العَقِيقِيّ:[1]

[الخفيف]

غُصُنٌ لَيِّنُ المَهزَّةِ لَدْنٌ زَاهِرُ الزَّهْرِ مُثمِرُ الإِثْمارِ

وَقَولُهُ فِيهِ:[2]

[الكامل]

قَدْ أَورَقَتْ مِنْهُ الظُّنُونُ وَأَثمَرَتْ نَيْلاً يَظَلُّ الشَّكُّ فِيهِ يَقِينا

وَوَظَّفَ الشَّاعِرُ النَّباتاتِ وَالأزهارَ المُتَنوِّعَةِ فِي رَسمِ صُورَةٍ مُتكامِلَةٍ مِثالِيَّةٍ لِلرِّياضِ التي رَآها وَشَاهَدَهَا وَقَضى فِيها بَعضَ أَوقاتِهِ، فَهَا هُوَ ذَا يُوَظِّفُ فِي صِياغَةِ إِحدى رَوضِيَّاتِهِ (الزَّهر، وَالبهار، وَالنَّرجِس، وَشَقَائِق النُّعمان، وَأَوراق الأشجارِ وَأَغصانها)، فَيَقُول:[3]

[المتقارب]

أَدِرْ لَحْظَ عَيْنِكَ وَامْزِجْهُ فِي مُرُوجِ الرِّياضِ تَجِدْها تَشُوقُ
تَرى مَزوَجَ الحُسْنِ فِي مُفْرَدٍ جَلِيلُ المَحاسِنِ فِيهِ دَقِيقُ
إِذا قابَلَ الزَّهْرُ زَهْرَ الخُدودِ فَأَينَ الخَلاصُ! وَأَينَ الطَّرِيقُ!
بَهارٌ بَهِيرٌ بِهِ غَيْرَةٌ عَلى نَرْجِسٍ وشَقِيقٌ شَفِيقُ
فَذا عاشِقٌ دَنِفٌ خائِفٌ وَذا خَجِلٌ وَكَذاكَ العَشِيقُ
مَدَاهِنُ يَحْمِلْنَ طَلَّ النَّدى فَهاتِيكَ تِبْرٌ وهذا عَقِيقُ
يُنَظِّمُ أَوْراقَها دُرُّهُ وَيَنْثُرُ مِنْها الَّذي لا يُطِيقُ
يَمِيلُ النَّسِيمُ بِأَغْصانِها فَبَعْضٌ نَشاوى وَبَعْضٌ مُفِيقُ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص96.

[2] المصدر السابق، ص217.

[3] المصدر السابق، 155-156.

وَوَظَّفَ الوأواءُ النَّباتاتِ وَالأزهَارَ فِي وَصفِهِ لِلكَواكِبِ وَالنُّجُوم، فَهَا هُوَ ذَا يُشَبِّهُ النُّجــومَ المُحيطَةَ بالبَدرِ وَسطَ السَّماءِ بالأزهارِ المُتَنَاثِرَةِ فِي إِحدى الرِّياض، وَيُشَــبِّهُ البَــدرَ بالمِصــباحِ المُضِيءِ المُنير، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[1]

[الخفيف]

وَكَــأَنَّ النُّجُــومَ وَالبَــدْرَ أَزْهــا رُ رِيــاضٍ فــي وَسْــطِها قِنْــدِيلُ

وَفِي صُورَةٍ أُخرى شَبَّهَ الثُّرَيَّا بِشَجَرَةِ السَّروِ التي لَم تُورِق، يقول:[2]

[الرجز]

وَالقُطْــبُ حِــينَ يَعْتَلِــي وَيَرْتَقِــي إِذا الثُّرَيَّــا سَــرْوَةٌ لَــمْ تُــورِقِ

وَاستَحضَرَ النُّجُومَ وَالكَواكِبَ المُتَنَوِّعَةَ فِي غَزَلِيَّاتِهِ؛ لِلمُبالَغَةِ فِي إِظهارِ جَمالِ مَن يَعشَق وَحُسنِهِ وَبهائه، وَلإبرازِ مَواضِعِ الفِتنَةِ فِيهِ، إِذْ صَرَّحَ بِأَنَّ جَمَالَ مَحبُوبِهِ مِثَالِيٌّ مُتكامِلٌ لا مَثيلَ لَه وَلا شَبِيه، إِلى الدَّرجَةِ التي أَصبَحَ مَعَهَا البدرُ يُحاكِيهِ وَيَتَشَبَّهُ فِيهِ، وَيَظهَرُ ذَلِكَ مِن قَولِهِ:[3]

[المجتث]

حَــــازَ الكَمَــــالَ فَأَضْــــحَى بَــــدْرُ الــــدُّجى يَحكِيــــهِ

وَقَالَ إِنَّ المَحبُوبَةَ أَكثرُ حُسناً وَجَمالاً مِنَ الشَّمس، فَهِيَ إِذا مَــا رَأَتهــا اختَفَــت خَجَــلاً وَحَيَاءً:[4]

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَوْ رَأَتْهَــا الشَّــمسُ مَــا طَلَعَــتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَتِهَــا يَومَــاً عَلَــى أَحَــدِ

وَشَبَّهَ ثَديَ المَحبُوبَةِ بالبَدرِ بِجَامِعِ الاستِدارَةِ فِي قَولِهِ:[5]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص184.

[2] المصدر السابق، ص163.

[3] المصدر السابق، ص253.

[4] المصدر السابق، ص85.

[5] المصدر السابق، ص104.

[الطويل]

وَتُظْهِرُ لـــي مِـــنْ تَحْـــتِ أَزْرارِ جَيْبِهـــا إِذا ما بَدَتْ مـــن كُـــلِّ ناحيـــةٍ بَـــدْرَا

وَاستَحضَرَ النُّجُومَ وَالكَواكِبَ –كَذلِكَ– فِي مَدائِحِهِ، حَيثُ جَعَلَ مَمدوحَهُ الأميرَ الحَمدانِيَّ سَيفَ الدَّولَةِ ثالثَ السّماكَين، فِي إِشارَةٍ مِنهُ إِلى عَظَمَتِهِ وَتَمَيُّزِهِ عَن غَيرِهِ مِنَ النَّاس، وَعُلُوِّ شَأنِهِ وَرِفعَةِ مَنزِلَتِهِ، يقول:[1]

[المنسرح]

عَلَـــوْتَ فـــي المَجْـــدِ كُـــلَّ مَكْرُمَـــةٍ كُنْـــتَ بِهـــا ثَالِـــثَ السِّـــماكَيْنِ

وَصَوَّرَ فِي هذا الإِطارِ سَيفَ الدَّولَةِ بالهِلال، وَجَعَلَ وَالدَيهِ التَّغلِبِيَّين بَدرَين، يقول:[2]

[المنسرح]

وَيَـــا هِـــلالاً بَـــدَتْ مَطَالِعُـــهُ فِـــي أُفْـــقِ بَـــدْرَيْنِ تَغْلِبِيَّـــيْنِ!

وَقَد وَظَّفَ الشَّاعِرُ الأحجارَ الكَرِيمَةَ وَالمَعادِنَ الثَّمِينَةَ فِي بِنَاءِ كَثِيرٍ مِن صُوَرِهِ الفَنِّيَّـــة، وَلا سِيَّما فِي غَزَلِيَّاتِه، فَهَا هُوَ ذَا يُصَوِّرُ أَسنانَ المَحبُوبَةِ باللؤلُؤ تَارَةً، وَبِحُبَيباتِ البرَدِ المُتَساقِطَةِ مِنَ السَّمَاءِ تَارَةً أُخرى:[3]

[الكامل]

مُتبسِّـــمٌ عـــن لُؤلُـــؤٍ رَطـــبٍ حكـــى بَـــرَداً تَســـاقَطَ مِـــن عُقُـــودِ سَـــماءِ

وَيَستَحضِرُ الزَّبَرجَدَ، وَيُشَبِّهُ بِهِ شَعرَ المَحبُوبَةِ فِي قَولِه:[4]

[الخفيف]

وَلَـــهُ مِـــنْ زَبَرْجَـــدِ الشَّـــعْرِ راءٌ فَـــوْقَ ثَغْـــرٍ كـــالنُّونِ فـــي التَّفْرِيـــقِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص222.

[2] المصدر السابق، ص222.

[3] المصدر السابق، ص4.

[4] المصدر السابق، ص159.

وَيُصوِّرُ كَفَّ المَحبُوبَةِ بَاللؤلؤ، وَيَجعَلُ أَناملَها عَقِيقاً، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[1]

[مجزوء الخفيف]

ثُــمَّ مَــدَّتْ إِلَــيَّ كَفَّــاً مِــنَ اللُّــؤْ لُــؤِ فِيهَــا أَنامِــل مِــنْ عَقِيــقِ

وَيُوَظِّفُ الزَّبَرجَدَ وَالدُّرَّ فِي صُورةٍ مُرَكَّبةٍ يُقدِّمُها لِلَّيل، حَيثُ جَعَلَ حَالَ السَّــماءِ لَونهَــا يَميلُ إِلى الخُضرَة، وَقَد تَناثَرَتْ فِيها النُّجُومُ اللَّامِعَةُ المُضِيئة، مُشابِهاً لِحالِ صَرحٍ مَصنُوعٍ مِــن حِجارَةٍ كَرِيمَةٍ خَضراءَ اللَّون، وَقَد تَناثَرَت فِيهِ حُبَيبَاتٌ مِنَ الدُّرِّ اللَّامِعِ المُتلألِئ، يقول:[2]

[الطويل]

كَــأَنَّ اخضــرارَ الجَــوِّ صَــرْحُ زَبَرْجَــدٍ تَناثَرَ فيهِ الــدُّرُّ مِــن جِيــدِ كَاعِــبِ

وَيُوَظِّفُ الجَواهِرَ اللَّامِعَةَ، وَيُشَبِّهُ فِيها أَزهارَ الشَّجَرِ البَيضاء التي تَنبُتُ عَلَى الأَغصان، فَيَقُول:[3]

[الطويل]

ذُرى شَــجَرٍ لِلطَّيْــرِ فِيــهِ تَشَــاجُرُ كَأَنَّ صُــنُوفَ النَّــورِ فِيــهِ جَــوَاهِرُ

وَمِنَ العَناصِرِ الطَّبيعِيَّةِ التي اعتَمَدَ عَلَيها في نَسجِ صُوَرِهِ، اللَّيل، فَقَد وَصَفَهُ وَاستَحضَرَهُ فِي غَزَلِيَّاتِهِ؛ لِيكشِفَ عَن حَالَةِ الأَلَمِ وَالمُعانَاةِ وَالمُكابَدَةِ وَالسَّقمِ التي يُعانِي مِنهَا نَتيجَةً لِفِراقِ مَن يَعشَق وَهِجرانِه، إِذْ إِنَّه كَثِيراً مَا يَقرِنُ طُولَ اللَّيلِ وَامتِدادَ ساعاتِهِ بِهجرانِ المَحبُوبِ وَبعَادِهِ، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ:[4]

[البسيط]

أَمَــا لِتَطْويــلِ هَــذا اللَّيــلِ تَقصــيرُ مَنْ شَفَّهُ الشَّــوقُ فِــي شَــكواهُ مَعــذورُ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص169.

[2] المصدر السابق، ص18.

[3] المصدر السابق، ص114.

[4] المصدر السابق، ص112.

وَقَولُهُ:[1]

[الطويل]

وَلَيلٍ كَفِكْـرِي فِـي صُـدُودِ مُعَـذِّبِي وَإِلا كَأَنْفاسِـي عَلَيـهِ مِـنَ الوَجْـدِ

ج- معاني الشُّعَراءِ السَّابِقِين وَصُوَرُهُم:

تُشكِّلُ مَعَانِي الشُّعَراءِ السَّابِقِين وَصُوَرُهُم مَصدَراً مُهمَّاً مِن مَصادِرِ تَشكِيلِ الصُّورَةِ الفَنِّيَّةِ فِي شِعرِ الوأواءِ الدِّمَشقِيِّ، فَمَن يُدَقِّقُ النَّظرَ في الكثيرِ مِن صُوَرِهِ، فَإِنَّهُ يَستَذكِرُ صُـوَراً عَدِيـدَةً تُشابِهُهَا وَتَتساوَقُ مَعَها وَارِدَةً عِندَ بَعضِ الشُّعَراءِ السَّابِقِين لَه، وَهَـذِهِ قَضِـيَّةٌ تَمَّـتْ مُنَاقَشَـتُها وَاستِعراضُهَا فِي هذا الفَصلِ تَحتَ عُنوان (التّناصّ)، وَلِزِيادَةِ التَّأكِيدِ عَلَى استِشرائِها فِي شِـعرِ الوأواءِ يَسُوقُ البَاحِثُ مِثالَين إِضافِيَّين، هُمَا استِحضَارُهُ لِصُورَةِ عبيد بن الأبرص التي يَصِـفُ فِيها رِيقَ المَحبُوبَةِ بِأَنَّهُ خَمرٌ، وَالوارِدَة فِي قَولِهِ:[2]

[البسيط]

وَعَبْلَـةٍ كَمَهَـاةِ الجَـوِّ نَاعِمَـةٍ كَـأَنَّ رِيقَتَهـا شِـيبَتْ بِسَلْسَـالِ

إِذْ قَالَ الوأواءُ عَلَى غِرارِهِ فِي المَحبُوب:[3]

[الخفيف]

يَفعَلُ الرِّيقُ مِنـهُ مَـا تَفعَـلُ الخَـمْ رُ وَلَكِـنْ بِـلا تَـأَذِّي خُمَـارِ

وَتَوظِيفُهُ لِصُوَرِ أَبي نواس الفَنِّيَّةِ التي يُشَبِّهُ فِيها الخَمرَ عِندَ مَزجِهَا بالماء، وَمَا يَنتُجُ عَن هذا المَزجِ مِن حُبَيباتٍ عَلَى وَجهِ الكأس، بِحُبَيباتِ الدُّرِّ اللَّامِعَةِ المُتلألِئة، كَقَولِهِ:[4]

[البسيط]

كَأَنَّهـا بِـزُلالِ المُـزنِ إِذْ مُزِجَـتْ شِـبَاكُ دُرٍّ عَلَـى دِيبَـاجِ يَـاقوتِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص87.

[2] ابن الأبرص، عبيد: **ديوانه**، تح: كرم البستاني، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1958، ص110.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص94.

[4] أبو نواس: **ديوانه**، ص252.

فَقَد قَالَ الوأواءُ مُستَحضِراً الصُّورَةَ السَّابِقَة:[1]

[البسيط]

تَصَــوّرَتْ مِــن أَديــمِ الكــأسِ سَــورَتَها فَأَنبَتَــتْ بَــرَداً مِنهَــا عَلَــى لَهَــبِ
تَخالُ مِنهــا بِجِيــدِ الكــأسِ إِنْ مُزِجَــتْ عِقداً مِــنَ الــدُّرِّ أَو طَوْقَــاً مِــن الحَبَــبِ

وَغَير ذَلِكَ الكَثير مِنَ الأمثِلَةِ.

ثَانياً: مَحاوِرُ الصُّورَةِ وَأَشكالُهَا:

لَقَد سَاهَمَت الحَواسُّ المَختَلِفَةُ، البَصَرُ، وَالسَّمعُ، وَاللَّمسُ، وَالذَّوقُ، مُسَاهَمَةً كَبيــرَةً فِــي تَشكِيلِ الصُّوَرِ الفَنِّيَّةِ فِي شِعرِ الوأواءِ وَنَسجِهَا، وَمِن هذا المُنطَلَقِ فَإِنَّ تِلكَ الصُّوَرَ تَتَمَحوَرُ حَولَ أَربَعَةِ مَحاوِرَ، وَتَتَشَكَّلُ عَلَى أَربَعَةِ أَشكال، وَذَلِكَ عَلى النَّحوِ الآتي:

أ- الصُّورَةُ اللَّونِيَّة:

كَانَت الصُّورَةُ البَصَرِيَّةُ اللَّونِيَّةُ مِن أَكثَرِ الصُّوَرِ دَوَرَاناً فِي شِعرِ الوأواءِ، ذَلِكَ أَنَّهُ فُــتِنَ بالألوانِ فِتنَةً عَظِيمَةً جَعَلَتهُ يَحشُدُهَا فِي كَثيرٍ مِن صُوَرِهِ التي تَتَعَلَّقُ بالغَزَلِ، وَالمدحِ، وَالخَمــرِ، وَالوَصفِ، وَالرَّوضِيَّات، فَدِيوانُهُ يَغصُّ بالصُّوَرِ التي اعتَمَدَ فِي إِخراجِها عَلَى الألوانِ المُتَنَوِّعَةِ، وَتَبرُزُ هَذِهِ الألوانُ مِن تَصرِيحِهِ بِها تَصرِيحاً مُباشِراً، أَو مِــن ذِكــرِ بَعــضِ الــدَّوالِّ اللَّونِيَّــةِ وَالعَلامَاتِ البَصَرِيَّةِ التي تَشِي بِها.

إِنَّ تَوظِيفَ الوأواءِ للألوانِ لَم يَكُن -في مُعظَمِ الأحيانِ- عَمَلاً عَبَثِيّاً لا فَائِدَةَ مِنه، وَإِنَّما كانَ لَهُ دلالَةٌ مُهِمَّةٌ تَتَمَثَّلُ فِي اضطِلاعِهِ بِدَورٍ كَبيرٍ في الكَشفِ عَن نَفسِيَّةِ الشَّــاعِرِ وَأَحاسِيسِــهِ، وَانطِباعِهِ عَمَّن يَتَحَدَّثُ عَنهُ أَو يَصِفُهُ، فَاللَّونُ -بِوَجهٍ عَامٍّ- "يمتلك فاعليــة بصــرية تخاطــب الوجدان والشعور، وهو بهذا يتحول إلى مؤشر أو دالّ حين يوضع ضمن سياق لغوي، ولــذلك فإنه يمتلك دلالة في إطار بناء الجملة الشعرية"[2].

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص39.

[2] ربابعة، موسى: **جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى**، الأردن: جامعة اليرموك، (د.ت)، ص1355.

وَلَقَد تَعَدَّدَت الأَلوانُ التي وَظَّفهَا الوأواءُ فِي غزَلِيَّاتِه، وَمِنها اللَّونُ الأَبيض، حَيثُ تَبــدُو دِلالَتُهُ مَاثِلَةً في مُفرَدَةِ (البدر)، فِي قَولِه فِي عِناقِ المَحبُوبَةِ صَبَاحَاً:[1]

[المنسرح]

عَانَقْــتُ بَــدْرَاً فِيــهِ وَعَــانَقَنِي فَصــارَ حَظِّــي مِــنْ ذَيْــنِ حَظَّــيْنِ

وَهي دِلالَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى مَنحِ المَعشُوقِ صِفاتِ النَّقــاءِ، وَالملاحَــةِ، وَالبَيــاضِ النَّاصِــعِ، وَالإشراقِ التي يَشتَرِكُ فِيها مَعَ البدر، وَتَجدُرُ الإشارَةُ إِلى أَنَّ تَوظِيفَ هذا اللَّونِ فِي هَذا المَوضِعِ يَتَسَاوَقُ مَعَ الإرثِ الفَنِّيِّ وَالاجتِمَاعِيِّ لِلعَرَب، فَكَثِيرَاً مَا شَبَّهَ الشُّعَرَاءُ المَحبُوبَةَ بالبَدرِ؛ إِبــرازاً لِصِفَاتِ المَلاحَةِ، وَالصَّفَاءِ، وَنَقاءِ البَشرَةِ وَبَياضِها التي تَتَمَتَّعُ بِهَا.

وَيَبدُو اللَّونُ الأَبيَضُ وَاضِحَاً مِن وَصفِ الشَّاعِرِ لِلمحبُوبَةِ بِأَنَّها تُضِيءُ الظَّلامَ، فِي دِلالَةٍ عَلَى إِشراقِ بَشرَتِهَا، وَصَفاءِ لَونِها وَبَياضِه، وَذَلِكَ فِي قَولِه:[2]

[البسيط]

لَوْ أَنَّهَــا فِــي ظَــلامٍ لاســتنارَ بِهــا لأَنَّ إِشــراقَها يُغنِــي عَــن السُّــرُجِ

كَما أَنَّهُ يَظهَرُ مِن تَصوِيرِ الشَّاعِرِ لأَسنانِ المَحبُوبَة، فَقَد وَصَفَهَا بِأَنَّها بَيضَــاءُ لامِعَــةٌ مُشرِقَةٌ مُضِيئة، غَيرَ أَنَّ بَياضَها لَيسَ مَأْلُوفَاً، ذَلِكَ أَنَّهُ يُنِيرُ اللَّيلَ الأسودَ الحَالِكَ، وَلإظهارِ هــذا المَعنى وَإِبرازِهِ لَجَأَ في صُورَةٍ مِن صُوَرِ التَّشبِيهِ المأْلُوفَةِ إِلى جَعلِ تِلكَ الأسنان مَصادِرَ ضَــوءٍ تَارَةً، وَشُمُوساً دَائِمَةَ الإنارَةِ وَالإشراقِ تَارَةً أُخرى، يقول:[3]

[الطويل]

يُقِمْــنَ لنــا بَــرقَ الثُّغــورِ أَدِلَّــةً إِذا ما ضَــلَلنا فــي ظَــلامِ الــذَّوائِبِ
شموسٌ متــى تبــدو تُضِــيءُ الــدُّجى فَمشــرِقُهَا فيــهِ بغَيــرِ مَغَــاربِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص225.

[2] المصدر السابق، ص68.

[3] المصدر السابق، ص 26.

وَيُستَوحى اللَّونُ الأبيَضُ –كذلِكَ– مِن عِبارَةِ (نور الوصل)، وَقَد حَمَّلَهُ الشَّاعِرُ مَعنىً إيجابِيًّا يُشير إلى ما يَترَتَّبُ عَلى وِصالِهَا وَلِقائِهَا مِن فَرَحٍ، وَسَعادَةٍ، وَسُرُورٍ، وَبَهجَةٍ، وَخَيرٍ، وَأَمَلٍ في الحياة، وَالشَّاعِرُ في هذا المقامِ يَستَحضِرُ مُعاكِسَ اللَّونِ الأبيض فِي المَظهَرِ وَالدّلالَة، أَلا وَهُوَ اللَّونُ الأسودُ الذي يُستَشَفُّ مِن عِبارَةِ (ظُلَم الجفا)، فَهُوَ يَحمِلُ فِي طَيَّاتِهِ مَعَانِيَ الحُزنِ، وَالأَسى والألَمِ، وَالكآبَةِ، وَالتَّشاؤم التي كَانَ يَعِيشُها أَيَّامَ الجَفاء وَالفِرَاق، يقولُ مُخاطِباً آثارَ المَحبُوبَة:[1]

[الطويل]

وَكشَّفْتَ غيمَ الغَدْرِ عن قَمَرِ الوَفَا فَأَشْرقَ نُورُ الوَصْلِ عن ظُلَمِ الجَفَا

وَيَعُودُ فِي صُورَةٍ مُماثِلَةٍ إلى تَوظِيفِ اللَّونِ الأبيَضِ فِي قَولِهِ: (فجر وصال)، وَاللَّونِ الأَسودِ فِي قَولِهِ: (ظلام من دجى صدِّه)، للدّلالَةِ عَلى المَعانِي ذَاتِهَا التي أَشَارَ إِلَيها كُلٌّ مِن هَذينِ اللَّونَينِ فِي البَيتِ السَّابق، يقول:[2]

[السريع]

انْظُرْ إِلَيْهِ وَإِلى خَدِّهِ وَالعَارِضِ المُثْبَتِ فِي خَدِّهِ
كَأَنَّهُ فَجْرُ وِصالٍ بَدا تَحْتَ ظَلامٍ مِنْ دُجى صَدِّهِ

وَقَد أَكثَرَ الشَّاعِرُ مِن تَوظِيفِ اللَّونِ الأَسودِ فِي صُوَرِهِ الغَزَلِيَّة، حَيثُ صَبَّ فِيهِ أَسى الحُبِّ وَضَنَى العِشق، وَهُوَ بِذلِكَ يَكشِفُ عَن كَثيرٍ مِنَ الأَحزانِ وَالأَشجَانِ وَاللَّوعَاتِ التي اعتَمَلَت فِي قَلبِهِ وَبَرَّحَت فِيهِ؛ نَتيجَةً لِفِراقِ مَنْ يَعشَق وَهَجرِهِ لَه، وَهَذا مَا يَتَّضِحُ مِنَ الصُّورَتَينِ السَّابِقَتَين، فَضلاً عَن أَنَّ السّوادَ امتَدَّ فِي هذا الإِطارِ الحَزِينِ الكَئِيبِ مَعَ امتِدادِ الزّمَن، حَيثُ بَدَت السّاعَاتُ سَوداءَ حَالِكَةً مُظلِمَةً، وَكَأَنَّهُ لَم يَعُدْ هُنَاكَ نَهَار، فَقَد شَكَّلَ طُولُ اللّيلِ رَمزاً لاتِّسَاعِ رقعَةِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص8.

[2] المصدر السابق، ص81.

اللَّونِ الأَسودَ في حَياةِ الشَّاعِرِ وَنَفسِيَّتِه، وَمَا مِن سَبِيلٍ إِلى الحَدِّ مِن هذا المَدِّ الأسودِ إِلا بالوِصال الذي يَقتَرِنُ بالسَّعَادَةِ وَالبَهجَة، وَيَظهَرُ ذَلِكَ مِن قَولِه:[1]

[البسيط]

مَـا سَـوَّدَ الحُـزْنُ مُبْـيَضَّ السُّـرُورِ بِهـا إِلا وَأَيَّـامُ عُمْـرِي بَعْـدَهَا سُـودُ

وَمِن قَولِهِ مُشَبِّهاً اللَّيلَ المُظلِمَ بِغُدافٍ أَسوَدَ لَفَّ الأَرضَ بِجَنَاحَيه؛ لإِبرازِ كَآبَتِهِ وَحُزنِـهِ وَتَشاؤُمِه:[2]

[مُخلَّع البسيط]

أَطَـالَ ليـلَ الصُّـدودِ حتّـى يَئِسْـتُ مِـنْ غُـرَّةِ الصَّـباحِ
كأنَّـهُ إِذا دَجَـا غُـدافٌ قَـدْ حَضَـنَ الأَرْضَ بالجَنَـاحِ

وَقَد حَمَّلَ الشَّاعِرُ –عَلَى غَيرِ عَادَتِه– اللَّونَ الأَسودَ الذي يُستَوحَى مِن شَعرِ المَحبُوبَةِ بَعضَ الإِيحاءاتِ وَالدّلالاتِ الإِيجابِيَّةِ التي تَمُوجُ بِمَعاني الفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَالنَّشوَةِ وَالسِّتر، يقول:[3]

[الكامل]

خِفْـتُ الرَّقِيـبَ فَجَلَّلَتْنِـي شَـعْرَها وَتَجَلَّلَـتْ مِـنْ خَـوْفِ وَاشٍ يَرْمُـقُ
فَكَأَنَّنَـا صُـبْحانِ فِـي لَيْـلٍ حَـوى فَجْـرَيْنِ بَيْنَهُمَـا ظَلَـامٌ مُطْبِـقُ
نَخْفَـى إِذا خِفْنَـا وَنَبْـدُو تَـارَةً فِيـهِ وَأَحْيانـاً يَغِيـبُ وَيُشْـرِقُ
وَعُيُونُنَـا قَـدْ خَالَفَـتْ رُقَبَاءَنَـا وَقُلُوبُنَـا لِلْبَـيْنِ مِـنْهُمْ تَخْفُـقُ

فَلَولا سَوادُ شَعرِ المَحبُوبَةِ لَكُشِفَ أَمرُ الشَّاعِرِ مَعَها، وَفَسدَت خُلوَتُـهُ بِهـا، وَانقَطَعَـت لَحظَاتُ السَّعادَةِ وَالنَّشوَةِ التي استَمتَعَ بِها وَعَاشَها عِندَ لِقائِهِ فِيها.

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص71.

[2] المصدر السابق، ص69.

[3] المصدر السابق، ص 166.

وَشَكَّلَ اللَّونُ الأَحمَرُ مُكَوِّناً مُهِمَّاً مِن مُكَوِّناتِ صُوَرِ الوأواءِ اللَّونِيَّةِ فِي غَزَلِيَّاتِــهِ، فَقَــد وَظَّفَهُ في إِطَارِ وَصفِهِ لِلَونِ خَدِّ المَعشُوقَةِ، حَيثُ يقول:[1]

[الكامل]

تُغنِــي عــنِ التُّفَّــاحِ حُمــرَةُ خَــدِّهِ وَتَنُــوبُ رِيقتُــهُ عَــنِ الصَّــهباءِ

وَاللَّونُ الأَحمَرُ فِي هذا الإِطارِ يَحمِلُ دلالَةً رَمزِيَّةً عَلى حَياءِ تِلــكَ المَعشُــوقَةِ وَخَفَرِهَــا وَخَجَلِهَا.

كَمَا وَظَّفَهُ فِي إِطارِ حَدِيثِهِ عَنِ الدُّمُوعِ الغَزِيرَةِ التي تَحَدَّرَت مِن عَينَيه؛ حُزناً عَلَى هَجرِ المَحبُوبِ وَبَينِه، حَيثُ صَبَغَها باللَّونِ الأَحمَر، وَفِي ذَلِكَ دلالَةٌ عَلَى شِدَّةِ الحُزنِ وَالأَلَمِ وَاللَّوعَــةِ التي امتَلأَ بِها قَلبُهُ، وَفَاضَتْ بِها نَفسُهُ، الأَمر الذي جَعَلَهُ يَبكِي دَماً، يقولُ في دُمُوعِه:[2]

[مُخلَّع البسيط]

صَــيَّرَهَا فــي الجُفُــونِ حُمْــراً تَصــعيدُها مِــنْ دَمــي وَقَلبِــي

وَاستَحضَرَ الشَّاعِرُ اللَّونَ الأَصفَرَ فِي وَصفِهِ لِجَسَدِ غُلامٍ مَرِيضٍ، وَحَمَّلَهُ بُعداً سَلبِيَّاً، فَهُوَ يُنبِئُ بِمَعانِي الضَّعفِ، وَالهَزَلِ، وَالسَّقَمِ، وَالتَّعَبِ، وَالاعتِلالِ، وَعَدَمِ الرَّاحَةِ التي أَصَــابَت ذَلِــكَ الغُلام وَسَيطَرَت عَلَيه، يقول:[3]

[مُخلَّع البسيط]

أَبْــيَضُ وَاصْــفَرَّ لاعــتِلالٍ فَصــارَ كَــالنَّرجِسِ المُضَــعَّفْ

وَوَظَّفَ فِي غَزَلِهِ بِأَحَدِهِم اللَّونَ الأَزرَقَ، وَحَمَّلَهُ دِلالَتَينِ اثنَتَين، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[4]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص4.

[2] المصدر السابق، ص55.

[3] المصدر السابق، ص153.

[4] المصدر السابق، ص170.

[المتقارب]

وَقَـــــالوا: بِمُقْلَتِـــــهِ زُرْقَـــــةٌ تَشِـــينُ فَظَـــلَّ لَهـــا مُطْرِقَـــا
وَهَـــلْ يَقْطَـــعُ السَّـــيْفُ يَـــوْمَ الجِـــلا دِ إِذا لَـــمْ يَكُـــنْ مَتْنُـــهُ أَزْرَقَـــا

حَيثُ يَحمِلُ في البيتِ الأَوَّلِ مَعنىً سَلبِيّاً مَكرُوهاً يُستَشَفُّ مِنهُ التَّشاؤُمُ وَالقَلَقُ وَالانزِعَاج، وَهَذِهِ دلالَةٌ تَتَساوَقُ مَعَ تَصوُّرِ العَرَبِ لِظُهُورِ هَذا اللَّونِ فِي العُيون، ذَلِكَ أَنَّ "زرقة العيون تـــدل على العداوة الشديدة لما كان بينهم وبين الروم من عدوات[1] وإحن"[2]، وَهُوَ في البيـــتِ الثَّـــانِي يَحمِلُ مَعانِيَ القوَّةِ، وَالشِّدَّةِ، وَالعُنفِ، وَالفَتكِ، وَالصَّلابَةِ، وَالمَضاءِ التي أَضفاها عَلَى السَّيف.

وَفي قَصيدَةٍ غَزَلِيَّةٍ أُخرى، استَحضَرَ الشَّاعِرُ اللَّونَ الأَسوَدَ الذي يُستَوحى مِن (اللَّيـــل)، وَاللَّونَ الأَبيَضَ الذي يُستَوحى مِن (الصُّبح)؛ لإضفاءِ مَلامِحِ الحُسنِ، وَالجَمالِ، وَالبَهاءِ، وَالتَّمَيُّزِ عَلَى المَحبُوبَة، ثُمَّ استَحضَرَ اللَّونَ الأَصفَرَ الذي يَحمِلُ دلالاتٍ إِيحائِيَّةً تُنبِئُ بـــالحُزنِ وَالكآبَـــةِ وَالأَسى وَالسَّقَمِ الذي يُعانِيهِ العَاشِق، وَاللَّونَ الأَحمَرَ الذي يَحمِلُ مَعانِيَ الخَفَرِ، وَالخَجَلِ، وَالحَياءِ التي تَتَّسِمُ بِها المَعشُوقة، يقول:[3]

[الخفيف]

لَيْلُ شَعْرٍ مِـــنْ فَـــوْقِ صُـــبْحِ جَبِـــينٍ مَـــا لِبَـــيْنٍ عَلَيْهِمـــا مِـــنْ طَرِيـــقِ
وَهْوَ نَوْعَـــانِ فِيهِمـــا صُـــفْرَةُ العِـــا شِقِ مِـــنْ فَـــوْقِ حُمْـــرَةِ المَعْشُـــوقِ

وَيَضطلِعُ عُنصُرُ اللَّونِ بِدَورٍ كَبِيرٍ فِي الصُّوَرِ التي رَسَمَها الوأواءُ فِي مَدائِحِـــه، وَمِـــنَ الأَلوانِ التي سَاهَمَت فِي صِياغَتِها، اللَّونُ الأَبيَض، فَقَد أَسبَغَهُ عَلَى مَمدُوحِـــهِ العَقِيقِـــيِّ، حَيـــثُ يُستَوحى مِن عَلامَتَينِ لَونِيَّتَين، هُمَا: الشَّمسُ وَالبَدرُ اللَّتَين شَبَّهَهُ بِهِما، وَيَعُودُ ذَلِكَ لِما لِهَذا اللَّونِ مِن دلالاتٍ تَتَّصِلُ بالطُّهرِ، وَالنَّقَاءِ، وَالرِّفعَةِ، وَالكِبرِياءِ، وَالصَّفاءِ، وَالشَّرَفِ، وَالسُّمُوِّ، وَالابتِعَادِ عَنِ الدَّنَسِ وَالنَّقصِ وَالعَيب، يقول:[4]

---

[1] يوجد خطأ مطبعي في هذه الكلمة، وصوابها (عداوات).

[2] عبد المطلب، محمد: **شاعرية الألوان عند امرئ القيس**، مجلة فصول، مج5، عدد2، 1985، ص63.

[3] الوأواء: **ديوانه**، ص158.

[4] المصدر السابق، ص196.

[البسيط]

وَمَنْ هُوَ الشَّمْسُ فِي أُفْقٍ بِلا فَلَكٍ وَمَنْ هُوَ البَدْرُ فِي أَرْضٍ بِغَيْرِ سَمَا

وَوَظَّفَ اللَّونَ الأَبيضَ فِي مَدحِهِ لِسَيفِ الدَّولَةِ الحَمدانِيِّ، حَيثُ يَظهَرُ مِنَ المُفرَدَاتِ الآتِيَةِ: (هلالاً، وبدرين، والسِّماكَين)، وَهُنا لا تَختَلِفُ دلالاتُ هذا اللَّونِ عَن دلالاتِهِ فِي البَيتِ السَّابِق، يقول:[1]

[المنسرح]

وَيا هِلالاً بَدَتْ مَطَالِعُهُ فِي أُفْقِ بَدْرَيْنِ تَغْلِبِيَّينِ!
عَلَوْتَ فِي المَجْدِ كُلَّ مَكْرُمَةٍ كُنْتَ بِها ثَالِثَ السِّمَاكَيْنِ

وَمِن عَناصِرِ الصُّورَةِ اللَّونِيَّةِ فِي مَدائِحِ الوأواءِ، اللَّونُ الأَسوَد، فَقَد وَرَدَ فِي وَصفِهِ لِقِتَالِ مَمدُوحِهِ العَقِيقِيِّ وَسطَ المَعرَكَةِ، وَهُوَ يُستَشَفُّ مِن عِبارَةِ (أَظلَمَ النَّقع)، وَيُدَلِّلُ عَلى اشتِدَادِ المَعرَكَةِ، وَاحتِدَامِ اللِّقاءِ، وَكَثرَةِ المَخاطِرِ فِيها، وَعَلى صِفَاتِ الشَّجاعَةِ، وَالبُطولَةِ، وَالإِقدَامِ التي يَتَّسِمُ بِها المَمدُوحُ، وَفِي البَيتِ ذَاتِهِ وَظَّفَ اللَّونَ الأَبيَضَ، وَصَرَّحَ بِهِ تَصرِيحاً مُباشِراً، حَيثُ جَعَلَهُ صِفَةً لِسَيفِ مَمدُوحِهِ، وَتَقُومُ دلالاتُ هذا اللَّون عَلَى مَنحِ السَّيفِ صِفَاتِ القُوَّةِ، وَالصَّلابَةِ، وَالجِدَّةِ، وَالمَضاءِ، مِمَّا يَشِي بِتَمَيُّزِهِ وَتَمَيُّزِ صَاحِبِهِ:[2]

[الخفيف]

قَاتِلُ القَومِ كُلَّمَا أَظلَمَ النَّق عُ جَلاهُ بِالأَبْيَضِ البَتَّارِ

وَفِي صُورَةٍ أُخرى، صَبَغَ الشَّاعِرُ سَيفَ مَمدُوحِهِ باللَّونِ الأَسوَد، لِما لِهَذا اللَّونِ مِن دلالاتٍ تَتَّصِلُ بِمَعانِي الشِّدَّةِ، وَالقَسوَةِ، وَالبأسِ، وَالشَّجاعَةِ، وَذَلِكَ فِي قولِهِ:[3]

[الخفيف]

خَاطِراً لا تَرَاهُ يَعْرِفُ فِي الـ كَرِّ فِراراً بالأَسمرِ الخَطّارِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص222.

[2] المصدر السابق، ص96.

[3] المصدر السابق، ص96.

وَوَظَّفَ اللّونَ الأَسودَ الذي يَبرُزُ مِنَ العَلامَةِ اللّونيَّةِ (أَحلك)؛ لِبَيانِ مَعانٍ سَلبيَّةٍ تَمتَلِئُ بِها نُفُوسُ الشُّعَراءِ المَدَّاحين، وَأَعمالُهُمُ القَبيحَةُ التي تَتَمَثّلُ بالتَّكَسُّبِ، وَذَلِكَ عَلى الرّغمِ مِن أَنّهُ وَاحِدٌ مِنهُم، يقول:[1]

[الكامل]

وَالأَفْــقُ أَحْلَــكُ مِــنْ خَــواطِرِ كاسِــبٍ بالشّعرِ يَسْــتَجدي اللِّئــامَ وَيَرْتَجِــي

فَاللّونُ الأَسودُ في هذا البَيتِ يَحملُ صِفاتِ اللُّؤمِ، وَالدَّناءَةِ، وَالتَّذَلُّلِ، وَإِراقَةِ مَاءِ الوَجهِ مِن قِبَلِ الشُّعَراءِ فِي سَبيلِ الحُصُولِ عَلَى المال.

وَمِنَ الأَلوانِ التي احتَفَى بِهَا الوأواءُ فِي مَدائِحِه، اللّونُ الأَحمَر، فَقَد صَرَّحَ بِهِ مُباشَــرَةً حِينَمَا جَعَلَ أَطرَافَ رِماحِ مَمدُوحِهِ سَيفَ الدَّولَةِ حَمراءَ اللّون، وَلِهذا اللّونِ فِي مِثلِ هذا السِّــياقِ دلالاتُهُ الواضِحَةُ التي تَتَمَثَّلُ بِصُورَةِ الدَّمِ المُراق، وَبالمَوتِ، وَالفَتكِ، وَالقَتلِ، وَالهَلاكِ، وَالفَنــاءِ الذي أَلحَقَهُ المَمدُوحُ بالأَعدَاء، يقول:[2]

[الطويل]

حَــرامٌ عَلَيــهِ أَن يَــرُدَّ رِماحَــهُ مِــنَ الطَّعــنِ إلا وهــي حُمــرُ الثَّعالِــبِ

وَيَبرُزُ اللّونُ الأَحمَرُ مِن عِبَارَةِ (نجيع التَّرائب)، فِي صُورَةٍ جَعَلَ الشَّاعِرُ فِيهــا تُــرابَ أَرضِ المَعرَكَةِ يَتَلَوَّنُ بالأَحمَر، الأَمر الذي أَتَاحَ لَهُ صَبغَ أَيادِيَ الخُيولِ وَحوافِرِها، فَالدِّلالَةُ التي يَشِي بِها هذا اللّونُ تَتَمَثَّلُ بِكَثرَةِ الدِّمَاءِ النَّازِفَةِ مِنَ القَتلى وَالجَرحى فِي المَعرَكَة، وَهَذا مَا يُشِــيرُ إِلَيهِ مَعنى البَيتِ نَفْسُهُ، يقول:[3]

[الطويل]

وَتَصــبُغُ أَيــدي النَّقــعِ أَيــدي خُيولِــهِ بِمُحْمَرٍّ تُــرْبٍ مِــن نَجيــعِ التَّرائِــبِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص263.

[2] المصدر السابق، ص22.

[3] المصدر السابق، ص27.

وَلَوَّنَ الشَّاعِرُ –كَذلِكَ– مَدائِحَهُ باللَّونِ الأَخضَرِ، كَمَا فِي قَولِهِ:[1]

[الكامل]

قَدْ أَوْرَقَتْ مِنْهُ الظُّنُونُ وَأَثْمَرَتْ نَيْلاً يَظَلُّ الشَّكُّ فِيهِ يَقِينا

حَيثُ يَظهَرُ هذا اللَّونُ ظُهوراً غَيرَ مُباشِرٍ، مِن عَلامَتَينِ لَونِيَّتَين، هُمَا: (أَورقَتْ، وأَثمَرَتْ)، وَيَبدُو مُحَمَّلاً بِمَعانِي النَّعِيمِ، وَالنَّضَارَةِ، وَالفَرَحِ، وَالسُّرُورِ، وَالبَهجَةِ، وَالبَعثِ، وَالأَمَلِ، فَالممدُوحُ أَزالَ أَسبابَ بُؤسِ الشَّاعِرِ وَمُعانَاتِهِ وَشقائِهِ بِما قَدَّمَ لَه مِن عَطَايا وَهِبات، الأَمر الذي جَعَلَهُ يَعِيشُ حَياةً مِلؤُهَا الفَرَحُ وَالسُّرُور ...

وَوَرَدَ اللَّونُ السَّابِقُ مُحَمَّلاً بالدّلالاتِ السَّابِقَةِ ذَاتِهَا، فِي صُورَةٍ استِعَارِيَّةٍ وَرَدَت أَثناءَ مُخاطَبَةِ الشَّاعِرِ لِسَيفِ الدّولة:[2]

[الطويل]

(أَبا حَسَنٍ) هذا ابنُ مَدحِكَ قَد أَتى لِمَدْحِكَ وَالأَيَّامُ خُضْرُ الشَّوارِبِ

وَتَبرُزُ الصُّورَةُ اللَّونِيَّةُ فِي خَمرِيَّاتِ الوأواء، وَيَظهَرُ ذَلِكَ مِن تَوظِيفِهِ لِلَّونِ الأَحمَرِ القَرِيبِ مِن لَونِ النَّارِ، فِي وَصفِهِ لَها، يقول:[3]

[الخفيف]

صَاحِ هَاتِ العُقَارَ حَمْراءَ كالنَّا رِ وَدَعْنِي مِمَّا يَقُولُ العَذُولُ

وَفِي خَمرِيَّتِهِ التي يقولُ فيها:[4]

[المنسرح]

عَذَّبْتُهَا بِالمِزاجِ فَابتَسَمَتْ عَنْ بَرَدٍ نَابِتٍ عَلَى لَهَبِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص217.

[2] المصدر السابق، ص23.

[3] المصدر السابق، ص184.

[4] المصدر السابق، ص35.

كَـــأَنَّ أَيـــدي المِـــزاجِ قـــدْ سَـــكَبَتْ فـــي كأْســـها فِضَّـــةً عَلَـــى ذَهَـــبِ

استَحضَرَ اللَّونَ الفِضِّيَّ مَرَّتَين، إحداهُمَا استِحضَاراً غَيرَ مُباشِرٍ، حَيثُ يُســتَوحى مِــن مُفرَدَةِ (بَرد)، وَالثَّانيةُ استِحضاراً مُبَاشِراً، وَذَلِكَ فِي إِطارِ وَصفِهِ لِلماءِ الذي مُزِجَتِ الخَمرُ بِــه، كَمَا وَظَّفَ اللَّونَ الذَّهَبِيَّ الذي يُستَوحى مِن (لهب) تَارَةً، وَيَظهَرُ مِن تَصرِيحِهِ بِهِ مُباشَرَةً تَــارَةً أُخرى، وَكِلا اللَّونَين يَحمِلُ دلالاتِ النَّقاءِ، وَالصَّفاءِ، وَالخُلُوِّ مِنَ الشَّوائِب.

وَقَد صَرَّحَ بِصَفاءِ الخَمرِ التي يَشرَبُهَا، وَخُلُوِّهَا مِنَ الشَّوائِبِ فِي قَولِهِ:[1]

[الطويل]

وَلَيـــلٍ تَمَـــادى طُولُـــهُ فَقَصَـــرْتُهُ بِراحٍ تُعِيرُ المـــاءَ مِـــنْ صَـــفوِها صَـــفَا

وَيحشدُ الوأواءُ فِي كَثِيرٍ مِن رَوضِيّاتِهِ مَجموعَةً مِنَ الأَلوانِ وَالدَّوالِّ اللَّونِيَّةِ التي تَختَلِفُ باختِلافِ الوُرُودِ وَالأَزهَارِ التي تَزدَانُ بِها تِلكَ الرِّياضُ وَتَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِهَا، وَبِذلِكَ يُتِيحُ لِلقارِئِ أَن يُحَلِّقَ فِي عَالَمِ الأَلوان، وَيجعل البابَ مَفتُوحاً لِتَخَيُّلِ الصُّورَةِ المُلَوَّنَةِ دُونَ التَّركِيزِ عَلَى لَونٍ دُونَ آخَر، وَنُورِدُ فِيما يَأتِي نَمُوذَجاً عَلَى ذَلِك، يقول:[2]

[المنسرح]

وروضـــةٍ راضَـــها النَّـــدى فَغَـــدَتْ لَهـــا مِـــنَ الزَّهـــرِ أَنْجُـــمٌ زُهُـــرُ
تَنْشُـــرُ فيهـــا يَـــدُ الرَّبيـــعِ لنَـــا ثوبـــاً مِـــنَ الوشْـــيِ حاكَـــهُ القَطْـــرُ
كأنَّمـــا انشَـــقَّ مِـــنْ شَـــقائِقِها عَلَـــى رُباهـــا مطـــارفٌ خُضْـــرُ
ثُـــمَّ تَبَـــدَّتْ كأنَّهـــا حَـــدَقٌ أَجفانُهـــا مِـــنْ دِمائِهـــا حُمْـــرُ

يَصِفُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ اللَّوحَةِ الفَنِّيَّةِ أَثَرَ سُقُوطِ الغَيثِ عَلَى إِحدى الرِّياض، وَمَا نَتَجَ عَنهُ مِن نُمُوِّ الأَزهارِ وَالوُرودِ المُتَعَدِّدَةِ الأَلوان، وَمِنَ الأَلوانِ التي استَحضَرَهَا فِيهَا، اللَّــونُ الفِضِّــيُّ الذي عَبَّرَ عَنهُ مُستَخدِماً العَلامَتَينِ اللَّونِيَّتَين (النَّدى، والقطر)، وَاللَّونُ الأَخضَر الذي يُستَشَفُّ من

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص10.

[2] المصدر السابق، ص101.

(روضة، والربيع)، واللَّونُ الأَحمَر، وَالأَبيَضُ، وَالزَّهرِيّ، وَهَذِهِ الأَلوانُ جَميعُهَا تَنسَجِمُ مَعَ الجَوِّ العَامِّ المُمتَلئِ بالفَرَحِ، وَالسَّعَادَةِ، وَالبَهجَةِ، وَتُدَلِّلُ عَلَى الخَيــرِ، وَالنَّمــاءِ، وَالصَّــفاءِ، وَالنَّقــاءِ، وَالطُّهرِ، وَالعَطَاءِ، وَالحُبِّ، وَالأَمَل.

وَمِمَّا سَبَقَ، يُستَخلَصُ أَنَّ الأَلوانَ بِأَصنافِها المُتَعَدِّدَةِ تُمَثِّلُ رُكناً مُهِمَّاً مِن أَركانِ الصُّورةِ الفَنِّيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِن شِعرِ الوأواءِ، وَأَنَّ لِكُلِّ لَونٍ مِنها العَديدَ مِنَ الدّلالاتِ وَالمَعَانِي وَالإِيحــاءاتِ التي مِنَ المُمكِنِ أَنْ تَتَغَيَّرَ بِتَغَيُّرِ السِّياقِ الذي يَرِدُ فيهِ.

ب- الصُّورَةُ السَّمعِيَّةُ:

تَضطلِعُ الصُّورَةُ الصَّوتِيَّةُ السَّمعِيَّةُ بِدَورٍ مُهِمٍّ فِي تَشكِيلِ صُوَرِ الوأواءِ الفَنِّيَّةِ وَصِياغَتِهَا، فَهِي تَتَأَلَّفُ مِنَ العَدِيدِ مِنَ العَنَاصِرِ المَسمُوعَةِ التي تَنقُلُ إِلَينا مَواطِنَ الجَمالِ وَالفَرَحِ، فَتُثِيرُ فِــي نُفُوسِنَا اللَّذَّةَ، وَالمُتعَةَ، وَالطَّرَبَ، وَالسُّرورَ تَارَةً، وَتَارَةً أُخرى تَنقُلُ مَواطِنَ الحُزنِ، فَتُثِيــرُ فِينَــا مَشاعِرَ الأَلَمِ، وَالكآبَةِ، وَالحَسرَةِ، وَالمُعانَاة.

لَقَدِ اهتَمَّ الوأواءُ بالطَّبِيعَةِ وَرِياضِها، حَيثُ كانَتِ المُتَنَفَّسَ الذي يَلجَأُ إِلَيهِ هَرَباً مِن أَعبــاءِ الحَياةِ وَهُمُومِهَا، فَكَثِيراً مَا وَصَفَها، وَوَصَفَ وُرُودَهَا وَأَزهارَها، وَمُكَوِّناتِها المُختَلِفَة، وَمَظــاهِرَ جَمالِها المُتعدِّدَة، كَما فِي قَولِهِ:[1]

[الطويل]

ذُرى شــجرٍ للطَّيْــرِ فيــهِ تَشــاجُرُ كَــأَنَّ صُــنُوفَ النَّــوْرِ فيــهِ جَــوَاهِرُ
كــأَنَّ القَمــارِي والبَلابِــلَ بَيْنَنــا قِيــانٌ وأَوراقُ الغُصُــونِ سَــتائِر
شَــرِبْنا عَلَــى ذاكَ التَّــرَنُّمِ قَهْــوَةً كــأَنَّ عَلَــى حَافَاتِهــا الــدُّرَّ دَائِــرُ

إِنَّ جَمَالَ هَذِهِ الصُّورَةِ يَنبُعُ مِن تَآزُرِ حَاسَّتَينِ اثنَتَينِ فِي نَسجِهَا وَصِــيَاغَتِها، فَالشَّــاعِرُ أَدخَلَنا فِي جَوِّ هَذِهِ الرَّوضَةِ الجَمِيلِ، وَعَالَمِهَا السَّاحِرِ عَن طَرِيقِ العَينِ وَمَا تُشاهِدُهُ مِــن أَلــوانٍ

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص114.

سَاحِرَةٍ، وَالأُذُنِ وَمَا تَسمَعُهُ مِن أَصوات عَذبَةٍ، وَيَبرُزُ عُنصرُ اللَّونِ فِي هَـذِهِ الصُّـورَةِ مِـن: (شجر، والنَّور، وَالأَوراق، وَجواهر، وَالدُّرّ)، وَكُلُّهَا أَلوانٌ تَحمِلُ فِي دلالاتِهـا مَعـانِيَ الفَـرَحِ، وَالسَّعادَةِ، وَالبَهجَةِ، وَالنَّشوَةِ، وَيبرُزُ عُنصرُ السَّمعِ فِيها بُرُوزَاً مُتَمَيِّزاً، فَلَيسَتِ العَينُ وَحدها هِيَ التي تُدرِكُ الجَمَالَ وَتَلحَظُهُ، وَإِنَّما مِنَ المُمكِنِ للأُذُنِ أَن تُدرِكَهُ وَتَتَمَتَّعَ فِيه، وَيَنكَشِـفُ عُنصُـرُ السَّمعِ مِن قَولِهِ: (تشاجر)، إِذْ لا يَخفَى عَلَى أَحَدٍ مَا يَنتُجُ عَن تَشاجُرِ الطُّيورِ وَتَقاتَلِهَا مِن أَصواتٍ مَسمُوعَةٍ تُطرِبُ السَّامِعين، كَمَا يَنكَشِفُ مِن وَصفِ الشَّاعِرِ لِطُيُورِ القمارِي وَالبَلابِلِ وَهِي تُغَرِّدُ وَتَترَنَّمُ وَتُزقزِقُ بَينَ الأَشجَارِ، حَيثُ شَبَّهَهَا بالقِيانِ التي تُغَنِّي وَتُرَجِّـعُ فِـي صَـوتِها فَتُطـرِبُ السَّامِعِين، وَبِذَلِكَ فَقَد كَانَ لِلعَناصِرِ السَّمعِيَّةِ السَّابِقَةِ دَورٌ مُهِمٌّ فِي تَشكِيلِ هذا المَشهَدِ الجَمِيلِ الذي يُدخِلُ الطَّربَ، وَالنّشوَةَ، وَالفَرَحَ إِلى النُّفوس، وَلا سِيَّما بَعدَ اشتِمَالِهِ عَلَى بَعضِ العَناصِرِ الحَرَكِيَّةِ التي تَكسِرُ رَتابَةَ الصُّورَةِ وَجُمُودها، وَتَبعَثُ فِيها الحَيَوِيَّةَ وَالحَياة، حَيثُ إِنَّها تَبرُزُ مِـن قَولِـهِ: (تشاجر، وشربنا، ودائر).

وَيَتَحَسَّسُ الوأواءُ مَواطِنَ جَمالِ مَعشُوقِهِ وَحُسنِهِ وَرِقَّتِهِ وَنُعُومَتِهِ عَن طَرِيقِ الصَّوت، وَمَا يَبعَثُهُ هذا الصَّوتُ مِن لَذَّةٍ وَنَشوَةٍ فِي النَّفس، وَيَنجَحُ بالفِعلِ فِي ذَلِكَ، حَيثُ يقول:[1]

[المجتث]

أَفْـــدِي الـــذي شَـــفَّ قَلْبِـــي بِغُنْجِـــــــــهِ وَالتِّيـــــــــهِ

حَيثُ يَبرُزُ العُنصرُ الصَّوتِيُّ السَّمعِيُّ مِن مُفرَدَةِ (غُنجِه)، وَتَعنِي الصَّوتَ النَّـاتِجَ عَـن إِحداثِ اللَّذَّةِ عِندَ المَحبُوبَةِ، وَهُوَ صَوتٌ مَشحُونٌ بالتَّدَلُّلِ وَالتِّيهِ، مُحَبَّبٌ لِلنُّفُوسِ، قَرِيبٌ لِلقُلُوب.

وَكَذَلِكَ فِي قَولِهِ:[2]

[الكامل]

يُوهِيـــهِ حَمـــلُ وِشَـــاحِهِ فَتَـــراهُ مِـــن تَـــرَفِ النَّعِـــيمِ يَـــئِنُّ فِـــي إِخْفَـــاءِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص253.

[2] المصدر السابق، ص3.

حَيثُ يَبرزُ العُنصرُ السَّمعيُّ مِن كَلِمَةِ (يئنّ)، وَهِي مُحَمَّلَةٌ بالمَعانِي التي تُستَشَفُّ مِنهـا نُعُومَةُ المَحبُوبةِ، ورِقَّتُهَا، ولِينُهَا، ودَلالُهَا، وتَرَفُهَا، وَالنَّعِيمُ الذي تَعِيشُ فِيه، فَهي إذا مَا حَمَلَـت وِشَاحَهَا، فَإِنَّهَا تَتعَبُ، وتَضعفُ، وتَبدَأُ بَالتَّأَوُّهِ وَالأَنِين.

وَيَلجَأُ الشَّاعِرُ إِلى الأَصواتِ المُحزِنَةِ فِي إِطارِ رَسمِهِ لِلصُّوَرِ الحَزِينَةِ الكَئِيبَةِ، فَالبُكـاءُ وَالنَّحِيبُ يَتَرَدَّدَانِ عِندَهُ بِكَثرَةٍ، وَلا سِيَّما فِي شِعرِهِ الغَزَلِيِّ، فَهُوَ يُحاوِلُ عَن طَرِيقِ تِلكَ الأَصواتِ أَن يَنقُلَ لَنا جَوانِبَ مِن مُعانَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ، وَأَزمَاتِهِ النَّفسِيَّةِ، وَحُزنِهِ، وَسقَمِهِ، وَضَنَاه النَّاتِجِ عَن فِراقِ مَن يَعشَق، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ:[1]

[الطويل]

وَمَـا ذَكَرَتْـكَ الـنَّفْسُ إلا تَصـاعَدَتْ إِلى العَـيْنِ فَانهلَّـتْ مَـعَ الـدَّمْعِ فـي البُكـا

فَعُنصرُ الصَّوتِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ –وهو البُكاء– يَشتَمِلُ عَلَى رَنَّةِ حُزنٍ، وَشُعُورٍ دَفِـينٍ بالأَلَمِ، وَالحُرقَةِ، وَالمَرارَةِ النّاتِجَةِ عَن غِيابِ المَعشُوقِ وَهَجرِهِ.

وَيُوَظِّفُ الشَّاعِرُ العُنصرَ السَّمعِيَّ ذَاتَه في صُورَةٍ أُخرى؛ لِيُعَبِّرَ عَنِ المَضمُونِ الحَـزِينِ نَفسِهِ الذي عَبَّرَ عَنهُ في البَيتِ السَّابِق، يقول:[2]

[الكامل]

وَبكيتُ مِـن جَـزَعٍ عَليـكَ بِحُرقَـةٍ أَسَـفاً عليـكَ كمـا بكـى (يَعْقُـوبُ)

وَيُوجَدُ عُنصرٌ صَوتِيٌّ جَدِيدٌ فِي قَولِهِ:[3]

[السريع]

يـا مُنكِـراً شـكوايَ نـارَ الهَـوَى قَـد زدتَنِـي كربـاً عَلَـى كَرْبِـي
أَفِـضْ عَلَـيَّ المـاءَ أَو فاسـقِني مـاءً وكُـنْ مِنِّـي عَلَـى قُـرْبِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص8.

[2] المصدر السابق، ص49.

[3] المصدر السابق، ص37–38.

تســـــمعُ للمـــــاء نشيشـــــاً إذا مـــا وصـــل المـــاءُ إلـــى قلبـــي

فَهُنَا تَتَجَلَّى النَّاحِيَةُ الصَّوتِيَّةُ فِي مُفرَدَةِ (نشيشاً)، وَهِيَ مُفرَدَةٌ تُشِيرُ إِلى الصَّوتِ النَّـاتِجِ عَن سَكبِ المَاءِ البَارِدِ عَلَى سَطحٍ سَاخِنٍ، وَتُظْهِرُ –في هذا الإِطار– الأَلَمَ، وَالمُكابَدَةَ، وَالسَّـقَمَ، وَالمرضَ، وَالمُعاناةَ التي يُعانِيها الشَّاعِرُ مِن فِراقِ المَعشُوقَةِ وَصُدُودِهَا، فَهُوَ مِن أَجلِ أَن يُظهِرَ لَهَا الحُرقَةَ وَالمَرارَةَ التي أَصابَتهُ مِن حُبِّهِ لَهَا وَهيامِهِ فِيهَا، يَطلُبُ مِنهَا أَن تَصُبَّ عَلَـى جَسَـدِهِ المُحتَرِقِ بِنارِ الجَوى مَاءً بَارِداً، وَأَن تَستَمِعَ إِلى صَوتِهِ حِينَما يُلامِسُ قَلبَه المُلتَهِب.

وَيُسقِطُ الشَّاعِرُ أَحزانَهُ وَتَأَوُّهاتِهِ عَلَى الدَّالِّ السَّمعِيِّ (أَنيني) الوارِدِ فِي قولِهِ:[1]

[الطويل]

وَصَـلْتُ أَنِينِـي فِـي الهَـوى بِحَنِينِـي وَشَـكْوايَ مَـا أَلْقَـى بِضَـعْفٍ يَقِينِـي

فَهذهِ المُفرَدَةُ تَفِيضُ بدلالاتِ البَثِّ، وَالشَّكوى، وَالمُعاناةِ التي تَظهَرُ عَلَى الشَّـاعِرِ مِمَّـا يَخرُجُ مِنهُ مِن أَصواتٍ وَتَأَوُّهَاتٍ وَزَفَراتٍ نَاتِجَةٍ عَمَّا أَصابَهُ مِن مُقاطَعَةِ المَعشُوقَةِ وَهَجرِهَا.

وَفي قَولِ الشَّاعِرِ الوأواءِ فِي مَدحِ الشَّرِيفِ العَقِيقِيّ:[2]

[البسيط]

إِلَـى فَتًـى تَضْـحَكُ الـدُّنْيا بِغُرَّتِـهِ فَما تَـرى باكِيـاً فِيهَـا إِذا ابْتَسَـما

يَستَحضِرُ عَلامَتَينِ صَوتِيَّتَينِ مُتَعاكِسَتَين، أُولاهُما (الضَّحك)، وَقَد وَرَدَت فِـي صُـورَةٍ استِعَارِيَّةٍ تَمّ فِيها تَشخِيصُ الدُّنيا بامرأَةٍ تَضحَك، وَذَلِكَ لِلدِّلالَةِ عَلى رَخَاءِ العَيشِ وَسِعَتِه، وَحَالَـةِ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ التي يَعِيشُهَا النّاسُ تَحتَ حُكمِ المَمدُوح، أَمَّا الثّانِيَةُ، فَهِيَ (البُكاء)، وَقَـد سُـبِقَت بِأَداةِ نَفي، وَهِيَ بِذَلِكَ تُدلِّلُ عَلَى خُلُوِّ بِلادِ المَمدُوحِ مِنَ الظُّلمِ، وَالفَقرِ الذي يَنـتُجُ عَنـهُ البُكـاءُ وَالنّحِيب.

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص235.

[2] المصدر السابق، ص194.

وَفِي صُورَةٍ أُخرى، اعتَمَدَ الشَّاعِرُ فِي إِخراجِهَا وَتَشكِيلِهَا عَلَى الأَصواتِ الصَّادِرَةِ عَن كُلٍّ مِنَ النَّاي وَالعُود، وَعَلى غِناءِ المَحبُوبَةِ، وَقَد صَبَغَ تِلكَ الأَصوات وَالمُوسيقى المَسمُوعَة بِمَعاني الحُزنِ، وَالبُكاءِ، وَالانتِحَاب، حَيثُ جَعَلَ الأَصوات التي تَخرُجُ مِنَ النَّاي أَشبَهَ بالنَّدب، وَالأَصواتَ التي تَصدُرُ عَنِ العُودِ أَقرَبَ إِلى الانتِحاب، وَلَعَلَّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلى أَنَّ المُغَنِّيَةَ التي كَانَت تُغَنِّي في هَذا المَجلِسِ تُظهِرُ لِلشَّاعِرِ الصُّدودَ وَالإِعراضَ، فَعَبَّرَ بِذَلِكَ عَن حُزنِهِ، وَأَلَمِهِ عَن طَرِيقِ الصُّورَةِ السَّمعِيَّةِ المُسقَطَةِ عَلَى الأَصوات التي يَسمَعُها، وَيَظهَرُ ذَلِكَ مِن قَولِهِ:[1]

[الخفيف]

زَمَنٌ مثلُ زورة الأحباب ... بعد يَأْسٍ مِن مُغْرَمٍ باجتِنابِ
فَاسقِني يا غُلامُ، عاشَ لِيَ العَيْ ... شُ، مُداماً تُجْلى بِحَلْيِ الحَبابِ
مَا تَرَى النَّايَ نبَّهَ العُودَ يَا صَا ... حِ فَذَا نَادِبٌ وَذَا فِي انتِحابِ
وَغناءً يَكادُ أَنْ يَسْكُنَ المَا ... ءَ لتغريدِهِ عنِ الاضطِرابِ
مِن فَتاةٍ وِصالُها لِي صُدُودٌ ... وَمَواعِيدُها كَلَمْعِ السَّرَابِ

ج- الصُّورَةُ اللَّمسيَّة:

لَقَد سَاهَمَتِ الصُّورَةُ اللَّمسيَّةُ فِي تَشكِيلِ كَثِيرٍ مِنَ الصُّوَرِ الفَنِّيَّةِ التي نَسَجَها الوأواءُ الدِّمشقِيُّ في أَشعارِهِ المُختَلِفَة، وَتبرُزُ حَاسَّةُ اللَّمسِ فِي تِلكَ الصُّوَرِ مِنَ الأَبياتِ التي يُصَوِّرُ فِيها مَا يُمكِنُ التِماسُهُ وَتَحَسُّسُهُ مِن نُعُومَةٍ، وَطَراوَةٍ، وَلُيونَةٍ، وَخُشُونَةٍ، وَصَلابَةٍ، وَحَرارة.

وَبَعدَ استِعراضِ شِعرِ الوأواءِ وَالتَّدقِيقِ فِيهِ، فَإِنَّهُ يُلاحَظُ أَنَّهُ تَكثُرُ فِي تَصويراتِهِ الغَزَلِيَّةِ الأَلفاظُ المُوحِيةُ بالنُّعُومَةِ، وَالرُّطُوبَةِ، وَالمَلاسَةِ، وَالرِّقَّةِ، وَاللَّيونَةِ، وَالانثِنَاء، وَهِيَ إِيحاءاتٌ تَرتَبِطُ ارتِبَاطاً مُباشِراً بِحاسَّةِ اللَّمسِ، وَمِن ذَلِكَ قولُهُ في المَحبُوبة:[2]

[البسيط]

يَا مَنْ هُوَ المَاءُ فِي تَكْوِينِ خِلْقَتِهِ ... وَمَنْ هُوَ الخَمرُ فِي أَفعالِ مُقلَتِهِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص11-12.

[2] المصدر السابق، ص65.

عَلَّمْتَ إِنْسانَ عَيْنِي أَنْ يَعُومَ فَقَدْ جَادَتْ سِبَاحَتُهُ فِي مَاءِ دَمْعَتِهِ

فَفِي البَيتِ الأَوَّلِ نَجِدُ مُفرَدَةَ (الماء)، وَهِيَ فِي هَذا الإِطارِ تُقَدِّمُ صُورَتَينِ اثنَتَين، هُمَا: لَونِيَّة، بِما تُضفِيهِ عَلَى جَسَدِ المَحبُوبَةِ مِن لَمَعَانٍ، وَإِشراقٍ، وَتَلألُؤٍ وَصَفاء، وَأُخرى لَمسِيَّة، بِمَا تُوحِيهِ مِن اتِّصافِ بَشرتِهَا بالنُّعُومَةِ، وَالرُّطُوبَةِ، وَالرِّقَّةِ البَيِّنَةِ الوَاضِحَة.

وَلِلمُبالَغَةِ فِي إِظهارِ نُعُومَةِ جَسَدِ المَعشُوقَةِ وَطَراوَتِه لَجَأَ الشَّاعِرُ إِلى صُورةٍ اسْتِعَارِيَّةٍ جَعَلَ فِيها النَّظَراتِ خَنَاجِرَ تَجرَحُ جَسَدَ هَذِهِ المَعشُوقَة وَتُلحِقُ الأَذى فِيهِ، فَلَولا نُعُومَةُ بَشرَتِهَا، لَما جَرَحَتهَا النَّظرات، يقول:[1]

[الخفيف]

رَشَاءٌ كُلَّمَا سَرى اللَّحْظُ فِيهِ جَرَحَتْهُ خَنَاجِرُ الأَبْصَارِ

وَفِي صُورَةٍ أُخرى اعتَمَدَ عَلَى الصُّورَتَينِ اللَّونِيَّةِ وَاللَّمسِيَّةِ، مُوَظِّفاً التَّشبيهَ المَقلُوب؛ لإبرازِ جَمالِ المَعشُوقَةِ وَتَمَيُّزِهَا وَحُسنِهَا، وَتَبرُزُ الصُّورَةُ اللَّونِيَّةُ مِن تَصويرِهِ النَّرجِسَ بِعَينِي المَحبُوبة، وَتَصويرِهِ الدُّرَّ بِأَسنانِهَا، وَتَظهَرُ الصُّورَةُ اللَّمسِيَّةُ مِن تَشبِيهِهِ الوَردَ بِخَدِّهَا مِن جِهَةِ النُّعومَةِ وَاللَّطافَةِ وَالرِّقَّة، فَأَيُّ خَدٍّ ذَلِكَ الذي يُشبَّه الوردُ به!!!، يقول:[2]

[البسيط]

النَّرجِسُ الغَضُّ مِنْ أَجفَانِ مُقْلَتِهِ وَالوَرْدُ مِنْ خَدِّهِ وَالدُّرُّ مِنْ فِيهِ

وَلا يَزالُ الشَّاعِرُ يَتَحَسَّسُ مَواطِنَ الجَمالِ، وَالنُّعُومَةِ، وَاللُّيونَةِ في المَعشُوقَةِ، وَيَظهَرُ ذَلِكَ مِن قَولِهِ:[3]

[الطويل]

تَثَنَّى فَكَادَ الغُصْنُ أَنْ يَتَقَصَّفَا وَقَدْ هَزَّ مِنْهُ التِّيهُ غُصْناً مُهَفْهَفَا

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص94.

[2] المصدر السابق، ص251.

[3] المصدر السابق، ص 152.

فَفِي هَذا المَشهَدِ يُقَدِّمُ الجَمَالَ فِي صُورَةٍ مَلمُوسَةٍ مَحسُوسَةٍ، فَيُصَوِّرُ مِشيَةَ المَحبُوبةِ وَهي تَتَثَنَّى وَتَتَمَايَلُ وَتَتَرَنَّح، فَيَجعَلهَا وَهذِهِ الحال كَالغُصنِ النَّاعِمِ الرَّطبِ الرَّقِيقِ الذي تَتَلاعَبُ الرِّياحُ فِيهِ، فَتُميلُهُ يَمْنَةً وَيَسرة، وَهُنَا يَجدُرُ بِنَا التَّنبِيهُ إِلى مَا يُضفِيهِ التَّثَنِّي وَالتَّمايُلُ عَلَى هذا المَشهَدِ مِن جَمَالٍ وَبَهاءٍ عَلَى مُستَوَيَين، أَوَّلهما: المحبوبة، وَمَا يُضفِيهِ عَلَيهَا مِن صِفاتِ التَّدَلُّلِ، وَالتِّيهِ، وَالتَّكَبُّر، وَثَانِيهما: الصُّورَة نَفسُها التي قَدَّمَهَا الشَّاعِرُ، وَيَبرُزُ الجَمَالُ الذي يُضفِيهِ التَّرنُّحُ وَالتَّمايُلُ عَلَيهَا مِنَ الحَرَكَةِ وَالحَيَوِيَّةِ وَالحَياةِ التي تَبُثُّهَا فِيها، فَتُبعِدُهَا عَنِ السُّكُونِ وَالرَّتَابَةِ المَمقُوتَةِ.

وَيُكَرِّرُ شَيئاً مِنَ المَشهَدِ السَّابِقِ فِي قَولِهِ مُعتَمِداً عَلَى حَاسَّةِ اللّمس:[1]

[الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ كَالغُصْنِ هَزَّتْهُ الصَّبا فَصَبا إِلَيْهِ مِنَ الفُتُونِ هَوائِي

فَالمَحبُوبَةُ نَاعِمَةُ المَلمَسِ، رَقِيقَةُ الجَسَدِ، لَيِّنَةُ القوامِ، لا تَستَطِيعُ مُقَاوَمَةَ الرِّيح، لِذَا فَإِنَّهَا تَتَمَايَلُ وَتَتَرَنَّحُ تبعاً لِوجهَتِها.

وَيَستَحضِرُ الوأواءُ فِي إِحدى صُوَرِهِ اللَّمسِيَّةِ الغَزَلِيَّةِ الحَرَارَةَ التي يُعانِي مِنهَا المَعشُوقُ بِفِعلِ إِصابَتِهِ بِداءِ الجَرَب، وَالحرارَةَ التي يُعانِي مِنها الشَّاعِرُ نَفسُهُ نَتيجَةَ حُبِّه، وَنَفثاتِهِ الحَرَّى التي يَبُثُّها لَه، حَيثُ يَبدُو هَذا الحُبُّ مُتَّقِداً فِي قَلبِهِ، مُتَأَجِّجاً في فُؤادِهِ كالنَّارِ المُلتَهِبَةِ، يقول:[2]

[مجزوء الرمل]

يا صُروفَ الدَّهرِ حَسْبي أَيُّ ذَنْبٍ كانَ ذَنْبي
طَرَقَتْني نائباتُ الدَّ هْرِ في إِعلالِ حبِّي
عِلَّةٌ عَمَّتْ وَخَصَّتْ في حَبِيبٍ وَمُحِبِّ
دَبَّ في كَفَّيْهِ مَا مِنْ حُبِّهِ دَبَّ بِقَلْبي
فهو يشكو حَرَّ حَبٍّ واشتكائي حَرَّ حُبِّ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص3.

[2] المصدر السابق، ص56-57.

وَيُوَظِّفُ الشَّاعِرُ حَاسَّةَ اللَّمسِ فِي مَدَائِحِه، فَيقُولُ فِي الشَّرِيفِ العَقِيقِيِّ:[1]

[الخفيف]

غُصُـــنٌ لَـــيِّنُ المَهَـــزَّةِ لَـــدْنٌ زَاهِـــرُ الزَّهْـــرِ مُثْمِـــرُ الإثْمَـــارِ

فَهُوَ هُنا يُصَرِّحُ تَصرِيحَاً مُباشِراً باتِّصافِ مَمدُوحِهِ باللُّيونَةِ، وَهِي سِمةٌ مُرتَبِطَةٌ ارتِبَاطَاً مُباشِراً بِحَاسَّةِ اللَّمسِ، وَذَلِكَ كِنايَةً عَن تَساهُلِهِ فِي التَّعامُلِ مَعَ النَّاسِ، وَكَرَمِهِ وَسَـخَائِهِ عَلَـيهِم، وَلاتِّصافِهِ بِهذِهِ الصِّفَةِ جَعَلَهُ الشَّاعِرُ غُصناً لَيِّناً رَطْباً مُمتَلِئاً بالأَزهارِ وَالأَثمارِ التي تُشَكِّلُ مَوضِعَ إِعجابِ النَّاسِ الذين يَلتَفُّونَ حَولَها، فِي إِشَارَةٍ إِلى إِعجَابِ النَّاسِ بالمَمدُوحِ وَالتِفَافِهِم حَولَه؛ طَمَعَاً فِي العَطاءِ وَالنَّوال.

وَيُعَاوِدُ فِي قَصِيدَةٍ أُخرى استِعمَالَ حَاسَّةِ اللَّمسِ فِي إِطارِ تَعبِيرِهِ عَـن كَـرَمِ الممـدُوحِ وَسَخائِهِ، وَاتِّساعِ سُبُلِ العَيشِ فِي ظِلِّ حُكمِهِ، وَذَلِكَ عَن طَرِيقِ استِعمَالِ الدَّالِّ اللَّمسِيِّ (أَرطَـب، واللَّيِّن)، يَقُول:[2]

[المنسرح]

مَا أَرْطَـبَ العَـيْشَ فَـي ذَرَاكَ وَمَـا أَهْنَـا النَّـدى فَـي جَنَابِـكَ اللَّـيْنِ

وَكَمَا أَظهَرَ الشَّاعِرُ مَمدُوحَهُ لَيِّناً عَطُوفَاً، فَإِنَّهُ أَظهَرَهُ خَشِناً صَلباً كَالسَّيفِ القاطِعِ وَالأَسَدِ الفاتِك، يقول:[3]

[المنسرح]

يَنْظُـرُ مِنْـكَ الأَنَـامُ بَـدْرَ دُجـىً وَصَـارِماً فَاتِـكَ الغِـرَارَيْنِ
وَالشَّـمْسَ، لَمَّـا بَـرَزَتْ، بَـارِزَةً وَالأَسَـدَ البَاسِـطَ الـذِّرَاعَيْنِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص96.

[2] المصدر السابق، ص222.

[3] المصدر السابق، ص223.

تَشتَمِلُ هَذِهِ الصُّورَةُ عَلَى دَوَالّ لَونِيَّة وَأُخرى لَمسِيّة، أَمَّا اللَّونِيَّةُ، فَتَتَمَثَّلُ فِي مُفرَدَتَي (البدر، والشَّمس)، فِي إِشارَةٍ إِلى اتِّصافِ المَمدُوحِ بالطُّهرِ، وَالصَّفَاءِ، وَالسُّمُوِّ، وَالابتِعَادِ عَن كُلِّ دَنَسٍ وَنَقصٍ وَعَيب، وَأَمَّا اللَّمسِيَّةُ، فَهِي مُفرَدَتَا (صارم، وأَسد)، فَالشَّاعِرُ وَصَفَ مَمدُوحَهُ بالقُوَّةِ وَالشَّجاعَةِ وَشِدَّةِ البأسِ حِينَمَا شَبَّهَهُ بالسَّيفِ القاطِعِ تَارَةً، وَبالأَسَدِ الفَاتِكِ تَارَةً أُخرى، وَكَأَنَّهُ أَرادَ مِن ذَلِكَ أَن يَتَوَصَّلَ بِحَاسَّةِ اللَّمسِ إِلى تِلكَ المَعانِي بِما تُوحِيهِ تَصوِيرَاتُ السَّيفِ وَالأَسَدِ مِنَ الخُشُونَةِ، وَالغِلظَةِ، وَالصَّلابة.

وَيَجمَعُ فِي مَدحِهِ لِلشَّرِيفِ العَقِيقِيِّ بَينَ صِفَتَي الخُشُونَةِ وَاللُّيونَةِ، حَيثُ يُصَرِّحُ بِهِمَا فِي قولِهِ:[1]

[الكامل]

كَالشَّمْسِ حُسْنَاً وَالحُسَامِ خُشُونَةً وَالمُزْنِ جُوداً وَالأَرَاكَةِ لِينَا

وَيَستَخدِمُ الوأواءُ حَاسَّةَ اللَّمسِ فِي خَمرِيَّاتِهِ، فَهُوَ –كَغيرِهِ من الشُّعراء– يحسُّ بِحَرارَةِ الخَمرِ وَاتِّقادِهَا، وَيَظهَرُ ذَلِكَ مِن قولِهِ:[2]

[المنسرح]

وبِنتِ كَرْمٍ كأَنَّهَا لَهَبُ تَكَادُ مِنهَا الأَكُفُّ تَلْتَهِبُ

فَهُوَ هُنا يُشَبِّهُ الخَمرَ بِلَهَبِ النَّارِ المُتَّقِدَةِ فِي لَونِهِ وَحَرارَتِهِ، إِذْ إِنَّ أَكُفَّ شَارِبِيها وَمَعاقِرِيهَا تَكَادُ تَحتَرِقُ عِندَ لَمسِهَا وَتَناوُلِهَا؛ لِشِدَّةِ حَرارَتِهَا.

د– الصُّورةُ الذَّوقِيَّةُ:

يُوَظِّفُ الشَّاعِرُ الوأواءُ العَدِيدَ مِن مُتَعَلِّقاتِ حَاسَّةِ الذَّوقِ فِي بِناءِ بَعضِ صُوَرِهِ الفَنِّيَّةِ وَصِياغَتِهَا، حَيثُ يَرصُدُ فِيهَا الطُّعُومَ المُختَلِفَةَ مِن حَلاوَةٍ وَمَرارَةٍ، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ أَكثَرَ مَا يَتَجَلَّى فِي

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص218.

[2] المصدر السابق، ص35.

وَصفِهِ لِرِيقِ مَنْ يَعشَق، فَهُوَ كَثِيراً مَا يَعمَدُ فِي وَصفِهِ لِرضابِ المَحبُوبَةِ إِلى قَرنِهِ بالخَمرِ وَتَشبِيهِهِ فِيهَا، كَما فِي قَولِهِ:[1]

[المتقارب]

تَرَشَّـــفْتُ مِـــنْ شَـــفَتَيْهِ الْعُقَـــارَا وَقَبَّلْـــتُ مِـــنْ خَـــدِّهِ الجُلَّنَـــارَا
وَشَـــاهَدْتُ مِنْـــهُ كَثِيبـــاً مَهِـــيلاً وَغُصْـــناً رَطِيبـــاً وَبَـــدْراً أَنَـــارَا
وَأَبْصَرْتُ مِـــنْ وَجْهِـــهِ فِـــي الظَّـــلامِ بِكُـــلِّ مَكَـــانٍ بِلَيْـــلٍ نَهَـــارَا

حَيثُ يَجعَلُ الشَّاعِرُ هُنا رِيقَ المَحبُوبَةِ شَهِيَّاً لَذِيذَاً كَالعُقارِ، وَالجَامِعُ المُشتَرَكُ بَينَهُمَـــا هُـــوَ إِحدَاثُ اللَّذَّةِ وَالنَّشوَةِ فِي النَّفسِ، وَبِذَلِكَ فَالصُّورَةُ تَقُومُ عَلَى حَاسَّةِ الذَّوقِ وَتَعتَمِدُ عَلَيهَا اعتِمَادَاً كُلِّيَّاً، فَرِيقُ المَعشُوقَةِ يُوَفِّرُ لِلشَّاعِرِ الإِحسَاسَ بالنَّشوَةِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَى حَلاوَتِهِ، وَإِن كانَـــت هَـــذِهِ الحَـــلاوَةُ حَلاوَةً مَعنَوِيَّةً تحسُّهَا النَّفسُ وَالرُّوحُ لا اللِّسان، وَإِذا مَا أَمعَنَّا النَّظَرَ فِي الفِعل (ترشَّفتُ)، نَجِدُهُ يَحمِلُ فِي أَثنائِهِ مَعَانِيَ التَّلَذُّذِ وَالتَّمتُّعِ التي تُرَافِقُ عَمَلِيَّةَ الشُّربِ، فِي دلالَةً عَلَى طِيـــبِ طَعـــمِ المَشـــرُوبِ وَحَلاوَتِهِ، وفِي إِطارٍ آخرَ، وَكَي يُظهِرَ الشَّاعِرُ جَمَالَ تِلكَ المَحبُوبَةِ وَتَمَيُّزَهَا، فَإِنَّهُ يَعتَمِدُ عَلَى حَاسَّةِ اللَّمسِ؛ لِبَيانِ نُعُومَةِ خَدِّهَا، وَرِقَّتِه وَطَراوتِهِ، فَيُشَبِّهُهُ بِزَهرِ الرُّمَّانِ، وَكَذلِكَ لإِبرازِ نُعُومَـــةِ قَـــدِّهَا وَلُيُونَتِهِ، حَيثُ يَجعَلُهُ غُصناً طَرِيّاً رَطباً، يَتَمايَلُ وَيَتَثَنَّى وِفقَ اتِّجاهِ الرِّيحِ، ثُمَّ تَظهَرُ الصُّورَةُ اللَّونِيَّةُ لإِكمالِ تِلكَ الصُّورَةِ المِثالِيَّةِ التي يَرسُمُهَا الشَّاعِرُ لِلمَعشُوقَةِ، وَذَلِكَ عَن طَرِيقِ اســـتِعمَالِ الـــدَّالَّينِ اللَّونِيَّين (البدر، وَالنَّهار)، وَمَا يُضفِيانِهِ عَلَيهَا مِن مَعانِي الصَّفَاءِ، وَالنَّقاءِ، وَالضِّياءِ، وَالإِشراق.

وَهَا هُوَ ذَا الوأواءُ يُصَرِّحُ بِأَنَّ رضابَ المَعشُوقَةِ وَرِيقَهَا خَمرٌ ظَلَّ يعلُّ مِنهُ حَتَّى ثَمِلَ وَسَكِرَ وَانتَشَى مِن طَعمِهِ تَماماً كَمَا يَنتَشِي مِنَ الخَمرِ وَيَثمَل، يقول:[2]

[الخفيف]

يَفْعَلُ الرِّيـــقُ مِنْـــهُ مَـــا تَفعَـــلُ الخَـــمْ رُ وَلَكِـــــنْ بِـــــلا تَـــــأَذِّي خُمَـــــارِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص269.

[2] المصدر السابق، ص94.

فَلهذا الرّضَابِ مَفعُولٌ سِحرِيٌّ قَوِيٌّ كالذي يَنتُجُ عَنِ الخَمرِ، حَيثُ تَسرِي بِفِعلِهِ قُوىً خَفِيَّــةٌ فِي الجِسمِ، فَتَجعَلَهُ فِي حَالَةِ سُكرٍ وَانتِشاءٍ، وَإِن كانَ لا يَحتَوِي عَلَى عَناصِــرِ السُّــكرِ وَمُسَــبِّباتِهِ المُتَوافِرَةِ فِي الخَمرِ الحَقِيقِيّ.

وَإِذا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالشَّاعِرُ يَستَغنِي عَنِ الخَمرِ الحَقِيقِيِّ، وَيَقنَعُ بِرِيقِ المَحبُوبَةِ وَيَكتَفِي بِهِ كَوَسِيلَةٍ لِلوُصُولِ إِلى حَالَةِ السُّكرِ وَالانتِشَاءِ التي يَطلُبُهَا، يقول:[1]

[الكامل]

تُغنِــي عــنِ التُّفَّــاحِ حُمــرَةُ خَــدِّهِ وَتَنُــوبُ رِيقَتُــهُ عَــنِ الصَّــهباءِ

وَيُقَدِّمُ الشَّاعِرُ صُورَةً لَطِيفَةً، تَعتَمِدُ عَلَى حَاسَّةِ الذَّوقِ، لِفَاكِهَةِ البطِّيخِ اللَّذِيذَةِ، حَيثُ يَجعَــلُ مَذَاقَها أَكثَرَ حَلاوَةً مِنَ المَنِّ الشَّدِيدِ الحَلاوَةِ فِي طَبِيعَتِهِ، وَتُؤَدِّي (ترشّفته، وأَحلى) فِي هَذا الإِطــارِ دَوراً كَبِيراً فِي بَيانِ مَدَى تَلَذُّذِ الشَّاعِرِ وَتَمَتُّعِهِ وَهُوَ يَتَنَاوَلُ هَذِهِ الفَاكِهَةَ، وَيَظهَرُ ذَلِكَ مِن قولِهِ:[2]

[السريع]

وَذَاتِ رِيــــــقٍ إِنْ تَرَشَّــــــفْتَهُ وَجَدْتَــــهُ أَحْلَــــى مِــــنَ المَــــنِّ

وَلَم يَكتَفِ الوأواءُ بِتَوظِيفِ حَاسَّةِ الذَّوقِ فِي المَحسُوسَاتِ المَلمُوسَاتِ وَحَسب، وَإِنَّمــا رَاحَ يُوَظِّفُها فِي المَعنَوِيَّاتِ كَذَلِك، كَما في قولِهِ:[3]

[البسيط]

دُونَ المُنى فــي الهَــوى يَــا نَفْــس آفــاتُ كَأْسُ الهَــوى حُلْــوَةٌ فِيهــا مَــرارَاتُ

فَهُوَ هُنا يَستَعمِلُ حَاسَّةَ الذَّوقِ لِيَكشِفَ عَن حَالَتِهِ النَّفسِيَّةِ وَمَا يَشعُرُ بِهِ مِن فَرَحٍ، وَسَــعَادَةٍ، وَنَشوَةٍ بِوِصالِ المَحبُوبَةِ وَلِقائِها، وَهَذا مَا عَبَّرَ عَنهُ باستِعمَالِ الدَّالِّ الــذَّوقِيِّ (الحــلاوة)، وَكَــذلِكَ لِلكَشفِ عَن حَالَةِ الحُزنِ، وَالكآبَةِ، وَالأَلَمِ، وَالسَّقَمِ، وَالمُعانَاةِ النَّاجِمَةِ عَن هجرانِ المَحبُوبَةِ وَفِراقِهَــا

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص4.

[2] المصدر السابق، ص277.

[3] المصدر السابق، ص61.

وَبَينهَا لَه، وَيَبدُو أَنَّ هَذا هُوَ الطَّابعُ الغالبُ عَلَى علاقَتِه مَعَها، وَهَذا مَا يُستَشَفُّ مِن استِعماله لِلعَلامَةِ الذَّوقِيَّةِ (المرارات)، فَالحُبُّ عِندَهُ حُلوٌ حِيناً، وَمُرٌّ أَحياناً، وَقَد خَبرَ الأَمرَين مَعَاً، نَظَـــراً لِتَجارِبِـــهِ الغَرامِيَّةِ المُتَعَدِّدَةِ فِي مَسِيرَةِ حَياتِهِ.

وَفِي قَولِهِ فِي المرأَةِ المَحبُوبَةِ:[1]

[الخفيف]

حُلْـــوَةُ الْخَلْـــقِ مُـــرَّةُ الخُلْـــقِ قَـــدْ أَصْ بَحْتُ مِنْهـــا فـــي الحُـــبِّ أَعْمـــى أَصَـــمَّا

استَحضَرَ العَلامَةَ الذَّوقِيَّةَ (حُلوَة الخَلْقِ)، لِلدِّلالَةِ عَلَى جَمَالِ المَحبُوبَةِ وَحُسنِهَا، وَالعلامَـــةَ الذَّوقِيَّةَ (مُرَّة الخُلُقِ)، لِلتَّعبِيرِ عَنِ ابتِذالِهَا، وَعَدَمِ عِفَّتِها، وَقِلَّةِ حَيَائِهَا، وَفَسَادِ أَخلاقِهَا.

وَفِي خِتَامِ دِرَاسَةِ مَحاوِرِ الصُّورَةِ فِي شِعْرِ الوأواءِ الدِّمَشقِيِّ، يُؤَكِّدُ البَاحِثُ عَلَـــى الـــدَّورِ الكَبِيرِ الذي اضطلعَتْ بِهِ الحَواسُّ المُختَلِفَةُ فِي صِياغَةِ صُوَرِهِ، وَتَشكِيلِهَا، وَإِخرَاجِهَا إِلى العَيـــانِ، وَيُشِيرُ إِلى أَنَّهُ أَقامَ بَعضَ صُوَرِهِ عَلَى أَكثَرَ مِن حَاسَّةٍ، فَالصُّورةُ –أَيَّةُ صُورَةٍ– مُشْتَرَكَةٌ، أَي أَنَّهـــا نتاجُ الحَواسِّ المُختَلِفَةِ المُتَعَدِّدَة، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ أَكثَرَ مَا يَتَجَلَّى فِي مَقطُوعَتِهِ التي مَطلَعُها:[2]

[المتقارب]

تَرَشَّـــفْتُ مِـــنْ شَـــفَتَيْهِ الْعُقَـــارَا وَقَبَّلْـــتُ مِـــنْ خَـــدِّهِ الجُلَّنَـــارَا

حَيثُ تَتَكَاتَفُ فِي بِنائِها ثَلاثُ حَوَاسّ، هِيَ: الذَّوقُ، وَاللَّمسُ، وَالبَصَر.

ثالثاً: التَّشخِيصُ (أَبرَزُ دَعَائِمِ التَّصوِيرِ الفَنِّيِّ فِي شِعرِ الوأواء):

يَقُومُ التَّشخِيصُ عَلَى تَقدِيمِ "المعاني المجردة، ومظاهر الطبيعة الجامدة في صور كائنات حية تحس وتتحرك وتنبض بالحياة"[3]، وَفِيهِ تَرتَفِعُ الأَشيَاءُ الحِسِّيَّةُ وَالمَعنَوِيَّةُ إِلى مَرتَبَةِ الإِنسَانِ

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص208.

[2] المصدر السابق، ص269.

[3] القاضي، النعمان: **أبو فراس الحمداني: الموقف والتشكيل الجمالي**، مصر: دار الثقافـــة للنشـــر والتوزيـــع، 1982، ص434.

مُستَعِيرَةً صِفَاتِهِ وَمَشَاعِرَهُ وَأَفعَالَه[1]، وَلِلتَّشخِيصِ ارتِبَاطٌ وَثِيقٌ بالصّوَرِ الحِسِّيَّة، وَدَورٌ فَعَّالٌ "في تقريب صور المعنويات، وتوضيح معالمها، ونقل تجربة الشاعر العاطفية والنفسية والفكرية إلى المتلقين في تشكيل جمالي مؤثر"[2]، فَهُوَ "ذو قدرة على التكثيف والاقتصاد والإيجاز"[3].

وَكَانَ التَّشخِيصُ مِن أَهَمِّ الأَسَالِيبِ التَّصويرِيَّةِ التي اعتَمَدَ عَلَيهَا الوأواءُ الدِّمَشقِيُّ فِي تَقدِيمِ صُوَرِهِ وَأَفكَارِهِ وَمَعانِيهِ وَإِبرَازِهَا، فَكَثِيراً مَا أَنزَلَ الجَمَادَاتِ المُتَنَوِّعَةَ، وَالصُّوَرَ المَعنَوِيَّةَ مَنزِلَةَ الإنسان، فَ "ألبس معانيه صوراً آدمية تشعر وتحس، تسمع وتتكلم"[4]، الأمرُ الذي مَنَحَهُ دَوراً فَعَّالا "في تقريب الصور المعنوية وتوضيح أبعادها؛ فبها نقل الشاعر تجربته العاطفية والنفسية والفكرية، فاستطاع أن يمنح الحياة للجوامد، فبدت الصور الجامدة ناطقة حية، يستطيع المتلقي أن يحسّ بها ويشعر بحيويتها"[5].

وَقَد أَكثَرَ الوأواءُ مِن تَشخِيصِ مَظَاهِرِ الطَّبِيعَة، وَلا سِيَّمَا الكواكبُ وَالنُّجُومُ، فَهَا هُوَ ذَا يُشَخِّصُ الكَوَاكِبَ بِإِنسَانٍ يَبكِي عَلى غِيَابِ الأحباب، وَذَلِكَ فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَن سُرعَةِ انقِضَاءِ سَاعَاتِ اللَّيلِ عِندَ اللِّقَاءِ بَالمَحبُوبَة:[6]

[الطويل]

كَواكِبُهُ تَبكِي عَلَيهِ كَأَنَّمَا ثَكِلْنَ الدُّجى أَو ذُقْنَ هَجرَ الحَبَائِبِ

وَيُشَخِّصُ الجَوزَاءَ، وَيَجعَلُ لَهَا يَدَاً تُعَانِقُ فِيهَا:[7]

[الخفيف]

وَيَمِينُ الجَوزَاءِ تَبْسُطُ بَاعَاً لِعِنَاقِ الدُّجَى بِغَيرِ بَنَانِ

---

[1] يُنظر: الربّاعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، ط2، بيروت–لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999، ص210.

[2] القاضي، النعمان: **أبو فراس الحمداني**، ص439.

[3] ناصف، مصطفى: **الصورة الأدبية**، ط2، بيروت: دار الأندلس، 1981، ص136.

[4] زاهر، جمال: **شعر الوأواء الدمشقي**، ص218.

[5] صبّاح، عصام لطفي: **الصورة الفنية في شعر الوأواء الدمشقي**، ص118.

[6] الوأواء: **ديوانه**، ص26.

[7] المصدر السابق، ص243.

وَيَجعَلُ الشَّمسَ إِنسَانَاً حَسُودَاً، كَمَا أَنَّهُ يِجعَلُ الغُصنَ إِنسَانَاً يَغَار، وَذَلِكَ فِي قَولِـهِ فِـي المَحبُوبَة:[1]

[السريع]

تَحسُـدُهُ الشَّـمسُ عَلَـى حُسْـنِهِ كَمَـا يَغَـارُ الغُصْـنُ مِـنْ قَـدِّهِ

وَيُكثِرُ الوأواءُ مِن تَشخِيصِ الصُّبحِ وَاللَّيل، فَهَا هُوَ ذَا يَجعَلُ لِلصُّبحِ وَجهَاً:[2]

[مجزوء الرمل]

طَـالَعَتْنِي كَطُلُـوعِ ال بَـدرِ فِـي وَجـهِ الصَّـبَاحِ

وَيُشَخِّصُ الفَجرَ وَاللَّيلَ، فَيُصَوِّرُ الأوَّلَ ضَاحِكَاً، وَالثَّانِي مُنتَحِبَاً: [3]

[الرجز]

وَحَاجِـبُ الفَجـرِ بِـلا حِجَـابِ يَضْـحَكُ وَالظَّلمَـاءُ فِـي انتِحَـابِ

وَفِي صُورَةٍ أُخرى، جَعَلَ الظَّلامَ ضَاحِكَاً:[4]

[مجزوء الكامل]

قُـمْ فَاجِـلُ هَمِّـي يـا غُـلامُ بَـالرَّاحِ إِذْ ضَـحِكَ الظَّـلامُ

وَفِي قَولِهِ:[5]

[الخفيف]

جَـاءَنِي زَائِـرَاً بِطُـرَّةِ لَيْـلٍ أُسْـدِلَتْ فَـوقَ غُـرَّةٍ مِـن نَهَـارِ
قَـائِلا لِـي وَالفَجـرُ فِـي قَبضَـةِ اللَّـي لِ وَجِسمُ الـدُّجى مِـنَ الصُّـبْحِ عَـارِ:

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص81.

[2] المصدر السابق، ص70.

[3] المصدر السابق، ص28.

[4] المصدر السابق، ص202.

[5] المصدر السابق، ص95.

قُـــمْ نُقَـــضِّ حَـــقَّ الصَّـــبُوحِ فَقَـــد أَذَّ نَ بالصُّـــــبحِ طَـــــائِرُ الأســـــحَارِ

جَعَلَ لِلَّيلِ قَبضَةً، وَلِلدُّجى جِسماً، وَجَعَلَ الصُّبحَ إِنسَاناً يُؤَذِّنُ فِيهِ، وَطَائِرَ الأسحَارِ مُؤَذِّناً.

وَيَبرُزُ فِي شِعرِ الوأواءِ تَشخِيصُ الأطلال، فَهَا هُوَ ذَا يُخَاطِبُ الطَّلَلَ وَيُنَادِيهِ بِقَولِهِ:[1]

[الطويل]

أَمَغنَى الهَـــوَى غَالَتْـــكَ أَيـــدِي النَّوائِـــبِ فَأَصْـــبَحتَ مَغْنًـــى لِلصَّـــبَا وَالجَنَائِـــبِ
إِذا أَبصَـــرَتْكَ العَـــينُ جَـــادَتْ بِمُـــذْهَبٍ عَلَى مَذْهَبٍ فِـــي الخَـــدِّ بَـــينَ المَـــذَاهِبِ

وَالأطلالُ تُجَدِّدُ شَوقَ الشَّاعِرِ إِلى المَحبُوبَة، وَتُعَاينُ الهَوى، وَتُقَاسِمُهُ البِلى وَالسَّقَم:[2]

[الطويل]

أَيَا رَبـــعَ صَـــبرِي كَيـــفَ طَاوَعَـــكَ البِلـــى فَجَدَّدْتَ عَهـــدَ الشَّـــوقِ فِـــي دِمَـــنِ الهَـــوى
كَأَنَّكَ عَايَنـــتَ الـــذِي بِـــي مِـــنَ الهَـــوى فَقَاسَـــمتَنِي البَلـــوى وَقَاسَـــمتُكَ البِلـــى

وَشَخَّصَ الخَمر، وَجَعَلَهَا تَبتَسِم:[3]

[المنسرح]

عَـــذَّبْتُهَا بِـــالمِزَاجِ فَابتَسَـــمَتْ عَـــن بَـــرَدٍ نَابِـــتٍ عَلَـــى لَهَـــبِ

وَشَخَّصَ بَعضَ مَظَاهِرِ الحَضَارَة، فَجَعَلَ النَّاي شَخصاً نَادِباً، وَالعُودَ شَخصاً مُنتَحِباً:[4]

[الخفيف]

مَا تَرَى النَّـــايَ نَبَّـــهَ العُـــودَ يَـــا صَـــا حِ فَـــذَا نَـــادِبٌ وَذَا فِـــي انتِحَـــابِ

وَكَرَّرَ شَيئاً مِمَّا سَبَقَ فِي قَولِهِ:[5]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص16-17.

[2] المصدر السابق، ص 8.

[3] المصدر السابق، ص35.

[4] المصدر السابق، ص12.

[5] المصدر السابق، ص49.

[المجتث]

يَـــا شِـــيعَةَ اللَّهـــوِ هُبُّـــوا إِلـــى اللَّـــذَاذَاتِ هُبُّـــوا
فَالنَّـــايُ يُبـــدِي أَنِينَـــاً يُشـــجِي وَلِلعُـــودِ ضَـــربُ

وَجَعَلَ القرطَاسَ وَالقَلَمَ مَحبُوبَين يُقَبِّلانِ بَعضَهُمَا بَعضَاً، كَمَا أَنَّهُ جَعَلَ البَينَ ذَاتَاً تَسـتَعِيذُ مِن فِرَاقِ الأحباب وَالبُعدِ عَنهُم:[1]

[البسيط]

يَـا رُبَّ يَـومٍ حَجَرْنَـا فِـي مَحَاجِرِنَـا مَـاءَ العُيُـونِ وَأَمطَرنَـا الخُـدُودَ دَمَـا
فِـي مَوْقِـفٍ يَسـتَعِيذُ البَـينُ مِنـهُ بِـهِ فَمَـا يُقَبِّـلُ قِرْطَـاسٌ بِـهِ قَلَمَـا

وَوَظَّفَ الشَّاعِرُ التَّشخِيصَ فِي مَدَائِحِه، وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ فِي مَدحِ الشَّرِيفِ العَقِيقِـيِّ عِنـدَ حَدِيثِهِ عَنِ الوُصُولِ إِلَيه:[2]

[البسيط]

إِلـى الـذي افتَخَـرَت أَرضُ العَقِيـقِ بِـهِ وَمَنْ بِـهِ أَصـبَحَتْ بَطحَاؤُهَـا حَرَمَـا
إِلـى فَتًـى تَضـحَكُ الـدُّنيَا بِغُرَّتِـهِ فَمَـا تَـرَى بَاكِيَـاً فِيهَـا إِذَا ابتَسَـمَا

حَيثُ جَعَلَ بِلادَ العَقِيقِ إِنسَانَاً يَفتَخِر، وَالدُّنيَا ذَاتَاً ضَاحِكَةً.

وَتَشخِيصُهُ لِلمَنَايَا بِفِرَقِ المُقَاتِلِينَ المُستَسلِمِينَ لِلمَدُوح، يَقُول:[3]

[البسيط]

تَـأتِي المَنَايَـا إِلـى أَسـيَافِهِ فِرَقَـاً كَأَنَّمَـا تَجتَـدِي مِـن خَوفِـهِ سَـلَمَا

وَجَعلُهُ المَنَايَا أُنَاسَاً لَهُم أَيَادٍ تَكتُب:[4]

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص192.
[2] المصدر السابق، ص194.
[3] المصدر السابق، ص195.
[4] المصدر السابق، ص21.

[الطويل]

وَقَــد كَتَبَــتْ أَيــدِي المَنَايَــا وَأَعرَبَــتْ بِشَــكلِ العَــوَالِي فَــوقَ خَــطِّ القَوَاضِــبِ
لَــئِن أَقعَــدَتْ أَســيَافُهُ كُــلَّ قَــائِمٍ فَقَــد أَرجَلَــتْ أَرمَاحُــهُ كُــلَّ رَاكِــبِ

وَمِن تَشخِيصَاتِهِ، أَنَّهُ جَعَلَ الجُفُونَ تَتَكَلَّم:[1]

[الكامل]

جَهْــدُ الشِّــكَايَةِ أَنَّ أَلسُــنَنَا بِهَــا خَرِسَــتْ وَأَنَّ جُفُونَنَــا تَــتَكَلَّمُ

وَمَحَاسِنَ مَحبُوبَتِهِ تَنطِقُ وَتَرُدُّ عَلَى لائِمِيهِ فِي حُبِّهَا:[2]

[الوافر]

لَقَــدْ نَطَقَــتْ مَحَاسِــنُهُ بِعُــذرِي فَــأَخْرَسَ عَــاذِلِي بالعَــذلِ عَنكَــا

وَجَعَلَ الهَوى العُذرِيَّ إِنسَانَاً يَعذُر:[3]

[الطويل]

يَبِيــتُ الهَــوى العُــذرِيُّ يَعــذُرُنِي إِذَا خَلَعــتُ بِــهِ عُــذرَ الــدُّمُوعِ السَّــوَاكِبِ

وَجَعَلَ الجَوى وَالشَّوقَ ذَوَاتَاً تَسكُنُ مَنزِلا، وَالكَرَى إِنسَانَاً غَرِيبَاً:[4]

[الكامل]

سَــكَنَ الجَــوى وَالشَّــوقُ بَــينَ جَــوانِحِي وَغَــدَا الكَــرَى فِــي مُقلَتَــيَّ غَرِيبَــا

وَغَير ذَلِكَ مِنَ النَّمَاذِجِ التَّشخِيصِيَّةِ التي تَشهَدُ عَلَى شَاعِرِيَّةِ الــوأواءِ وَمَقدِرَتِــهِ الفَنِّيَّــةِ العَالِيَةِ.

---

[1] الوأواء: **ديوانه**، ص199.
[2] المصدر السابق، ص174.
[3] المصدر السابق، ص17.
[4] المصدر السابق، ص51.

خَاتِمَةُ البحثِ ونَتائِجُهُ

الوأواءُ الدِّمَشقِيُّ مِنَ الشُّعَراءِ الذينَ لازَمُوا الأَميرَ سيفَ الدَّولَةِ الحمدانِيّ، وَاتَّصَلُوا بِكِبارِ الشُّعَراءِ العَبَّاسِيِّين، فَقَدَّمُوا نِتاجاً شِعرِيّاً يُعتَزُّ بِهِ، وهُوَ جَدِيرٌ بالدِّراسَةِ وَالتَّحليل. وَبَعدَ دِراسَةِ غَرَضَينِ مِن أَغراضِ شِعرِ الوأواء، نَخلُصُ إِلى مَا يأتِي:

1. نَظَمَ الوأواءُ في العَدِيدِ مِنَ الأَغراضِ الشِّعرِيَّةِ وَالمَوضُوعَاتِ الفَنِّيَّة، وَأَهَمُّهَا الوَصفُ، وَالغَزَلُ، وَالمَدحُ، وَالهِجاءُ، وَالخَمرِيَّاتُ، وَالرَّوضِيَّات.

2. صَوَّرَ فِي أَشعارِهِ الوَصفِيَّةِ كُلَّ مَا وَقَعَت عَلَيهِ عَينَاه وَمَا سَمِعَتهُ أُذُناهُ تَصويراً دَقِيقاً يَكشِفُ عَن شَاعِرِيَّتِهِ الفذَّةِ، وَخَيالِهِ الواسِع، فَقَد وَصَفَ الطَّبِيعَةَ رِياضَها، وَأَزهارَها، وَكَواكِبَهَا وَنُجُومَها المُتعدِّدَةَ، مُعتَمِداً عَلى الصُّورِ اللَّونِيَّةِ، وَالسَّمعِيَّةِ، وَاللَّمسِيَّةِ، وَالذَّوقِيَّة، وَوَصَفَ بَعضاً مِن مَظاهِرِ الحَضارَةِ وَمُخرَجاتِها التي شاعَت في عَصرِهِ وَزَمانِهِ شُيوعاً كَبِيراً، كَالشَّمعَةِ، وَالدَّواليبِ وَالنَّواعِيرِ، وَالعُودِ وَالنَّاي.

وَفي مَدائِحِهِ خَلَعَ عَلى مَمْدُوحَيْهِ الشَّرِيفِ العقيقِيِّ، وسَيفِ الدَّولةِ الحَمدانِيِّ كَثِيراً مِنَ الصِّفاتِ النَّبيلَةِ، وَالخِصالِ الحَسَنَةِ، وَالفَضَائِلِ العُليا، كَالكَرَمِ وَالجُودِ، وَالقُوَّةِ وَالشَّجاعَةِ، وَالعِزِّ وَالمَجدِ وَشَرَفِ النَّسَبِ، غَيرَ أَنَّ هذِهِ المَعانِي كُلَّها مَعانٍ تَقليدِيَّةٌ تَفتَقِدُ إِلى الحَداثَةِ وَالجِدَّة، فَهِيَ لا تَختَلِفُ عَن مَعانِي المَدَّاحين السَّابِقين إِلا في الأُسلُوبِ المُتَّبَعِ في صِياغَتِها.

وَوَصَفَ –كَذلِكَ– الخمرَ لَونَها، وَما يَطرأُ عَلَيها عِندَ مَزجِها بالماءِ، وَأَثَرَها فِي نُفُوسِ شَارِبِيها وَعُقُولِهِم, وَمَجَالِسَهَا، وَسُقَاتِهَا.

3. كَانَ الوأواءُ شاعِراً غَزِلاً، فَأَكثَرُ دِيوانِهِ غَزَل، وَيُقسَمُ غَزَلُهُ تِبعاً لِمَوضُوعَاتِهِ وَاتِّجَاهَاتِهِ إِلى قِسمَينِ اثنَين، هُمَا:

أ– الغَزَلُ المَعنَوِيُّ العَفِيف، وَفِيهِ يُصَوِّرُ مَشَاعِرَهُ المُلتَهِبَةَ، وَعَواطِفَهُ الحَرَّاقَةَ، وَيَصِفُ مَا لِلحُبِّ وَالهيامِ مِن تَأثِيرٍ في نَفسِهِ.

ب- الغَزَلُ الحِسِّيُّ، بِنَوعَيهِ: الحِسِّيِّ الفَاحِشِ الذي يَشتَمِلُ عَلى سَردٍ لقصَصٍ جِنسِيَّةٍ فَاضِحَةٍ، وَمُغامَراتٍ حِسِّيَّةٍ مُتَهَتِّكَةٍ مَعَ المَحبُوبَة، وَالغَزَلِ الحِسِّيِّ غَيرِ الفَاحِشِ الذي يَدُورُ حَولَ جَسَدِ المَحبُوبةِ، وَيَصِفُهُ وَصفاً مَادِّيّاً، وَيُصَوِّرُ مَفاتِنَه، مِن غَيرِ الوُصُولِ إِلى مَرحَلَةِ التَّهتُّكِ وَالخَلاعَةِ، وَالإِسفافِ الذي يَخدِشُ الحَياءَ، وَلا يَتَلاءَمُ مَعَ الذَّوقِ العامِّ وَلا يُناسِبُه.

4. كانَ الوأواءُ مِنَ الشُّعراءِ قَصيرِي النَّفَسِ الذينَ لَيسَ لَدَيهِم قُدرَةٌ عَلَى نَظمِ المُطَوَّلاتِ، فَقَد جَاءَ مُعظَمُ شِعرِهِ عَلَى هَيئَةِ مَقطُوعَاتٍ قَصيرةٍ مَحدُودَة.

5. تَأَثَّرَ الوأواءُ كَثيراً بِمعَاني الشُّعَراءِ السَّابِقِين وَصُوَرِهِم، كابنِ الرُّومِيِّ، وَأَبِي تَمام، وَأَبِي فراس الحمدانِيّ، وَالمُتَنَبِّي.

6. الطَّابعُ العامُّ الذي تَتَّسِمُ بِهِ لغتُهُ هُوَ طَابعُ السُّهولَةِ وَالبَسَاطَةِ وَالوُضُوح، مَعَ الجُنُوحِ إِلى الشَّعبِيَّةِ في بَعضِ الأَحيان، إِلا أَنَّهُ كانَ يَلجأُ في مَدائِحِهِ وَبَعضِ غَزَلِيَّاتِهِ التَّقليدِيَّةِ إِلى تَوظِيفِ الأَلفَاظِ التَّقلِيدِيَّةِ المُعَقَّدَةِ الوَحشِيَّةِ وَالعباراتِ القَدِيمَة، وَيُلاحَظُ أَنَّهُ وَظَّفَ في لُغَتِهِ كَثِيراً مِنَ الألفاظِ المُعرَّبَةِ الدَّخيلةِ، وَمُصطَلَحاتِ علمِ الكتابةِ وَالتَّدوين.

7. شَاعَ في شِعرِهِ التَّنَاصُّ، وَقَد جَاءَ عَلَى نَوعَين: تَنَاصٍّ دِينِيٍّ، وَفِيهِ تَأَثَّرَ بالقرآنِ الكريمِ أَلفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ وَشَخصِيَّاتِهِ، وَتَنَاصٍّ أَدَبِيٍّ، وَفِيهِ تَأَثَّرَ بِكَثِيرٍ مِنَ الشُّعَراءِ السَّابِقِينَ مِن حَيثُ أَلفَاظُهُم وَمَعَانِيهِم وَصُوَرُهُم.

8. أَدَّى كُلٌّ مِنَ الوَزنِ، وَالقافِيَةِ، وَالجِناسِ بِنَوعَيهِ، وَالتِّكرارِ، وَالتَّصرِيعِ، وَالتَّدويرِ دَوراً مُهِمّاً فِي تَشكِيلِ المُوسِيقى الشِّعرِيَّةِ في نِتاجِهِ الشِّعرِيّ.

9. أَدَّتِ الصُّورةُ الفنِّيَّةُ في شِعرِهِ دَوراً مُهِمّاً في تَبسِيطِ المَعنَى، وَتَوضِيحِهِ، وَتَقرِيبِهِ إِلى ذِهنِ السَّامِعِ، وَقَد تَعَدَّدَت المَصادِرُ والمَنابِعُ التي استَقَى مِنها صُوَرَه، وَكَذَلِكَ تَنَوَّعَت مَحَاوِرُ صُوَرِهِ وأَشكالُها، وَيُمكِنُ حَصرُها بِأَربَعَةِ أَنمَاطٍ وأَشكالٍ، هي: الصُّورةُ اللَّونِيّةُ، والصُّورَةُ السَّمعِيّةُ، والصُّورَةُ اللَّمسِيَّةُ، والصُّورَةُ الذَّوقِيَّة.

10. يُعَدُّ التَّشخِيصُ أَحَدَ أَبرَزِ الدَّعَائِمِ التي اعتَمَدَ عَلَيهَا الوأواءُ فِي تَصوِيرِهِ الفَنِّيِّ، وَفِي تَقــدِيمِ أَفكَارِهِ وَمَعانِيه.

وَفِي الخِتَام، نَسأَلُ اللهَ تَبارَكَ وَتَعَالى التَّوفِيقَ وَالسَّدادَ في الدَّارَين، وَآخرُ دَعوانا أَنِ الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمِين

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم.

ابن الأبرص، عبيد: **ديوانه**، تح: كرم البستاني، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1958.

البرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان المتنبي**، بيروت–لبنان: دار الكتاب العربي، 1979.

التبريزي، الخطيب: **شرح ديوان أبي تمام**، تح: محمد عبده عزام، ط4، مصر: دار المعارف، (د.ت).

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري: **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، القاهرة: مطبعة السعادة، 1956.

الجرجاني، محمد بن علي بن محمد: **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، تح: عبد القادر حسين، الفجالة–القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت).

ابن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر: **المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تح: ف. عبد الرحيم، ط1، دمشق: دار القلم، 1990.

ابن حزم، الأندلسي: **طوق الحمامة في الألفة والألّاف**، تح: إحسان عبَّاس، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993.

الحُصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني: **زهر الآداب وثمر الألباب**، تفصيل وضبط وشرح زكي مبارك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي: **معجم البلدان**، تح: فريد عبد العزيز الجُندي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990.

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: **صورة الأرض**، بيروت–لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت).

الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد: **الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)**، وضَعَ حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.

الخفاجي، ابن سنان أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد: **سرّ الفصاحة**، قدَّم له واعتنى به ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت–لبنان: كتاب–ناشرون، 2010.

الراغب الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمَّد: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1961.

ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي: **العمدة في محاسنِ الشعر وآدابه ونقده**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972.

الزركلي، خير الدين: **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980.

الزيات، محمد بن عبد الملك: **ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات**، تح: جميل سعيد، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1990.

السّكّاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: **مفتاح العلوم**، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: **المزهر في علوم اللغة وأنواعهـا**، شرح وضبط وتصحيح وتعليق محمد أحمد جاد المولى، وآخرين، دار إحياء الكتب العربية وعيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).

الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد: **الدّيارات**، تح: كوركيس عوّاد، ط3، سورية: دار المدى، 2008.

الشنقيطي، أحمد الأمين: **شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها**، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، صَيدا– لبنان: المكتبة العصرية، 2003.

الصرصري، الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم البغدادي: **الأكسير في علم التفسير**، تح: عبد القادر حسين، المطبعة النموذجية، 1977.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، اعتناء س.ديدرينع، ط2، فيسبادن: دار النشر فرانز شتايز، 1974.

الطّبّاخ، محمد راغب بن محمود بن هاشم الحلبي: **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشـهباء**، تنقـيح محمد كمال، ط2، حلب: دار القلم العربي، 1988.

ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي: **عيار الشعر**، تح: طه الحاجري، ومحمد زغلـول سـلام، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي، 1956.

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: **الفخري في الآداب السـلطانية والـدول الإسـلامية**، مراجعة وتنقيح محمد عوض إبراهيم بك وعلي الجـارم بـك، ط2، مطبعـة المعـارف ومكتبتها بمصر، (د.ت).

ابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جَرَادة: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تح: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).

ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي: **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، تح: مُحب الدين أبي سعيد عمر بن غُلامة العمروي، ط1، دار الفكر، 1997.

تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ترتيب: عبد القادر بدران، ط2، بيروت: دار الميسرة، 1979.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: **الصناعتين (الكتابة والشعر)**، تح: مفيد قميحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1981.

أبو فراس الحمداني: **ديوانه**، جمع ونشر وتعليق وفهرسة سامي الدَّهّان، بيروت، 1944.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: **الشعر والشعراء**، بيروت–لبنان: دار الثقافة، 1964.

القرطاجنِّي، حازم: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس: دار الكتب الشرقية، 1966.

القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف: **المحمدون من الشعراء**، تصحيح وتعليق محمد عبد الستار خان ايم، ط1، جيد آباد الدكن–الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1966.

الكتبي، محمد بن شاكر: **فوات الوفيات والذيل عليها**، مج3، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1974.

مجنون ليلى: **ديوان مجنون ليلى**، جمع وتحقيق عبد الستّار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، (د.ت).

مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، ط2، استانبول–تركيا: المكتبة الإسلامية، 1972.

ابن المعتز: **ديوانه**، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1961.

ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، القاهرة: دار الحديث، 2003.

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق سكينة الشهابي، ط1، دمشق: دار الفكر، 1990.

أبو نواس: **ديوانه**، شرح وضبط وتقديم: علي فاعور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، القاهرة: مطابع كوستاتسوماس وشركاه، (د.ت).

الوأواء، أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي: **ديوانه**، تح: سامي الدّهان، ط2، بيروت: دار صادر، 1993.

ثانياً: المراجع

أحمد، محمد، وآخرون: **البنية الإيقاعية في شعر عز الدِّين المناصرة**، ط1، القدس: منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1998.

إسماعيل، عز الدين: **في الأدب العباسي الرؤية والفن**، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1975.

أمين، أحمد: **ظهر الإسلام**، ط5، بيروت: دار الكتاب العربي، 1969.

أبو الأنوار، محمد: **الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية (دراسة تاريخية تحليلية للاتجاهات الكبرى في الشعر وزعمائها من الشعراء من بشار بن برد إلى أبي الطيب المتنبي)**، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1987.

أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978.

بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: يعقوب بكر ورمضان عبد التَّواب، ط3، القاهرة: دار المعارف، 1983.

البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطوّرها)**، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.

بكّار، يوسف حسين: **بناء القصيدة العربية**، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979.

اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ط2، دار الأندلس، 1981.

بيومي، محمد: **قصص القرآن دروس وعبر للدعوة والدعاة**، ط1، المنصورة: مكتبة الإيمان، 2006.

الجواري، أحمد عبد الستار: **الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، بيروت: مطابع دار الكشاف، 1956.

الحاوي، إيليَّا: **فنّ الوصف وتطوّرهُ في الشعر العربي**، ط3، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1980.

فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، بيروت: دار الثقافة، (د.ت).

أبو حلتم، نبيل خليل: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري (من خلال يتيمة الدهر)**، الدوحة–قطر: دار الثقافة، 1985.

الدَّهان، سامي وآخرون: **الوصف**، دار المعارف، (د.ت).

ربابعة، موسى: **جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى**، الأردن: جامعة اليرموك، (د.ت).

الربّاعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، ط2، بيروت–لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999.

زاهر، جمال: **شعر الوأواء الدمشقي: دراسة فنية**، ط1، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، 2007·

الزبيدي، صلاح مهدي: **دراسات في الشعر العباسي**، ط1، عمّان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2004.

الزعبي، أحمد: **التناص نظرياً وتطبيقياً**، ط2، الأردن: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، 2000.

الزّيادي، عبد الفتاح: **الأجرام السماوية**، ط1، مصر: مطبعة العلوم بشارع الخليج بجنينة لاظ، 1936.

الساريسي، عمر عبد الرحمن: **الشعر في العصر العباسي (المؤثرات والظواهر)**، ط1، العبدلي- الأردن: دار حنين للنشر والتوزيع، والكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2006.

ساسه، صالح: **المنجد في الإعراب والقواعد والبلاغة والعروض**، دمشق: المطبعة العلميَّة، (د.ت).

السعدني، مصطفى: **التناصّ الشعري (قراءة أخرى لقضية السرقات)**، منشأة المعارف المصرية: مصر، 1991.

الشكعة، مصطفى: **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، القاهرة: مطبعة المعرفة، 1958.

ضيف، شوقي: **العصر الإسلامي**، ط7، مصر: دار المعارف، (د.ت).

العصر العباسي الثاني، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1975.

الطريفي، يوسف عطا: **شعراء العرب (العصر العباسي)**، ط1، عمان-الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 2007.

الطيب، عبد الله: **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، ط2، بيروت-لبنان: دار الفكر، 1970.

العاني، سامي مكّي: **معجم ألقاب الشعراء**، ط1، دبي-دولة الإمارات العربية المتحدة: مكتبة الفلاح، 1982.

عباس، إحسان: **فنّ الشعر**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1955.

عبد الجابر، سعود محمود: **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني**، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981.

عبد الجواد، إبراهيم عبد الله أحمد: **العروض بين الأصالة والحداثة**، ط1، دار الشروق، 2002.

عبد المطلب، محمد: **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان): مصر، 1995.

عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2004.

العشماوي، محمد زكي: **موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي**، دار المعرفة الجامعية، 1999.

عصفور، جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط2، بيروت–لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، 1983.

أبو عمشة، عادل: **العروض والقافية**، ط1، نابلس: مكتبة خالد بن الوليد، 1986.

الفاخوري، حنّا: **الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)**، ط1، بيروت: دار الجيل، 1986.

فيود، بسيوني عبد الفتاح: **علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني**، ط1، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، والأحساء–المملكة العربية السعودية: دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، 1998.

القاضي، النعمان: **أبو فراس الحمداني: الموقف والتشكيل الجمالي**، مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1982.

المستريحي، قطنة أحمد: **الشعر في بلاط الغساسنة**، ط1، عمان-الأردن: دار حمورابي، 2009.

مفتاح، محمد: **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناصّ)**، ط3، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1992.

الملائكة، نازك: **قضايا الشعر المعاصر**، منشورات مكتبة النهضة، (د.ت).

المناصرة، عز الدين: **علم التناصّ المُقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)**، ط1، عمّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2006.

ناصف، مصطفى: **الصورة الأدبية**، ط2، بيروت: دار الأندلس، 1981.

نافع، عبد الفتاح: **الشعر العباسي قضايا وظواهر**، ط1، عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع، 2008.

نوفل، سيد: **شعر الطبيعة في الأدب العربي**، ط2، مصر: دار المعارف، 1978.

هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، القاهرة: دار المعارف، 1963.

هلال، ماهر مهدي: **جرس الألفاظ ودلالته في البحث البلاغي**، بغداد: مطبعة الحرية، 1980.

وهبه، مجدي، وكامل المهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط2، بيروت: مكتبة لبنان، 1984.

يعقوب، إميل بديع: **المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر**، ط1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1991.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

صبّاح، عصام لطفي: **الصورة الفنية في شعر الوأواء الدمشقي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2011.

عتيق، عمر عبد الهادي قاسم إبراهيم: **دراسة أسلوبية في شعر الأخطل**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس–فلسطين، 2000–2001.

رابعاً: الدوريات

جويجاتي، رفيق: **الوأواء الدمشقي**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 68، ج 4، 1993.

عبد المطلب، محمد: **شاعرية الألوان عند امرئ القيس**، مجلة فصول، مج5، عدد2، 1985.

النكدي، عارف: **الوأواء الدمشقي وديوانه**، مجلة المجمع العلمي العربي (لغوية علمية تاريخية)، مج4، ج 8، 1924.

خامساً: المراجع الأَجنَبِيَّة

A.Devens: **Le Roman De L'Emir seif**, Paris, 1925.

Schlumberger: **Un Empreur Byzantin an Dixiemesiecle**, (Nicephor phocas) Paris, 1890.

AN-Najah National Universty
Faculty of Graduate Studies

Description and Flirtation in wa'wa' Al-Dimashqi Poetry

By
Mohammad Ayesh Mohammad Yamin

Supervised by
Dr.Abdulkhalik Isa

This Thesis is Submitted in partial Fulfillment of the Requirements for the degree Master of Arabic Language, Faculty of Graduate Studies, An – Najah University, Nablus, Palestine.
2012

Description and Flirtation in wa'wa' Al-Dimashqi Poetry

By
Mohammad Ayesh Mohammad Yamin
Supervised by
Dr.Abdulkhalik Isa

Abstract

This study tackles the arts of description and flirtation in the poetry of Alwa'wa Al-Dimashqi in terms of their contents ,expressions and trends, and it has included an introduction ,three chapters, and a conclusion . The introduction is for introducing the poet (Alwa'wa'), I talked about his lineage, life, his relations ,his religious doctrine, his poetry, and the most important views said of him.

In the first chapter, I dealt with the description of its general and comprehensive meaning in his poetry . I showed in some some details the things and phenomena which he described, and his way in describing them which I have made in four sections. These are: the description of nature, the description of the aspects of civilization, the description of the praised, and the description of wine.

In the second chapter, I studied the love poetry of Alwa'wa, and I divided it, depending on contents, subjects and trends into two classes: light, moral praise and obscene and not obscene sensory praise.

In the third chapter, I presented the artistic features in terms of the artistic construction of the poem, the language ,and its features ,the style, the music of poetry and its elements, the artistic image in terms of its sources, axes and forms.

In the conclusion, I outlined the most important result that I reached.